ألقاب المسيح

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت
ألقاب المسيح

الأب متى المسكين

كتاب: **في اللاهوت: ألقاب المسيح.**
تأليف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م.
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـــــ وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ ـــــ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٩٢٥/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولي: 977-240-267-x
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة.

متى المسكين، ١٩١٩ - ٢٠٠٦
في اللاهوت - ألقاب المسيح / متى المسكين:
دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ٢٠٠٨. ٢٨٦ ص؛
٠٠سم
تدمك × ٩٧٧ ٢٤٠٢٦٧
١ - السيد المسيح
أ. العنوان ٢٧٣,٢

المحتويات

صفحة

مقدمة: ماهية المسيح ٥
١ – في لاهوت المسيح الذي حدَّد مصير الإنسان!! ١٣
٢ – المسيح "ابن الله" ٢٥
٣ – "ابن الإنسان" اللقب المحبوب عند المسيح ٤١
٤ – المسيح والمسيَّا ٥٨
٥ – المسيح "رب" ٧٩
٦ – المحبوب ٩٨
٧ – الفدية والكفَّارة ١٢١
٨ – الخلاص والإيمان ١٥٠
٩ – عمانوئيل ١٦٣
١٠ – رئيس الحياة ١٧٦
١١ – "أنا هو نور العالم" ١٨٦
١٢ – "العريس" ١٩٧
١٣ – "أنا هو الطريق، والحق، والحياة" ٢١٠
١٤ – "أنا هو خبز الحياة" ٢٢٢
١٥ – "أنا هو الكرمة الحقيقية، وأبي الكرَّام" ٢٣٦
١٦ – "حمل الله" ٢٤٩
١٧ – "أنا هو القيامة والحياة" ٢٦٦
١٨ – "مُشتَهَى كل الأمم" ٢٨٨
١٩ – "أنا هو الراعي الصالح" ٣٠٢
٢٠ – "عجيباً" – «ويُدعَى اسمُه عجيباً» ٣١١
٢١ – وأيضاً: "أنا هو الطريق، والحق، والحياة" ٣١٤
٢٢ – "أنا هو الباب" ٣٢٢

مُقَدِّمَة

ماهية المسيح[1]

المسيح لا يُعرف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلاَّ بالنسبة لله. وما صار إليه بالتجسُّد في علاقته بالإنسان.

والآية الرائدة التي اتخذها كل الآباء القديسين واللاهوتيين عموماً، هي آية سفر العبرانيين التي أوحى بها الله لكاتب[2] سفر العبرانيين ليبتدئ بها سفره الثمين الذي يدور بأكمله حول شخص يسوع المسيح. وقد عرَّفه في هذه الآية تعريفاً في غاية الدقة بالنسبة لله، سواء من جهة طبيعته أو من جهة شخصه، هكذا:

+ «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطُرُق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عَمِلَ العالمين، الذي وهو **بهاء مجده، ورسم جوهره**، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي،

(١) الماهية هي كلمة تُعبِّر عن مَن هو الشخص من جهة شخصه وطبيعته. على أن الماهية في اللاهوت غير الماهية في الأشياء: الماهية في اللاهوت مستمدة من كلمة "هو"، و"هو" في اللاهوت لا تُعبِّر عن الغائب، ولكن تُعبِّر عن الكائن بذاته وهو الله. ونجدها بوضوح في قول المسيح: «أنا هو».

(٢) وهو القديس بولس الرسول بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية.

صار أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم» (عب ١: ١-٤).

وهكذا لكي يدخل الوحي إلى التعريف بماهية المسيح، بدأ أولاً بالأنبياء ليتجاوزهم شأناً وزماناً، إذ حصرهم جميعاً في العهد القديم الذي انتهى سنة ٤٠٠ ق.م، ثم بالنهاية نجده يتجاوز الملائكة أيضاً باعتباره أعظم منهم جميعاً، وهو بحال تجسُّده؛ إذ لَمَّا قام من الموت بجسده، وقد ظفر بالشيطان وكل رئاساته، حاز خلاصاً من الخطية والموت لكل بني البشر، وارتفع فوق أعلى السموات باقتدار عظيم:

+ «... إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء...» (أف ١: ٢٠-٢٢).

وبهذا الانتصار الفريد فوق الموت كأعظم عدو، والظفر بالشيطان باعتباره مَن له سلطان الموت!! وارتفاعه السامق فوق هامات الملائكة كأقدس خلائق الله؛ ورث اسماً أعظم منهم، إذ تعيَّن أنه هو ابن الله الذي تجسَّد! ثم بعد أن ظهر وعُرف واستُعلِن وتعيَّن أنه هو هو ابن الله، بدأ الوحي يصف المسيح في علاقته بالله ذاته.

«الذي هو بهاء مجده»:

ὃς ὢν ἀπαύγασμα τῆς δόξης αὐτοῦ

وهذا الوصف تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: وهي بحسب النص اليوناني حرفياً:

Who being (the) **Radiance** of the Glory of God.

الذي وهو بهاء مجده؛

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

He **reflects** the Glory of God. يعكسُ مجد الله.

وبهذا نفهم صفة المسيح طبيعياً بالنسبة للآب هكذا: إن المسيح هو إشعاع **يعكس بطبيعته مجد الله**. وهذا الوصف قائم أساساً على علاقة طبيعة المسيح بطبيعة الله على أن طبيعة الله هي مجده، ومجده هو نور. وهذا هو ما اصطلح عليه الآباء القديسون الأوائل بمقولة لاهوتية صارت جزءاً لا يتجزَّأ من إيماننا، أنَّ المسيح هو **"نور من نور"**.

فإن كان "الله هو نورٌ لا يُدنَى منه"؛ فالمسيح، كابن الله، هو كما قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم». وكما شهد له القديس يوحنا واصفاً طبيعة المسيح: «كان **النور الحقيقي** الذي يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو ١: ٩). ثم يعود القديس يوحنا ويصفه هكذا: «وهذه هي الدينونة: إن **النور قد جاء إلى العالم**، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو ٣: ١٩).

«ورسم جوهره»:

χαρακτὴρ τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ

وقد ترجمتها اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: حرفية: The **representation** of the reality of him.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

bears the very **stamp,** of his nature.

وهكذا يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية هكذا:

أ - المسيح هو **الممثل** لشخص الله.

ب - المسيح **حامل لذات الطبيعة** أو الصورة لشخص الله.

فإن قال الله في العهد القديم عن شخصه: «**أنا هو الأول والآخِر**» (إش ٤٤: ٦؛ ٤٨: ١٢)؛ فالمسيح قالها عن شخصه بتأكيد: «**أنا هو الأول والآخِر**... الألف والياء، البداية والنهاية» (رؤ ١: ٨،١٧). بمعنى أن الله في ذاته يحيط بكل شيء ولا يُحيط به شيء ولا حتى الفكر، فهكذا هو المسيح بالمثل. وقد أكَّد المسيح مراراً هذه الحقيقة أنه حامل لذات صورة شخص الله: «**الذي رآني فقد رأى الآب**» (يو ١٤: ٩)، ولكي يحسم وحدانية الآب والابن، ويحرم أي فكر من أن يُفكِّر في ثنائية الآب والابن، قالها واضحة أشد الوضوح وبتأكيد: «**أنا والآب واحد**» (يو ١٠: ٣٠). بمعنى أن الآب والابن - بالرغم أن الآب هو دائماً آب، والابن هو دائماً ابن، في الواقع المطلق - إلاَّ أنهما **ذات واحدة، وكيان واحد**، وهذا أوضحه بقوله: «**أنا في الآب، والآب فيَّ**» (يو ١٤: ١٠).

وخلاصة هذه المعلومة الإنجيلية القائلة بأن المسيح هو «رسم جوهره»، ومن واقع التعريف والشرح الذي أوضحناه، ندرك ما قاله الآباء القديسون بمقولتهم اللاهوتية التي دخلت في قانون الإيمان القويم: إن المسيح **"إله حق من إله حق"**.

فمن جهة طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله الآب، هو: **"نور من نور"**.

ومن جهة شخص المسيح بالنسبة لشخص الله الآب، هو: **"إله حق من إله حق"**.

ولعل وصف الله لذاته - عندما طلب منه موسى: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك، فعلِّمني طريقك **حتى أعرفك**...» (خر ٣٣: ١٣) - يُعتبر أول استعلان لطبيعة الله وشخصه، إذ قال لموسى:

+ «فنزل الرب في السحاب. فوقف (موسى) عنده هناك، ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدَّامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية...» (خر ٣٤: ٥-٧).

أما **سمو بهاء الله** - **إشعاع طبيعة مجده** - الذي احتواه المسيح، إذ: «فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩)، وكذلك **حقيقة رسم جوهر الله** - الذي حمله: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)؛ فهذه وتلك فوق إدراكنا وأعلى وأعمق من أن يفحصها أحد.

ولكن المسيح على مدى ثلاث سنوات ونصف، عَمِلَ وعلَّم وأتى من المعجزات والآيات - هذه التي سجَّلتها الأناجيل الأربعة بكل دقة وباستعلان الروح القدس - إن توفَّرنا على الالتصاق بها بالروح والقلب، نستطيع أن نأخذ منها ما يكفي ليُرسِّخ في أعماق روحنا وإيماننا لنشهد ونعترف أن المسيح حقاً هو بهاء مجد الله، أي يُمثِّل لنا حقاً **طبيعة** الله، وأنه حامل لجوهر الله أي صورة صادقة لشخص الله.

والمسيح كان يُعلن عن **طبيعته وشخصه** في كل ما قال وعلَّم وعمل، وليس فقط بهذه؛ بل وبالأكثر في الصليب والقيامة المجيدة، مستعلناً لنا قوة وعظمة ونعمة الله التي كان يحياها كنموذج حي لله لكي يُسلِّمها لنا بالسر. لذلك يتحتَّم لنا أن نُعلن أن كل ماهية المسيح التي استعلنها لنا بالإنجيل، كان يقصد بها قصداً أن يُسلِّمها لنا لنكون فيها شركاء معه[٣]، حسب مسرَّة الله الآب الذي أرسله لهذا عينه. لأنه إن كان قصد الله حينما صوَّر طبيعته وشخصه لموسى، هو أن يستمد موسى من هذه الطبيعة وهذه الصفات التي طرحها كحقيقة حيَّة فعَّالة في فهمه وروحه ووجدانه، يستمد قوة ونعمة وإرشاداً وهداية، يعبر بها أهوال غربته التي طالت بطول حياته. فكذلك، وبنفس القصد والقوة، طرح الله لنا نفس طبيعته وصفاته، ليس شفاهاً بالكلمة وحسب كما كان لموسى، بل

---

(٣) نحن نصير «شركاء المسيح» (عب ٣: ١٤)، و«شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤)، ليس بمعنى أن تتغيَّر طبيعتنا إلى طبيعة الله؛ بل بمعنى أنه يحل هو فينا بحسب قوله: «أنتم فيَّ، وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، فيهبنا شركة في صفاته الخاصة.

استودعها كاملة في شخص ابنه لَمَّا تجسَّد، لكي نستلمها منه بالنعمة وبالسر، نستلمها كاملة أيضاً وغير منقوصة لنعبر بها، ليس على مدى غربتنا على أرض الشقاء فحسب، بل ولتكون هي بعينها سمة حياتنا الجديدة المؤهَّلة للشركة مع الله في ابنه المحبوب لحياة الأبد، في ملء طبيعته وصفاته، كقول بولس الرسول العجيب: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣: ١٩).

ولنا في ذلك شهادة من المسيح تعتبر ذات قوة وذات دفع: «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أُسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمَّيتكم أحباء **لأني أعلَمتُكُم بكل ما سمعته من أبي**» (يو ١٤،١٥). ثم أيضاً هذه الشهادة ذات المضمون الإعلاني الفريد الذي بلغنا به ملء الحياة الأبدية بمعرفة **طبيعة** الله في المسيح، **وشخص** الله في المسيح:

+ «مجِّد ابنك ليُمجِّدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد، ليُعطي حياة أبدية لكل مَن أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: أن **يعرفوك أنت** الإله الحقيقي وحدك، **ويسوع المسيح** الذي أرسلته» (يو ١٧: ١-٣).

وهكذا إذ عرفنا الله والمسيح معرفة الشركة في ذات **الطبيعة والشخص**، نلنا ملء الحياة الأبدية. والقديس يوحنا يشهد ويعترف بلساننا:

+ «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو ١: ١٤).

+ «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦).

+ «وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٢-٤).

(يونية ١٩٩٣)

- ١ -

في لاهوت المسيح
الذي حدَّد مصير الإنسان!!

إن كان العهد الجديد بكل أسفاره يكاد لا يُعطي المسيح اسم "الله" Θεός مباشرة حتى نقول إن المسيح الله، فذلك لضرورة حتمية؛ لأن المسيح هو "ابن الله"، والابن لا يمكن أن يكون "الله" إلاَّ مع الآب.

غير أن المسيح لكي يُعرِّف أو يستعلن نفسه أنه الله Θεός مع الآب فعلاً قال صراحة: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، و«أنا في الآب، والآب فيَّ» (يو ١٤: ١٠). هذا معناه أنه لا يمكن أن يوجد الابن وحده أو الآب وحده. بمعنى أنه إذا ذُكر الابن، يكون معه الآب حتماً ودائماً. لذلك أصبح من المفهوم الضمني أن يُقال إن الابن، أي المسيح، هو الله باعتباره قائماً دائماً في الآب لأنه لا يمكن أن يوجد المسيح وحده «وتتركونني وحدي، وأنا لستُ وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦: ٣٢).

أ - وحينما أعلن المسيح نفسه أنه "ابن الله"، أدرك معاندوه - وهم الكتبة والفرِّيسيون لاهوتيو العهد القديم - أنه بذلك يعتبر نفسه إلهاً مباشرة، هكذا: «وأنا أُعطيها حياةً أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي؛ أبي الذي أعطاني إياها، هو أعظم

من الكل. ولا يقدر أحد أن **يخطف من يد أبي، أنا والآب واحد**» (يو ١٠: ٢٩-٣٠)! فكان ردُّ اليهود أنْ طلبوا أن يرجموه قائلين: «فإنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**» (يو ١٠: ٣٣)، وطبعاً لأنه قال: «أنا والآب واحد»، والمسيح بالفعل هو كذلك، لأنه هو والآب واحد. فهو لم يجعل نفسه إلهاً؛ بل وهو الإله جعل نفسه إنساناً - هذه هي الحقيقة التي فاتت عليهم - وذلك لكي يُعلن لهم الله في نفسه ظاهراً مسموعاً: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩).

فالمسيح تحاشى أن يقول مباشرة إنه إله أو هو الله، ولكنه قالها وأكَّدها وصمَّم عليها عندما قال: «أنا والآب واحد». فإن كان الآب هو الله حقاً، فالمسيح يكون بالضرورة هو الله بالحقيقة، ولكن لكي نتحاشى الازدواجية في الألوهة، نقول إن الله الواحد هو الآب والابن. على أنه لا يمكن أن يكون الآب وحده هو الله، ولا الابن وحده هو الله؛ بل إن الابن والآب هو الله الواحد. وكلمة **واحد** هنا ليست رقمية ولا تمتُّ للأعداد المادية القياسية بصلة؛ بل "الواحد" بالروح. فالله روح واحد: آب وابن. لذلك نقول إن الله آب وابن وروح، أو على سبيل الإيضاح نقول إن الله روحٌ هو، آبٌ وابنٌ.

ب - على أن الآب والابن ليسا ذاتين؛ بل ذات واحدة، فيها الأُبوَّة وفيها البنوَّة. حيث من الأُبوة الإلهية في الله صدرت كل أُبوَّة في الوجود (أف ٣: ١٥)، ومن البنوة الإلهية في الله صدرت كل بنوة في الوجود. فالله مصدر كل أبوة وكل بنوة في الوجود. وكل أبوة وكل بنوة في الوجود تستمد كيانها وفعلها ودوامها من الله، ومعلومٌ أن الحياة والوجود في العالم يقومان بقيام الأبوة والبنوة؛

فلو توقفت الأبوة في الحياة والعالم، تلاشت الحياة وتوقف العالم؛ كذلك البنوة إن توقفت، توقفت الحياة وانتهى العالم. إذاً فالأُبوَّة والبُنوَّة الإلهية الثابتة والدائمة في الله هي مصدر وقيام ودوام الحياة واستمرارها في العالم والوجود. وبالتالي لا يمكن بل ويستحيل أن يكون في الله أبوة وحسب، أو بنوة وحسبٍ، أو أن يكون الله بلا أبوة وبنوة، وإلا ما كانت حياة ولا وجود لحي.

ج - وفي الذات الإلهية - كما يقرر مجمع نيقية المقدس - لا يصح أن يُنظر أو يُقال أيهما أسبق: الآب أو الابن، لأن الذات الإلهية هي وجود وكيان مطلق منزَّه عن الزمن، فلا سابق ولا لاحق. فالآب والابن هما كيان الذات الإلهية الواحد، وهو كيان أزلي. فالآب أزليٌّ هو، والابن أزليٌّ بالضرورة.

والآب مساوٍ للابن، والابن مساوٍ للآب، لأنهما جوهر واحد وذات واحدة. الآب يكمِّل الابن بأبوته، والابن يكمِّل الآب ببنوته. فالتساوي حتميٌّ هو، حيث يتوجَّب التطابق المطلق بحكم الذات الواحدة. لذلك نقول بوحدانية الله المطلقة، فالله واحد مطلق، ولا تمايز بين الآب والابن إلا في الأُبوة كصفة الله الذاتية، والبنوة كصفة الله الذاتية أيضاً. وهما واحد أحد، لأن الآب يحب الابن حبّاً مطلقاً بأن يُعطيه كل ما له، والابن يحب الآب حبّاً مطلقاً بأن يعطيه كل ما له(١). فبالحب الإلهي المطلق توحدت ذات

---

(١) من هنا كانت حتمية الأُبوّة والبنوّة في الله حتى تتكمَّل الذات الإلهية بالكمال المطلق بأن يكون الله مُحباً حباً كليّاً، وهذه صفة الأُبوّة؛ وأن يكون الله محبوباً حباً كليّاً، وهذه ←

الله. فالله واحد هو لا من منطلق الأعداد؛ بل من منطلق الحب الكلي المطلق الذي يأسر الفكر والقلب، لأن وحدانية الله هي فاعلية حبه الكلّي الذي به خلق وأبدع فتغلغل حبه في كل ما خلق وكل ما أبدع، ولحبه القاهر تتعبد له الخليقة وتخضع.

د - والمسيح كان شديد الحساسية، شديد اليقين بمساواته للآب، لأنه هو الابن الوحيد المحبوب المتجسّد، فمن يقين إحساسه بحب الآب المطلق (يو ٣: ٣٥؛ ٥: ٢٠)، ومن يقين حبه هو للآب حباً مطلقاً (يو ١٤: ٣١)، كان يرى المساواة حقيقة يحياها ويكرز بها، ويمارس عمل الفداء الذي أعطاه أبوه بخضوع فاق خضوعَ العبد، لأنه كان خضوعاً لا يشوبه قصور أو ضعف؛ بل خضوعاً مطلقاً أيضاً تُمليه عليه طاعة قلب الابن ويحرسه ضمير الحب البنوي، فجاء البذل حسب مشيئة الآب وإرادته تماماً.

هـ - أما إذا سألت: كيف يكون في الذات الواحدة الأُبوَّة والبنوَّة معاً؟ فعليك أن تفحص الذات البشرية. فكل إنسان فيه الأُبوة وفيه البنوة معاً، ولكن في الإنسان تخرج البنوة من الرجل بالزواج، أي بأن تأخذ البنوة التي في كيان الإنسان جسداً من امرأة فيظهر للإنسان ابنٌ، هو ابنه الذي كان في كيانه مخفياً وخرج إلى الوجود بالزيجة وحصوله على جسد من زوجة. أما في الذات الإلهية المنزَّهة عن الزيجة، فابن الله الذي في كيان الذات الإلهية مخفيٌّ خرج

صفة البنوَّة. وبهذا يصير الله في ذاته مُحباً ومحبوباً على وجه الإطلاق، وهذا منتهى كمال الذات.

إلى الوجود البشري بأن تجسَّد، أي أخذ جسداً من عذراء بالروح القدس بدون زيجة، فظهر في الوجود "كإبن الإنسان" لأنه مولود من امرأة، ولكنه هو في حقيقته ابن الله، باقٍ كما هو ولكن مولوداً من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. خرج إلى الوجود البشري وهو كما هو كائن في الذات الإلهية مع أبيه (يو ١: ١٨)، وذلك بحسب مشيئة الآب أن يخرج ابنه «من عند الله خرجت» (يو ١٦: ٢٧)، ليُعلن في ذاته عن حقيقة الله الآب والابن. فلولا التجسُّد ما عرفنا الذات الإلهية أنها آب وابن وروح قدس.

ولكن ابن الله وإن كان قد وُلد من العذراء ومن الروح القدس، إلا أنه لم يولد من الآب قط بالمفهوم الزمني لأن الله الآب روحٌ هو، وهو منزَّه عن الولادة والحدث الزمني، لأن الميلاد كفعل زمني يتم على مستوى الجسد والزمن؛ ولكن يستحيل استحالة قاطعة أن يكون في الله، وعلى مستوى الروح والأزل، فعل ولودة زمنية .

وهذه الحقيقة الهامة هي ما أراد القديس أثناسيوس الرسولي أن يُعبِّر عنها بقوله: إن **"الابن" مولود قبل كل الدهور**. فهنا قصد القديس أثناسيوس بقوله: **قبل كل الدهور، "ما هو ليس زمنياً"**، **أي قبل أن يوجد زمن، أي في الأزل**. وذلك لينفي عن الله الفعل والحدث الزمني للولادة، لأن في الأزلية وقبل الدهور والزمن لم يكن فعل ولا حدث، وبالتالي لم يكن فعل ولادة. لذلك يقول القديس أثناسيوس بمنتهى الوضوح إنه **"مولود" كحال** وليس كفعل أو حدث، أي لم يقُلْ وُلد كفعل ماض، الأمر الذي يستلزم

وجود الزمن؛ بل قال "مولودٌ"، أي كحال وجودي. فالابن في الأزل مولودٌ لا من **فعل تمَّ**؛ بل **كحال قائم**، أي أن الابن كان مولوداً في الآب في الأزل دون ولادة زمنية، أي كان كائناً موجوداً بوجود الآب.

لذلك يضيف القديس أثناسيوس توضيحاً لذلك: أن ليس في الآب والابن متقدِّم أو متأخر، ليس سابقٌ أو لاحقٌ، أي أن وجود الآب لم يسبق وجود الابن، ولا الابن كان وجوده لاحقاً لوجود الآب، وإلا دخل الزمن في طبيعة الله، وهذا محال. فالآب والابن وجودهما واحد ومتلازم منذ الأزل.

وهكذا قال القديس أثناسيوس مقولته اللاهوتية التي أخذ بها مجمع نيقية وصارت قانوناً للإيمان المسيحي: إن الابن "مولود قبل كل الدهور"، وهذا يعني أن **الابن قائم في الآب قبل الزمن**، أي منذ الأزل. وهذا بحد ذاته ينفي عن الله "**فعل**" الولادة الذي حيَّر غير المسيحيين، بل والمسيحيين أيضاً، دون أي داعٍ لذلك.

وللقديس أثناسيوس قول واضح يوضِّح فيه هذه الحقيقة:

[الأبناء المولودون للناس هم مقتطعون من آبائهم، لأن طبيعة الأجساد ليست عديمة التركيب (أي ليست بسيطة بل قابلة للانقسام)، لذلك فهي في حالة تتابع (أبناء ثم آباء ثم أبناء... وهكذا). وهي بذاتها، أي الأجساد مكونة من أجزاء، ومعروف أنه بقدر ما يفقد الإنسان من جسمه في التوليد (ذكراً كان أو أنثى)، يعود ويكتسبها بتناول الطعام. وبسبب هذه الحقيقة فإن الناس يصيرون في زمانهم آباءً لأبناءٍ كثيرين، ولكن الله لأن طبيعته غير مركَّبة، وبالتالي بلا أجزاء، فهو أب للابن - الذي

له - دون انقسام أو آلام. لأنه لا يوجد استنزاف من الداخل للخارج ἀπορροή (أي ولودة) في الطبيعة اللامادية - وفي نفس الوقت - هي غير مستهدفة للإضافة عليها من الخارج كما هو الحال في الإنسان. ولأن طبيعة الله غير مركَّبة - أي بسيطة - فالله أب لابن واحد وحيد.

لهذا يُقال عن الابن إنه مولود وحيد μονογενής، والوحيد القائم في حضن أبيه، والوحيد الذي يقرُّ الآب أنه منه قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ» (مت ٣: ١٧). وهو بآن واحد كلمة الآب، الأمر الذي منه ندرك عدم تألم وعدم تجزئة طبيعة الآب، لأنه إذا كانت كلمة الإنسان نفسها يلدها الإنسان بلا ألم أو تجزئة، فكم بالأحرى كلمة الله].

القديس أثناسيوس الرسولي - شرح قانون مجمع نيقية ١١[(٢)]

PG 25, 444; NPNF 1st Ser. Vol. IV, 157.

الروح والأزل منزَّهان عن الزمن وعن الأحداث والأفعال، وهذه هي طبيعة الله الفائقة غير المستهدفة للأفعال والأحداث الزمنية. فالمسيح هو ابن الله القائم الدائم في الذات الإلهية كابن مع الآب كائن فيه منذ البدء، منذ الأزل، خرج بمشيئة الآب إلى الوجود الزمني البشري بأن اتخذ له جسداً من عذراء، أي جسداً عذرياً

---

(٢) ويشترك عدد من الآباء مع القديس أثناسيوس في هذه الفكرة، أي أن لقب "الكلمة" يُخرج بنوَّة المسيح تماماً عن مفهوم الولودة المادية (انظر: القديس كيرلس الكبير - "الكنز في الثالوث": ٥ ؛ والقديس يوحنا ذهبي الفم في "شرح إنجيل يوحنا": ٢ - فقرة ٤؛ والقديس غريغوريوس النيسي ضد أونوميوس - الكتاب الثالث - ص ١٠٧).

بدون رجل فظل قدوساً بعد ولادته: «فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). وهكذا اتحد بالبشرية عن إرادة لما أخذ جسداً منها، ولما وُلِد صار نائباً عن الله كابن الله في جسد إنسان، ذلك في المحيط البشري يُعلن عن الآب لأنه هو والآب واحد بالتساوي المطلق، ويُظْهِر حقيقة الآب غير المنظور: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، ويعمل كل مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان من عَرَض الخطية وعَرَض الموت الذي أصاب الإنسان نتيجة عصيانه لله، فحمل خطية الإنسان في الجسد ومات بالجسد ليُخلِّص الجسد، أي البشرية، من الخطية وعقوبة الموت. وقام بعد أن مات، فأقام الجسد - أي جسد الإنسان - بالروح ليحيا حياة ثانية جديدة بالروح منزَّهة عن الخطية والموت، ليحيا الإنسان مع الله كما كان في شخص آدم قبل السقوط، ولكن دون احتمال سقوطٍ مرةً أخرى أو عصيان أو موت، في حياة أبدية مع الله، متحداً بجسد المسيح ليتراءى الإنسان الجديد أمام الله الآب في المسيح كابن مع الابن.

و - **أنا هو** ἐγώ εἰμι، ومعناها "أنا الكائن بذاتي، أو أنا الكينونة"(٣).

هذا اللقب على فم المسيح يُعتبر لقباً استعلانياً، فهو يلفت النظر إلى أن المتكلِّم هو نفس المتكلِّم في أسفار العهد القديم: «**أنا هو الرب**»، «**أنا هو الرب الإله**».

---

(٣) راجع: *"المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"*، ص ٢١٨-٢٤٦.

وقد اختصَّ إنجيل يوحنا بهذا اللقب، لأن إنجيل يوحنا يُعتبر إنجيلاً استعلانياً، وقد ورد فيه هذا اللقب ٢٩ مرة، في حين لم يزد وروده في الأناجيل الثلاثة الأخرى عن أربع مرات! أما وروده في أسفار العهد القديم، فقد ورد ١٠٦ مرات بالنص الحرفي: «**أنا هو**». ويزيد إنجيل يوحنا في جعل هذا اللقب استعلانياً بالدرجة الأولى بأن سجَّله **كاسم شخصي للمسيح** في بعض المواضع تماماً، كما جاء في العهد القديم لاستعلان شخص الله المتكلِّم، ولكن الملفت للنظر جداً أنه يؤكد أن اسم الآب «**أنا هو**» قد أُعطِيَ للمسيح ليكون اسم المسيح «**أنا هو**» أيضاً، ممثِّلاً الآب أقوى وأدق تمثيل حيث نسمع المسيح في إنجيل يوحنا (الأصحاح ١٧) يُخاطب الآب هكذا: «أيها الآبِ القدوس احفظهم **في اسمك الذي أعطيتني**» (يو ١٧: ١١). وهذا مطابق للحقيقة التي أبرزها سفر الخروج ٢٣: ٢٠،٢١: «... ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، **لأن اسمي فيه**». وهنا نُوعِّي القارئ لعدم الدقة التي جاءت في الترجمة العربية، إذ جعلت الآية: «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني»، وهذا مخالف للنص اليوناني. وأيضاً: «كنت أحفظهم **في اسمك الذي**[٤] **أعطيتني**» (يو ١٧: ١٢)؛ موضِّحاً أن المسيح هو "الله متكلِّماً" أو هو "كلمة الله"، و"رسالة الله الشخصية"، فحين يتكلَّم المسيح، فالله هو المتكلِّم. ولكي يتحقق القارئ من هذا نعطي مثلاً لذلك:

(٤) الترجمة الصحيحة عن اليونانية: "الذي"، وليس: "الذين".

العهد القديم "الله"(٥)	العهد الجديد "المسيح"
«فيعرف المصريون **أني أنا هو** حين أتمجَّد» (خر ١٤: ١٨).	«فمتى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون "**أني أنا هو**"» (يو ٨: ٢٨).
«لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا "**أني أنا هو**"» (إش ٤٣: ١٠)	«لأنكم إن لم تؤمنوا "**إني أنا هو**" تموتون في خطاياكم» (يو ٨: ٢٤).
«أنا أرعى **غنمي** وأُربضها، يقول السيد الرب... فيعلمون "**أني أنا هو**" **الرب**» (حز ٣٤: ١٥، ٣٠).	«"**أنا هو**" **الراعي** الصالح، وأعرف خاصتي، وخاصتي تعرفني» (يو ١٠: ١٤).
«اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته "**أنا هو**". **أنا الأول وأنا الآخر**» (إش ٤٨: ١٢)	«"**أنا هو**" الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء» (رؤ١: ٨).
«"**أنا هو**" **الرب** فاحص القلب، مختبر الكُلَى، لأُعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر ١٧: ١٠).	«فستعرف جميع الكنائس "إني أنا هو" الفاحص القلوب، وسأُعطي كل واحد منكم بحسب أعماله» (رؤ ٢: ٢٣).

(٥) راجع القائمة الكاملة في كتاب: "*المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا*"، ص ٢٤٤-٢٤٦.

واضح هنا أن اسم الله في القديم كان "أنا هو" ἐγώ εἰμι، كما هو واضح أن الله أعطى اسمه هذا للمسيح "الابن": «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به **باسمي** أنا أُطالبه» (تث ١٨: ١٩)، «لأن اسمي فيه» (خر ٢٣: ٢٠،٢١).

ولكن ما معنى أن يحمل المسيح اسم الآب؟

المسيح يردُّ على ذلك ردّاً واضحاً مُقنعاً شارحاً ذلك: «أنا قد أتيتُ **باسم أبي**، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر **باسم نفسه**، فذلك تقبلونه» (يو ٥: ٤٣)، «الأعمال التي أنا أعملها **باسم أبي** هي تشهد لي» (يو ١٠: ٢٥). وعلى القارئ الباحث أن يلتفت إلى أن اسم "**أنا هو**" الذي كان ينطق به المسيح ليُعبِّر عن اللاهوت الذي فيه، يأتي بالعربية ناقص الفعل في قوله: "أنا هو". فحينما يقول: «أنا هو الراعي الصالح»، فأصلها في اليوناني: "أنا أكون الراعي الصالح" أو "أنا الكائن بذاتي الراعي الصالح". فالضمير في العربي "**هو**" في "أنا هو"، يأتي في اليونانية فعلاً "**أكون**" εἰμι، وليس ضميراً. لذلك اختفى الاسم الإلهي الذي للمسيح "أنا هو **أكون**" في كل الترجمة العربية للأسف.

فالمسيح عند قوله: «أنا هو الراعي الصالح»، يُعلن أولاً لاهوته بذكر اسم الألوهة كاملاً ἐγώ εἰμι "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الكائن"، ثم يُعلن ما صار إليه - الراعي - وتُفهم هكذا: "أنا الكائن بذاتي صرتُ راعياً"، وهو المعنى الحرفي في اليونانية لقوله: «أنا هو الراعي». وهكذا كل ما نطق المسيح بذكره "أنا هو"، فهو باليونانية "أنا الكائن" "ἐγώ εἰμι".

من هنا تنجلي أمام أعيننا قوة التعبير الإلهي في وصف المسيح لنفسه أنه الكائن **بذاته الأزلي**، وهو بذلك ليس راعياً لخراف حيوانية خرساء؛ بل راعياً **صالحاً**: «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد وهو الله» (مر ١٠: ١٨)، بمعنى "راعياً إلهياً" لحياة الخراف الناطقة. لذلك يقول أيضاً: «أنا الكرمة الحقيقية»، وترجمتها العربية الصحيحة: «**أنا هو** الكرمة الحقيقية»، حيث «الحقيقية» هنا ترفع عن الكرمة كيانها المنظور المادي وصلتها بالأرض، لأن الحقيقي هو السمائي **والأزلي**، وهو غير الظاهري المادي الفاني والزائل. فصفة **الحقيقية** للكرمة يُقابلها في الضمير "أنا" بوضعه **الأزلي** = "أنا هو" أو "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الله صرتُ كرمة حقيقية بتجسدي، وأنتم فيَّ من "لحمي وعظامي"" (أف ٥: ٣٠).

لذلك ننبِّه القارئ لاسم "أنا هو"، فهو يُعطي للإنجيل كله فهماً جديداً فائقاً متعالياً يليق بالمسيح الذي يقول: «أنا والآب واحد». **فأنا هو** ἐγώ εἰμι "**اسم واحد**" لجوهر الآب والابن، وهو اسم الألوهة ببيان ووضوح وتأكيد مفرح.

(أغسطس ١٩٩٣)

- ٢ -

المسيح "ابن الله"

هو اللقب المهيب، كان مترسِّخاً في التقليد اليهودي عن شخص المسيَّا الآتي، باعتباره "ابن الله"، ولكن بصورة غير معروفة ولا مفحوصة. هذا التقليد نسمعه واضحاً جليّاً في كلام رئيس الكهنة الذي يُعيده حسب التقليد المسلَّم عبر الأجيال، وذلك عند سؤال المسيح أثناء المحاكمة: «فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت **المسيح ابن الله**» (مت ٢٦: ٦٣)؟ وفي إنجيل القديس لوقا جاءت هكذا: «فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو» (لو ٢٢: ٧٠). كما نقلوا عن المسيح قوله: إنه «**ابن الله**» بنوع الاستهزاء هكذا: «وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلَّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يُخلِّصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلْينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. **قد اتكل على الله**، فلْينقذْه الآن إن أراده، لأنه قال: أنا ابن الله» (مت ٢٧: ٤١-٤٣).

وفي التقليد المسيحي المبكِّر جداً كان أول مَنْ نطق بلقب المسيح كابن الله هو القديس بطرس، حينما نال من الله الآب مباشرة الاستعلان الخاص بالمسيح، فقالها بوضوح جاعلاً لقب المسيح أنه ابن الله هكذا: «أنت هو **المسيح** ابن الله الحي» (مت ١٦:

١٦). وقد شهد له المسيح أن الله هو الذي أعلن له.

ولأن لقب "المسيًّا" حسب التقليد اليهودي كان متصلاً اتصالاً تقليدياً بلقبه "ابن الله"، لذلك نال لقب "ابن الله" كاستعلان شخصي للمسيح نفس ما نال لقب المسيًّا عند المسيح من الحذر وعدم ترديده وعدم الخوض في حقيقته، حتى لا يستخدمه اليهود للشكوى ضده لدى الرومان باعتباره ملكاً أرضياً سياسياً. ولأنه بحسب تقليدهم، يجيء ليُحارب الأمم (الرومان)، ويخلِّص إسرائيل، ويقيم مملكة داود.

ولكن هذا لم يمنع المسيح من أن يقول ويعمل بسلطان "ابن الله"، مما حيَّر اليهود وجعلهم يُسائلونه بأي سلطان تفعل هذا؟ فكان ردُّه على اندهاشهم أنه يعمل أعمال الآب، وأن ما يقوله هو كما يعلِّمه الآب، ناسباً إلى الآب كل ما كان فائقاً على المستوى البشري من أقواله وأعماله.

كما أنه قالها صراحة أنه "ابن الله" هكذا:

+ «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، **فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً!!** أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلتُ إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تُجدِّف، لأني قلتُ **إني ابن الله**؟ إن كنتُ

لستُ أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنتُ أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا **أن الآب فيَّ وأنا فيه**» (يو ١٠: ٣١-٣٨).

واضح جداً من محاجاة المسيح، أن الناس يمكن أن يُدعوا آلهة بحسب التوراة إذا صارت إليهم كلمة الله، ولكن المسيح بنوع ممتاز لم تَصِرْ إليه كلمة الله؛ بل كان هو **"كلمة الله"**، فكان من الحق أن يُدعى إلهاً وابناً لله، لأن الآب **قدَّسه** حال تجسُّده فصار قدوساً دون جميع الناس وأرسله كما جاء على فم الملاك للقديسة العذراء مريم: «**القدوس المولود منكِ** يُدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). معنى هذا أن تقديس المسيح لم يتم بعد ولادته؛ **بل هو القدوس أصلاً والمولود كذلك**. فهو إن كان يقول إنه ابن الله، فذلك ليس ادِّعاء بل هو ظاهر أمامهم قولاً وفعلاً أنه يعمل أعمال الله، لا كأنه يستوحي العمل من الله كأحد الأنبياء القديسين، ولكنه يعمل نفس عمل الله بتلقائية تنطق بصورة عملية أنه يعمل بسلطان الله ذاته.

فبالرغم من أن المسيح أثناء العماد تقبَّل من الله إعلاناً وشهادة أنه ابن الله الذي به سُـرَّ، إلاَّ أن المسيح لم يستخدم شهادة الله له لأنها كانت مُرسلة له هو خاصة، فوضعها في قلبه وانطلق على أساس هذه الشهادة يعمل أعمال الله كابن. والمسيح لم يستعمل بنوَّته لعمل المعجزات والآيات التي عمل، ولكنه قدَّم ببنوَّته طاعة مذهلة لا يقوى عليها إلاَّ ابن له عند الآب دالَّة، استطاع بها أن يقتحم دون خوف الموت على الصليب، لأنها كانت إرادة أبيه وهو على يقين أشد اليقين أنه سيقوم ويتمجَّد بالمجد الذي له قبل إنشاء

العالم ويرتفع فوق جميع السموات، ليُعلن للعالم كله بسمائه وأرضه أنه إنما أطاع حتى الموت كابن حقيقي ليتمجَّد الله أبوه ويُصالح له العالم، بهذا الموت عينه.

كذلك فبالرغم من أن المسيح تقبَّل نفس الشهادة من المجد الأسنى من الله من السماء أنه «الابن الحبيب» بشهود من العالم الآخر: واحد يمثِّل الناموس، وآخر يمثِّل النبوَّة: موسى وإيليا، وبحضور تلاميذه: واحد يمثِّل المحبة، وآخر يمثِّل الجراءة: يوحنا وبطرس؛ إلا أنه لم يستخدم هذه الشهادة، لأنه اعتبرها له خاصة كابن، وقد جعل له أبوه الناموس عضداً والنبوَّة مَدَداً، ليكمل خروجه خارج أورشليم ويتقبَّل موته، محقِّقاً بموته مجد الناموس ومجد النبوَّة كذبيحة كفَّارة كفيلة بأن تكمل كل الناموس وكل النبوات. فسار المسيح يشجِّعه الناموس وتدفعه النبوة حتى الصليب، وشرب الابن الكأس من يد الآب حتى قال: قد أُكْمِل. فكان الصليب أعظم شهادة أن المسيح هو ابن الله حقاً وربــّاً لمجد الله (في ٢: ١١). وأصبح كل مَنْ يؤمن بالصليب، يؤمن بالمسيح أنه ابن الله حقاً. لقد نطقها قائد المئة عن إعجاب بالمسيح مَلَكَ عليه قلبه وفكره: «ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: **حقاً كان هذا الإنسان ابن الله**» (مر ١٥: ٣٩). ومهما استصغر العلماء والنقاد من تعبير قائد المئة أن المسيح كان في نظره "ابن الله"، باعتباره ضابطاً وثنياً، إلاَّ أنه يكفيه أنه قدَّم أعظم شهادة عنده!! تُساوي عندنا الآن أعظم اعتراف وأقوى إيمان.

كذلك هذا الاعتراف المحاط بهالة من المهابة والمجد الذي قدَّمه

التلاميذ بعد أن هاج عليهم البحر بأمواجه العاتية، وهبَّت الرياح لتُذيقهم الموت عياناً، وإذا به يتقدَّم إلى قاربهم الذي تتقاذفه الأمواج «ولَمَّا دخلا (المسيح وبطرس) السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: **بالحقيقة أنت ابن الله**» (مت ١٤: ٣٢،٣٣). فمهما استصغر العلماء والنقاد من هذا الاعتراف الصادق الخارج من قلب مفعم بالخوف والرهبة والشكر والفرح معاً، فإنه يُعتبر على مستوى أعظم اعتراف يعترف به اليوم أعظم لاهوتي من حيث تقديرهم لمعنى بنوَّة الله كأعلى رتبة يمكن أن يوصف بها مخلِّص!

وكما يقولون، إن أعظم شهادة تأتي من أعظم عدو، فهذا هو الشيطان - الملاك الساقط من رتبته - الذي أُعطِيَ أن يُجرِّب المسيح بآخر ما عنده من مكر وخداع. وقد حَبَكَ الخطة لكي يستخدم شهادة الله للمسيح على نهر الأردن فرصة لإسقاطه من طاعة أبيه، ذلك بأن حاول أن يوحي له باستخدام سلطانه الخاص من دون أبيه واضعاً فيه لقب "ابن الله" موضع الشك: «**إن كنتَ ابن الله**، فقُلْ أن تصير هذه الحجارة خبزاً» (مت ٤: ٣)، وكان الرب صائماً لأربعين يوماً، وقد جاع أخيراً. فالتفت المسيح إليه متمسكاً **بالطاعة لكلمة الله**: «مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤: ٤). وهكذا أثبت المسيح أنه حقاً ابن الله، وأن له حياةً في ذاته هي في غِنَى عن خبز الجسد: «كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته» (يو ٥: ٢٦).

ثم عاد الشيطان أيضاً ليُشكِّك في بنوَّة المسيح للآب على نفس المستوى وبنفس الغرض: «إن كنتَ ابن الله، فاطرح نفسك إلى أسفل (من فوق جناح الهيكل). لأنه مكتوب: إنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك» (مت ٤: ٦). فبادره بالقول ومن نفس المكتوب: «لا تُجرِّب الرب إلهك» (مت ٤: ٧). وهكذا أثبت المسيح لثاني مرة أنه ابن الله بالحق، إذ رفض أن يُجرِّب أباه بل يحيا في طاعته.

وهكذا كانت عين الشيطان مُسلَّطة على استعلان الله لشخص المسيح كما سمعها على نهر الأردن أنه "ابن الله". فكانت محور تجاربه ليُشكِّكه في ما هو متيقِّنٌ منه، فلم يستطع! وبهذا شهد الشيطان رغم أنفه أن المسيح هو ابن الله. وهذه المحاورة تكشف عن معرفة الشيطان أن المسيح كان متيقِّناً في ذاته أنه ابن الله، وهدفه أن يثنيه عن طاعته البنوية لله أبيه بإغرائه على استخدام سلطانه الخاص دون تدبير من الآب. لأن الواضح من حياة المسيح وكل أعماله، أنه لا يعمل من ذاته؛ بل كل ما يُريه الآب، هذا يعمله. فرسالة الابن الأولى والعظمى كانت في طاعته للآب حتى الصليب.

فمن تجربة الشيطان على الجبل ندرك ونتيقَّن أن المسيح كان معروفاً تماماً لدى الشيطان أنه ابن الله، وأن المسيح بطاعته المطلقة لله غلب الشيطان، فأثبت أنه ابن الله حقاً.

ولكن، لا من تجربة الشيطان، ولا من سؤال رئيس الكهنة، ولا من علاقة لقب المسيَّا بابن الله كما انحدر في التقليد اليهودي؛

عرف التلاميذ أن المسيح هو ابن الله. إذاً، فالسؤال الآن: من أين استقر في الكنيسة الأولى أن المسيح هو "ابن الله" عن تحقيق وإيمان؟ أما الجواب فهو: أنه لا يوجد أي مصدر لذلك سوى المسيح نفسه بتصريحه أحياناً، أو من جراء معرفته الفائقة بالله كآب وتكراره لذكر الله أنه أبوه الحقيقي. وأكثر الآيات التي ألهمت الكنيسة بأن المسيح هو ابن الله حقاً، قوله الذي حقَّقه بأعماله أن «ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، **ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن،** ومَنْ أراد الابن أن **يُعْلِنَ** له» (مت ١١: ٢٧).

ومعرفة المسيح بالله كابن الله كان يشهد لها دالته الشديدة لله، سواء في صلاته بينهم (التلاميذ)، أو في حديثه الذي كان يُلهب قلوبهم إذ قرروا أنَّ «كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨)!! أما المعجزات والآيات، فكانت تأتي تدليلاً على أنه ابن الله وليست سبباً. وليس أدلّ على ذلك من قوله لتلاميذه: «... مَنْ يؤمن بي (كابن) فالأعمال التي أنا أعملها، يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها» (يو ١٤: ١٢)!!

ولكن الذي رسَّخ عقيدة ابن الله في قلوب التلاميذ والكنيسة الأولى بعد تقبُّلهم لهذه المعلومة من فمه؛ إن صراحة، وإن تلميحاً، وإن تدليلاً بأعماله؛ هي النبوات. فالمزمور الثاني كان له أوضح تأثير في قلوب التلاميذ من جهة عقيدة الإيمان أن المسيح هو ابن الله. وهذا واضح من استخدامهم لهذا المزمور في صلاتهم لله بعد ما ضُرِبوا وأهينوا من أجل اسم المسيح بعد يوم الخمسين بقليل هكذا: «فلما سمعوا (خبر ضرب بطرس ويوحنا) رفعوا بنفس واحدة

صوتاً إلى الله، وقالوا: أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم وتفكَّر الشعوب بالباطل؟ قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب **وعلى مسيحه**. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع، الذي مسحته، هيرودس...» (أع ٤: ٢٤-٢٧). أما بقية المزمور فيقول صراحة: «... إني أُخبر من جهة قضاء الرب: **قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك**. اسألني فأُعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلْكاً لك» (مز ٢: ٧،٨).

هكذا بمنتهى الوضوح أعطى الله النبوَّة على فم داود ليُعلن أن **مسيحه هو هو ابنه بالدرجة الأولى**. ولكن لنا ملاحظة هامة: أن إعلان الله: «أنا **اليوم** ولدتُك»، ليست إشارة إلى يوم ميلاده من العذراء؛ بل إلى ميلاده الجديد بالقيامة من بين الأموات. وهو أعظم أيام البشرية، لأن يوم وُلد ابن الإنسان بالقيامة من بين الأموات، وارتفع إلى أعلى السموات ليجلس عن يمين أبيه؛ كانت البشرية فيه بالجسد قائمة شريكة وممجَّدة بمجده.

فقول الله في المزمور «**أنا اليوم ولدتُك**»، كان هو يوم الخلاص للبشرية كلها من اللعنة وفكها من قيود الخطية والموت. فكان بالحق مولد ابن الإنسان، آدم الثاني، من بين الأموات، هو اليوم الذي فيه وُلدت البشرية من جديد للحياة الأبدية الجديدة. ولهذا رتبت الكنيسة في طقس معموديتها منذ أول ممارستها له أنشودة الميلاد العظمى التي يقولها الشاهدون لمعمودية الإنسان المعمَّد: «استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات، فيُضيء لك المسيح...»!! وقد

أوردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس حينما قال: «لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات، فيُضيء لك المسيح» (أف ٥: ١٤).

كذلك أيضاً كانت نبوَّة دانيال مضيئة ورائدة لذهن الكنيسة في استشفافها لصدق وواقعية لقب ابن الله للمسيح، حيث يتضح من قول النبوَّة: «كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان، **أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب** والأمم والألسنة، سلطانه سلطانٌ أبديٌّ ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٣،١٤).

فالتلاميذ الذين عاينوا انطلاق المسيح يوم صعوده، وقد أخذته سحابة عن عيونهم وسمعوا تأكيد الملائكة لهم أنه «ارتفع عنكم إلى السماء» (أع ١: ١١)، قارنوا هذا بوعد المسيح السابق والمؤكَّد لديهم القائل: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة... **أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً...**» (يو ١٤: ١،٢). هكذا علموا من المسيح أنه ذاهب إلى الآب، وهكذا تيقَّنوا من دانيال أيضاً قوله: «أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطِيَ **سلطاناً ومجداً وملكوتاً** لتتعبد له كل الشعوب والأمم...» (دا ٧: ١٣،١٤). فوضح أمام أعينهم أن "ابن الإنسان" الذي طالما سمعوه من المسيح، هو هو "الابن" الذي «قدَّموه إلى - الآب - العتيق الأيام» ليأخذ «سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم». وبالقدر الذي أدركوا أنه ابن الله، أدركوا

رسالتهم التي أخذوها منه: «فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفِعَ إليَّ **كل سلطان** في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتَلمِذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس...» (مت ٢٨: ١٨،١٩).

فالمسيح الذي نسب إلى نفسه لقب "**ابن الإنسان**" عن جدارة وبحسب نبوة دانيال كان يُدرك حقاً ويقيناً أنه **ابن الله**! وهكذا باليقين الذي عاشه المسيح وسط تلاميذه أنه ابن الله، كان نفس اليقين الذي انطلق منه التلاميذ والكنيسة الأولى تُنادي به وتؤمن وتعترف به أنه ابن الله.

كذلك لما ألحَّ المسيح في التعبير عن نفسه أنه "**ابن الإنسان**"، كان هو نفس الإلحاح بالأقوال والأعمال ليوضِّح لتلاميذه أنه "ابن الله". و**بسلطان الله** كان يقول ويعمل بل يموت ويقوم!! لهذا يُنادي بولس الرسول: «وتعيَّن ابن الله... بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤).

أما عند المسيح، فكان لقب "**ابن الله**" طاغياً على كل مَلَكاته، وقد ربطه هذا الشعور بالله كأب كان يراه دائماً حاضراً معه كل حين: «وأنا لستُ وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦: ٣٢). وكان هذا الشعور بهذا اللقب مصدر أمانه وسلامه وافتخاره وعمله: «ولكن ليفهم العالم أني أُحب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا أفعل» (يو ١٤: ٣١)!

وكان يحزن في نفسه حزناً لا يُدركه العالم، حينما كان يُمجِّد أباه ويكرمه بالقول والعمل، واليهود يُهينونه: «أجاب يسوع: أنا

ليس بي شيطان، لكني "**أُكرم أبي**" وأنتم تهينونني» (يو ٨: ٤٩). أما فخر بنوَّته لله أبيه، فقد بلغ إلى القمة لما ارتضى أن يستلم كأس الموت والعذاب من يد أبيه، وقد ألغى إرادته: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢: ٤١)، وأطاع إرادة أبيه حتى الموت!!

وهكذا بطاعة الابن لأبيه حتى الموت، قبلنا نحن رفع الموت عنَّا، وقبلنا من الآب الحياة. وسنظل مديونين لبنوَّة المسيح لله ولطاعته حتى الموت، لا بحياتنا وحسب؛ بل وحصولنا على بنوَّة الله فيه. وهكذا أصبح لقب ابن الله، هو أساس إيماننا الذي نستمد منه الحياة.

أما أساس مديونيتنا لابن الله، فهو الإنجيل الذي لا يُخاطبنا كعبيد بعد، بل كأبناء وأحباء، وذلك في ابن الله. فعطف الله نحونا إنما يعبُر إلينا من خلال عطفه وحبه لابنه الوحيد. وحبنا نحن لله لا يمكن أن نرفعه منَّا إليه مباشرة، وإنما من خلال حب الابن للآب، نُقدِّم حبنا لله كأبناء في المسيح. بل والحياة التي سنحياها عتيداً في ملكوت الله هي نابعة من حياة الابن المفتوحة على الآب. كذلك، فالمصالحة التي تمَّت لنا مع الآب، إنما تعبُر إلينا من خلال صليب ابنه: «ولكن الكل من الله الذي **صالحنا لنفسه بيسوع المسيح**... أي إن الله **كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه**، غير حاسبٍ لهم خطاياهم...» (٢كو ٥: ١٨،١٩).

وبالنهاية نحن لن نبلغ قمة خلاصنا ومصالحتنا مع الله الآب إلاَّ بتوسُّط الابن، باعتباره واحداً مع الآب!! فمن وحدة الابن مع الآب نستلم ملء الحب والغفران والخلاص والتبنِّي والمجد، وأخيراً الشركة

ودوام الحياة: «ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... **وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد. **أنا فيهم وأنت فيَّ** ليكونوا مُكمَّلين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، **وأحببتهم كما أحببتني**» (يو ١٧: ٢١-٢٣).

وهكذا يتضح أمام القارئ قيمة البنوَّة العظمى التي للمسيح في الله. فبسبب حب الآب للابن، أخذ الابن كل ما لله؛ وبسبب تجسد الابن، أعطانا الابن كل ما له. وهكذا صارت بنوة الابن لله مصدر كل عطايا الله لنا. فبالابن صرنا قريبين من الله، بل أبناءً وأحباءَ؛ أما بدون الابن فلن نملك شيئاً مما لله، بل نظل غرباء وربما أعداء وتحت الغضب (يو ٣: ٣٦).

وليس عبثاً يبتدئ كل من إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس يوحنا بعماد المسيح وإظهار الإعلان السماوي: «أنت ابني الحبيب الذي به سُررتُ» (مر ١: ١١). فهذا هو التعريف السماوي بمَنْ هو المسيح، بتسجيل سماوي سمعه المعمدان وشهد به. وبهذا اللقب انطلق المسيح بالإنجيل يكرز بقرب ملكوت الله كابن ووريث، ويُنادي بالتوبة للخلاص. فقد انفتحت السموات على قضية الإنسان، وظهر الشفيع والمحامي الذي سيتبنَّى قضية الإنسان ويرفع الحكم باللعنة والموت، ويراهن على كسبها لحسابنا بدمه!! فليس إلاَّ الابن مَنْ قد استحق أن يرفع غضب الله بطاعته وبرِّه وطهارة قلبه ويديه، ويُكمل المصالحة والسلام بذبيحة نفسه على مرأى من السمائيين والأرضيين.

وبمجرد أن رأى المسيح السماء تنفتح لصلاته وهو خارج من الماء، وصوت الآب يرنُّ من السماء فتتجاوب أصداءه الدهور «أنت ابني الحبيب»؛ حتى بدأ في قلبه استعلان درب الصليب واحتضنه المسيح منذ البداية بطاعة أكملته حتى النهاية، ومن تلك الساعة لم يغب ظِلُّ الصليب عن وعيه، فإرادة أبيه بتكميل الموت صارت مسرَّة نفسه، ولم يعُدْ يرى لنفسه إرادة إلاَّ طاعة الآب كما كان منذ الأزل. وبهذه الوحدة الأزلية مع الآب، دخل التجربة إزاء الشيطان، لا كما دخلها آدم فاندحر ونال الموت عقاباً؛ بل كابن في حضن أبيه دحر الشيطان بطاعته لله حتى الموت، فصرع الشيطان وانتزع حُكْم الموت من بين أسنانه، الذي صدر علينا بسببه.

وهكذا انكشف لبولس الرسول سر الله والمسيح الذي استؤمن عليه، فقال:

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً؛
الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحْسِب خُلْسَةً أن يكون مُعادلاً لله؛
لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس؛
وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب؛
لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه **"الاسم"** τό ὄνομα (رب) الذي فوق كل اسم؛
لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض؛ ويعترف كل لسان أن يسوع

المسيح هو "ربٌّ لمجد الله" الآب» (في ٢: ٥-١١).

هنا وفي هذه المقولة اللاهوتية الغنية نتحسس ماذا فعل صوت الآب من السماء على نهر الأردن، حين دعاه «**أنت ابني** الحبيب الذي به سُررت». كيف صار فيه الفكر أنه الابن المعادل للآب، ليس خلسة بل بشهادة الآب وتوثيقه!! ولكن هذا لم يمنعه من أن يُخلي ذاته من كل مجد ظاهر ويتجسد كإنسان، ثم يأخذ لنفسه صورة العبد لكي يؤدي الطاعة التي لا يستطيعها إلاَّ "عبد" وهو الابن. هذه الطاعة التي قيَّمها الله أبوه بأن رفَّعه إلى سابق علوٍّ مجده وأجلسه عن "يمينه".

هكذا وبدالة الابن كان المسيح عالماً بكل ما سيأتي عليه، فقبله وحيَّاه قبل أن يأتي، وأَوْلَم وليمة لذكرى صلبه قبل أن يُصلب، وسفك بيديه دمه وأودعه كأساً وسقى تلاميذه، ومن الجسد اقتطع وأطعم أحباءه؛ فصار الإنسان شريكاً في العهد الجديد بسفك الدم وذبح الجسد، فنال من الرفعة ما ناله المسيح، وجلس معه كما جلس الابن عن يمين الآب.

فلولا حقيقة ابن الله التي كان يحياها المسيح مع الآب، ما استطاع أن يطيع وما استطاع أن يجعل الصليب وليمة حبٍّ يقدِّم فيها ذبيحة جسده للآب عن حياة العالم كمشيئة أبيه. كما أنه لولا أن الذي صُلب هو حقاً "ابن الله"، ما رُفعت خطية لإنسان وما انفتح ملكوت لكل أحد! إذاً فقد تعمَّد الآب أن يُسمعه صوته مرتين: «أنت ابني الحبيب الذي به سُررتُ» ليعضده في رحلة الموت الرهيبة، وحتى يطأ الموت ومَنْ له سلطان الموت بوعي

الانتصار، ليعرف مَنْ في السماء والأرض أنه ابن الله!! وبجسد الإنسان الذي أغراه الشيطان يوماً في الفردوس ليعصي الله ويخالف الوصية، سحق ابنُ الله رأس الحيَّة على الخشبة واكتسب للإنسان عودة سعيدة وأبدية إلى أحضان الله.

لذلك ومنذ أن وُلد، رافقته إعلانات الله، بل وهو في البطن جنين من فم الملاك: «... فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ **يُدعى ابن الله**» (لو ١: ٣٥)، «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. **هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى**...» (لو ١: ٣١،٣٢).

هذه الوعود التي قيلت فيه عرفها بالروح وسكنت قلبه ووعيه، وردَّدها كما هي للكتبة والفرِّيسيين: «**فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم**، أتقولون له: إنك تجدِّف، لأني قلتُ **إني ابن الله**» (يو ١٠: ٣٦).

والذي قيل في المسيح بشهود، وَعَتْهُ حتى الشياطين وصرخوا في وجهه: «آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيتَ لتُهلكنا، أنا أعرفك مَنْ أنت "**أنت قدوس الله**"» (مر ١: ٢٤)، «والأرواح النجسة حينما نظرته خرَّت له وصرخت قائلةً: إنك أنت **ابن الله**» (مر ٣: ١١)، وأخيراً نطق التلاميذ: «يا ربُّ إلى مَنْ نذهبُ، كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنَّا **وعرفنا** أنك **أنت المسيح ابن الله الحي**.» (يو ٦: ٦٨،٦٩).

وفي مَثَل الكرَّامين الأردياء، يكشف المسيح كما في لغزٍ واضح أنه الابن الوحيد المحبوب هكذا:

+ «فإذ كان له أيضاً ابن واحد حبيب إليه، أرسله أيضاً إليهم أخيراً قائلاً: إنهم **يهابون ابني**. ولكن أولئك الكرّامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله فيكون لنا الميراث. فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم...» (مر ١٢: ٦-٨).

على أن الكتبة والفرّيسيين أدركوا من هذا المثل ومن لقب الابن الواحد الحبيب، أنه يتكلّم عن نفسه، وبالتالي أنهم هم القتلة. ففي الحال تحرّكوا ليرجموه.

والآن نختم بحثنا المختصر هذا عن "الابن"، ابن الله، هذا اللقب الجليل، بهذا النشيد الإلهي:

+ «في ذلك الوقت (بعد اعتراف بطرس[١]: "أنت هو المسيح ابن الله الحي") أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه (المسيح ابن الله) عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك. كل شيء دُفِعَ إليَّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومَنْ أراد الابن أن يُعلِن له» (مت ١١: ٢٥-٢٧)!

(أكتوبر ١٩٩٣)

---

(١) واضح من إنجيل القديس لوقا (وهو مؤرِّخ مدقِّق) أن قول الرب هذا: «أحمدك أيها الآب...» الذي ورد في الأصحاح العاشر (لو ١٠: ٢١،٢٢)، جاء بعد اعتراف القديس بطرس الذي ورد في الأصحاح التاسع (لو ٩: ١٨-٢٠)، ولو أن إنجيل القديس متى لم يتقيَّد بالترتيب الزمني للحوادث.

- ٣ -

"ابن الإنسان"

اللقب المحبوب عند المسيح

هذا اللقب "ابن الإنسان"، اختاره المسيح ليُخفي به لقب "المسيَّا"، الذي كان اليهود يستخدمونه في تمنياتهم وانتظارهم، باعتباره الملك الآتي، ابن داود، لكي يردَّ المُلْك لإسرائيل ويُقيم مملكة داود النبي حسب النبوّات التي فسَّروها لحساب نُصرة إسرائيل على الأُمم وعلوِّ مملكتهم على ممالك العالم. وفي نفس الوقت ليستعلن بهذا اللقب عينه حقيقة المسيح التي غابت عن ذهن اليهود أنه "ابن الله" وصاحب الملكوت السماوي لحساب الآب، وهو لقب المسيَّا الحقيقي في نبوّة دانيال النبي.

ولكي نتعمَّق معنى ابن الإنسان كما كان يراه المسيح في نفسه، نُعطي هنا ردود المسيح التي استخدم فيها لقب "ابن الإنسان" ليتضح لنا معناه:

+ «فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج (المشلول): يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يُفكِّرون في قلوبهم: لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف، مَن يقدر أن يغفر خطايا إلاَّ الله وحده؟ فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يُفكِّرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: لماذا تُفكِّرون بهذا في قلوبكم، أيُّما أيسر أن يُقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال: قُمْ واحمل سريرك وامشِ؟

ولكن لكي تعلموا أن **لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا...**» (مر ٢: ٥-١٠).

هنا أعطى المسيح لابن الإنسان من السلطان لمغفرة الخطايا ما يُعادل ما لله. وهنا يتضح للقارئ بطلان كل أبحاث العلماء الذين قرروا أن لقب "ابن الإنسان" لا يزيد قط عن لقب إنسان!! فمن كلام المسيح يستحيل أنه كان يقصد أن للإنسان سلطاناً كسلطان الله تماماً في مغفرة خطايا الناس، ولكن الذي يقصده المسيح عن حقٍّ ويقين أن لقب "ابن الإنسان"، هو اللقب التجسيدي الخاص جداً بابن الله. فابن الله هو الوحيد الذي له سلطان مغفرة الخطايا كسلطان الله تماماً.

وهنا المسيح يوجِّه أنظارهم عبثاً أن سلطانه في مغفرة الخطايا وصُنْع المعجزة لشفاء المفلوج بآن واحد، لا يعود قط إلى أنه مجرد إنسان، بل لأنه "ابن الإنسان" أي الله **المتجسِّد**، أو ابن الله الذي صار في الهيئة **كإنسان** عندما أخذ لنفسه جسداً. والمسيح يقولها وهو يعلم أن لقب "ابن الإنسان" كما جاء في كل كتب الأبوكاليبسيس (الرؤيا) التي لليهود، من أسفار عزرا وأخنوخ ودانيال، يشير إلى الإنسان السماوي المسيَّاني الذي يوصف بكل أوصاف يهوه الرب؛ إذ دائماً يُعطي هذا اللقب صورة مَن يركب السحاب، الذي هو صفة الله يهوه وحده، والتي سبق المسيح وأعطى لنفسه هذه الصورة عينها في بداية خدمته: «وقال له: الحقَّ الحقَّ أقول لكم: من الآن **تَرَوْن السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان**» (يو ١: ٥١). فهل ابن الإنسان هنا هو مجرد إنسان كما

يقول العلماء؟؟

وعاد الرب وكررها مُضيفاً إليها هيئة ركوبه على السحاب لتستيقظ أرواحهم الغارقة في الجهالة: «وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون **ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء**» (مت ٢٦: ٦٤). هذا نصٌّ ماسيَّاني في غاية الوضوح، حيث يظهر المسيح عن يمين الله بمفهوم **التساوي المطلق**، ثم مجيئه الثاني بمجدٍ على السحاب.

فارتباط "ابن الإنسان" عند المسيح بمغفرة الخطايا (مر ٢: ٥-١٠)، **وبالدينونة** العتيدة: «**وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان**» (يو ٥: ٢٧)، هو رفع كبير للغاية من شأن ابن الإنسان، إذ تُنسب إليه الدينونة وكأنه أعظم منها. فهي تُعطَى له **لأنه ابن الإنسان**، كما نقول، **لأنه ابن** الله أو **لأنه** الله. هنا قصد المسيح المباشر أن يجعل مجده وسلطانه السابق على التجسُّد فعَّالاً كما هو في وضع التجسُّد. وكأنه يقول ويكرر أن **ابن الإنسان، هو ابن الله، وصار آدم الجديد، وله كل صلاحيات ابن الله!!**

كذلك يُعطي المسيح صورة مضيئة لـ "ابن الإنسان" لا يُدانيها مخلوق، حينما أوضح أنه في مجيئه كابن الإنسان، فسوف تُضيء السموات من أقصاها إلى أقصاها، وكأنها حضرة الله ذاته: «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً **مجيء ابن الإنسان**... ويُبصرون **ابن الإنسان** آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير» (مت ٢٤: ٢٧،٣٠).

هنا المسيح يمعن في إيقاظ قلوبنا أن الجسد الذي أخذه من بشريتنا لا يُفارقه، وهو قائم دائم في أَوَج مجده وسلطانه. فابن الإنسان هو هو المسيح مُستَعْلِناً لاهوته في بشريته. فالمجد والسلطان والقوة لا تُفارق بشريته، وإنما أضافت بشريته إليه إمكانية نظرنا إليه ورؤيته الكاملة والتعرُّف عليه والاقتراب من لاهوته بل والشركة معه.

فاستخدام المسيح للقب ابن الإنسان، هو تعزيز لبشريته واستعلان للاهوته بآن واحد. وهو يتمسك بهذا اللقب ليُفرِّح قلبنا ويُبهج أرواحنا، لنقترب إليه ببساطة الأطفال وفرح الحكماء، لأنه أخونا بكر القيامة من بين الأموات، الذي ارتفع إلى أعلى السموات وصار مُحمَّلاً بالهدايا والنِّعَم والبركات، يُغدقها بلا كيل على كل الذين يقتربون به إلى الله. فحينما نراه وهو يُضيء السموات من أقصاها إلى أقصاها، سنعرفه ونحبه، ولن نخاف منه لأننا سنراه كما هو، ابن الإنسان الذي أحبَّنا وأسلم ذاته إلى الموت من أجلنا، واستعاد مجده في الذات الإلهية ليهب منها بلا كيل. أما علامة ابن الإنسان التي ستظهر في السماء وتقطع بأنه هو هو، فهي جوقة القديسين، الذي سنعرفهم بأسمائهم، من حول الرب، وبذلك لن نخطئ معرفته.

ولكن لا يفوت على المسيح أن يُحذِّرنا حتى لا نلهو ونعبث بمحبتنا ونستهين بحبه وذبحه على الصليب، لئلا يجيء بغتة ولا نكون باستعداد التعرُّف عليه والهتاف والتهليل وإعطاء المجد: «اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين، لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من

جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قدَّام ابن الإنسان» (لو ٢١: ٣٦). فالمسيح على صلة دائماً بنا حسب وعده، وهو يلهب فينا حب الصلاة والتضرُّع، لأنه يشتهي أن يجدنا حسب قلبه عندما يأتي في مجده، فيجد فينا الإيمان الحي والحار الملتهب الذي يليق بمجيئه العظيم: «ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعلَّه يجد الإيمان على الأرض» (لو ١٨: ٨). والسؤال هو لي ولك، أيها القارئ العزيز، فصوت العريس على الأبواب، ومصابيحنا تكاد تنطفئ!!!

ومن أقوى وأعمق الأمثلة التي قدَّمها المسيح عن موت ابن الإنسان الفدائي والخلاصي بآن واحد، المثل الذي قاله: «فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطَى له آية إلاَّ آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ» (مت ١٢: ٣٩،٤٠). وشرح هذا المثل جليل للغاية، ولكن للأسف الشديد انشغل المفسِّرون بالثلاثة الأيام والثلاث الليالي، وهي على هامش المثل. ولكن لُبَّ المثل خطير، لأن يونان ألقاه البحَّارة في البحر باعتباره أنه خيرٌ أن يموت واحد ولا تهلك السفينة كلها. فتحويل الله موت يونان إلى نجاة عظيمة له، يُعتبر بحدِّ ذاته معجزة المعجزات، ثم كانت نجاته وحياته خلاصاً لأهل نينوى الذي تابوا بمناداته. هكذا كان تماماً مع سنهدريم رؤساء الكهنة، وإعلانهم أنه خيرٌ أن يموت واحد عن الأمة ولا تهلك الأمة كلها، فدفعوه إلى الموت (يو ١١: ٥٠). ولكن تمَّت في المسيح نفسه معجزة يونان، إذ أقام الله المسيح من الموت بإعجاز يفوق العقل فتمجَّد

الله بحياته، وصار موته فداءً للعالم، وحياته خلاصاً له!!

فهنا شخصية "ابن الإنسان"، ارتفعت ارتفاعاً مجيداً للغاية، لأنه صارع الموت بروح الله الذي فيه. وبسبب قداسته الفائقة وقداسة جسده الذي حلَّ فيه ملء اللاهوت، لم يقوَ عليه الموت؛ بل إن ابن الإنسان صرع الموت بموته وأباد بالقيامة سلطانه، لا عن نفسه وعن جسده فقط، بل وعن كل البشرية التي فداها بموته وأحياها بحياته.

بهذا الشرح اللاهوتي الذي قصده المسيح من هذا المثل، يتحوَّل المثل من مجرد تشبيه يشوبه الضعف والإبهام، إلى حقيقة لاهوتية مضيئة تجعل من موت المسيح أعلى صورة للفداء، وقيامته أعظم قوة مجدِّدة للحياة؛ فيأخذ ابن الإنسان بمقتضاه لقب الفادي والمخلِّص بآن واحد!!

وكما أن الحوت لم يستطع أن يقتنص يونان وهو في باطنه ويلتهمه، بل كان في بطنه كالوجيعة؛ هكذا صار ابن الإنسان في الهاوية فلم تستطع أن تُطبق عليه فاها، ولا قدرت أن تُمسك به، لأنه أية قوة للموت على المحيي وصاحب الحياة. فكما قذف الحوت يونان من بطنه متضجراً، هكذا قذفت الهاوية ابن الإنسان بعد أن أصابها العار والانهزام.

أما الجيل الفاسق الشرير بشبه أهل نينوى، فسيظل ينتظر التوبة بمناداة المسيح والإنجيل.

ويُعطي المسيح صورة **لأيام ابن الإنسان** كيف هي سارت مع التلاميذ بملء المسرة، والمسيح يُعلِّم كل يوم جديداً، ويفك مغاليق

الحقائق الإلهية، ويسكب من ينبوع محبته ليشرب المحبون ماء الحياة مجاناً، والإيمان يتحوَّل في بطون التلاميذ إلى ينابيع أنهار حية. لقد صوَّر المسيح أيام ابن الإنسان بالعُرس الذي تمتد أيامه بامتداد أيام العريس وهو معهم؛ ولكن حينما يُرفَع العريس، حينئذ يصوم التلاميذ ويعودون ليشتهوا يوماً من أيام ولائم حب العريس... آه، مَن يُعطينا؟!!! فأيام ابن الإنسان في نظر المسيح هي أيام تجسُّد الابن الوحيد المحبوب مع أحبائه وخاصته الذين أحبهم إلى المنتهى!!

صورة ابن الإنسان يوم مجيئه:

المسيح يُشبِّه يوم مجيء ابن الإنسان، بيوم مجيء الطوفان بغتة ليُهلك مَن كان خارج الفُلْك، الذين كانوا مشغولين بهمِّ العالم وشهواتهم: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي **ربكم**... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي **ابن الإنسان**» (مت ٢٤: ٤٢،٤٤).

واضح هنا التطابق بين "**ربكم**"، وبين "**ابن الإنسان**".

والمسيح هنا يسبق ويترجَّى ويتوسل «اسهروا»، لأنه لا يريد أن تكون صورة ابن الإنسان مخيفة أو مزعجة لنا، لأنه هو الحبيب ويكره أن يكون مكروهاً، لهذا يتوسل حتى تظل صورة ابن الإنسان في قلوبنا حلوة، وانتظاره كانتظار العذارى الحكيمات، زيتهنَّ تحت أيديهنَّ، ساهرات باستعداد لحظة التسبيح والهتاف: "العريس أقبل".

ولا يَخفَى عليك، أيها القارئ الحبيب اللبيب، أن المسيح حينما

يقول هنا عن يوم مجيء ابن الإنسان، فهو يتكلَّم عن نفسه. فالمسيح يتوق أن يتراءى في وسط محبِّيه كعريس حقيقي يخطف حبُّه وجماله وقلوب مُحبِّيه. فالعريس لا يصبح عريساً إن لم تكن له عروسٌ أي عذارى ساهراتٌ.

فالمسيح قلق علينا، يسأل عن إيماننا حتى إذا جاء يتمجَّد وسط قديسيه، ويسأل عن سهرنا حتى يجيء وسط تهليل مُنتظريه. وهو بهذا وذاك ينقل إلينا قلقه من جهتنا حتى لا نستهين بالزمان، فيضيع الخلاص من قلوبنا ظلماً، ونسوِّف العمر باطلاً، فيأتي زمان الحصاد وإذا البذار قد أكلتها العصافير.

والمسيح يضع عِوَض صورة ابن الإنسان المضيء السماء كلها يوم مجيئه وسط تهليل أحبائه وأولاده ومتَّقيه، صورة لصٍّ ينقضُّ على حين غرَّة ليخطف الحياة وينهب كل رجاء الإنسان: «فاذكر كيف أخذت وسمعت، واحفظ وتُبْ، فإني إن لم تسهر أُقْدِمُ عليك كلصٍّ، ولا تعلم أية ساعة أُقْدِمُ عليك» (رؤ ٣: ٣)، وكما يقول بولس الرسول: «لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلصٍّ في الليل هكذا يجيء» (١تس ٥: ٢).

لأن نبوة دانيال النبي يتضح فيها دور المسيَّا **الأُخروي**، فابن الإنسان - في رؤيا دانيال - بعد أن أكمل عمله وحياته على الأرض، رآه قادماً على سحاب السماء، ورآه وهم يُقدِّمونه «إلى عتيق الأيام»، وهو تعبير فيه أقصى الاجتهاد للإشارة إلى الآب، هكذا:

+ «كنتُ أرى في رؤى الليل، وإذا مع سُحُب السماء، مثل ابن

إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٣،١٤).

فنحن لو وضعنا هذه النبوَّة بدقائقها أمام الحدث الفعلي المنظور من التلاميذ والملائكة بعد أربعين يوماً من قيامة المسيح، والمسيح صاعد في سحب السماء، نستطيع أن نتبيَّن الأصول الدقيقة التي عاشها وأشار إليها المسيح طبقاً لنبوَّة دانيال، وذلك كما جاء في سفر الأعمال بواسطة لوقا البشير هكذا:

+ «الكلام الأول (إنجيل القديس لوقا) أنشأتُه يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلِّم به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم، الذين أراهم أيضاً نفسه حيّاً ببراهين كثيرة بعدما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلَّم عن الأمور المختصة بملكوت الله... لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.

ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض، وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى

السماء» (أع ١: ١-١١).

فإذا أخذنا بواقع وصف "ابن الإنسان" عند دانيال نجده اسماً اسخاتولوجياً، أي اسماً يختص **بشخصية سماوية** مثل "**ابن الإنسان**"، **يأتي** ويُقرِّبوه إلى عتيق الأيام، الذي هو تعبير واضح عن المسيَّا القادم الذي لم يكن على مستوى أبناء الإنسان تماماً، ولكن مثل ابن إنسان. لذلك نرى أن المسيح عند استخدامه لاسم "ابن الإنسان"، إنما يستخدمه في وضع اسخاتولوجي أي يختص بمستقبل حياة المسيح بالدرجة الأولى كما هو من واقع نبوَّة دانيال. فهو يستخدمه للتعبير عما سيجوزه من الآلام والصلب والموت باعتباره أنه قد أخلى ذاته كإله وصار مثل ابن إنسان بل وعبد: «**لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب**» (في ٢: ٧،٨).

كما استعمله عند صعوده وجلوسه عن يمين الآب، وكذلك في مجيئه الممجَّد والمُظفَّر: «فإن ابن الإنسان **سوف يأتي في مجد** أبيه مع ملائكته، وحينئذ يُجازي كل واحد حسب عمله» (مت ١٦: ٢٧). **ويُلاحَظ هنا ربط لقب** "**ابن الإنسان**" **بالله كأب** له، شأنه شأن ابن الله بكل وضوح، وذلك فيما يختص بالدينونة المزمعة أن تكون.

ولكنَّ المسيح كان يستخدم لقب "ابن الإنسان" بحكمة بالغة. فعندما قال بطرس بالإلهام: "أنت هو **المسيح**"، انتهره المسيح ألاَّ يقول ذلك لأحد، ثم أسرع المسيح وأعطى صورة حقيقية لنفسه - تتنافى كليّاً مع ما يتوقَّعه اليهود في المسيَّا القادم - ونسبها لابن

الإنسان، وهو في ضميره يقصد بها نفسه هو:

+ «فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح، فانتهرهم (المسيح) كي لا يقولوا لأحد عنه. وابتدأ يُعلِّمهم أن **ابن الإنسان** ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانية. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره (ينتهر المسيح). فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلاً: اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مر ٨: ٢٩-٣٣).

والذي لا يعرف دقة الكلام، يظهر هذا الكلام عنده كلغز. ولكن الحقيقة أن المسيح لما رأى أنه أصبح معروفاً تماماً أنه "**المسيح**" عند تلاميذه، أراد أن يخفي هذه الحقيقة حتى لا يمسكها اليهود ويقولون إنه يُنادي بنفسه أنه المسيَّا. ومعروف أن المسيَّا عند اليهود يأتي كملك ليبيد أعداء اليهود ويُحارب عنهم، وبالتالي يُقاوم روما والقيصر، وهنا يأخذها اليهود عليه أن يُعادي بيلاطس كثائر، وبذلك يمكن تقديمه للمحاكمة ليتخلَّصوا منه.

واضح هنا أن المسيح رَضِيَ بل وسُرَّ في نفسه أن تلاميذه قد استعلنوا حقيقته أنه "المسيح"، ولكنه أسرع لكي ينفي أن يكون هو المسيَّا الملك المحارب الذي سيُعادي روما، فابتدأ يكشف عمَّا سيحدث له: «**يتألم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة الكتبة، ويُقتل**». وهذا أمر مستحيل أن يحدث لمسيَّا اليهود! فإن سمعه اليهود يقول ذلك، يطمئنون أنه لا يُنادي بنفسه مسيًّا، وفي نفس الوقت يكون قد أوضح لتلاميذه مستقبل آلامه الحقيقية

كإنسان، وموته باعتباره **مسيح العهد الجديد، حَمَل الله الذي يرفع خطايا العالم.**

وهنا يهمنا أن نوضِّح للقارئ أهمية "ابن الإنسان" كلقب للمسيح، يستخدمه بحكمة بالغة ليُخفي فيه نفسه عن ظنون اليهود أنه المسيَّا القادم لتحرير إسرائيل من الرومان، وفي نفس الوقت يوقِّع على شخصية "ابن الإنسان" مستقبل آلامه وموته ثم قيامته، مُشيراً بذلك إلى نفسه. وهكذا **بلقب "ابن الإنسان" أنجز المسيح هدفين: الأول أنه غطَّى عن عيون إسرائيل من أن يحسبوه المسيَّا؛ والثاني أنه استعلن حقيقة نفسه كمسيح الله لتلاميذه بآنٍ واحد.**

وعلى القارئ أن ينتبه، **لأن التلاميذ لم يدعوه قط بهذا اللقب "ابن الإنسان"** ولا مرة واحدة، ولكن المسيح هو الذي كان يستخدمه بنوع خصوصي، لأن لقب "ابن الإنسان" يحوطه الغموض، كما أنه تعبير عام أُخروي كان من الصعب جداً على التلاميذ أن يلمحوا مرامي المسيح من استخدامه.

والمسيح كان يرتاح إلى لقب ابن الإنسان ليخفي لاهوته عن أفهام اليهود التي انطمست معالمها الروحية، حتى أن الجميع سأله مرة: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟ **مَن هو ابن الإنسان**» (يو ١٢: ٣٤)؟ وهنا يتضح أن اليهود فهموا أنه يشير إلى نفسه باعتباره المسيح مختفياً في لقب ابن الإنسان؛ وهكذا أرادوا أن يتبيَّنوا منه علاقته بالمسيَّا وابن الإنسان! فكان ردُّه هادفاً نحو إحراجهم بقوله: «النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا

يُدرككم الظلام» (يو ١٢: ٣٥)، موضِّحاً بذلك أنهم عبثاً يريدون أن يعرفوه مَن هو، وهم يعيشون في ظلام الجهالة، **لأنه هو النور الحقيقي، ولكن لِمَن يسير في النور**؛ أما لِمَن يسير في الظلام، فالمسيح حتماً يبقى إلهاً مُحتَجباً، كما شهد ونادي إشعياء النبي بالنبوَّة: «حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلِّص» (إش ٤٥: ١٥). فابن الإنسان هو الحجاب الذي كان يختفي وراءه المسيح حتى لا يُدركه الذين يُبغضون النور الحقيقي.

ولكن المسيح أكَّد لخاصته أنهم حتماً سيعرفونه حينما يرتفع أمام أعينهم على الصليب وما بعد الصليب: «**متى رفعتم ابن الإنسان حينئذ تفهمون إني أنا هو** ἐγώ εἰμι» (يو ٨: ٢٨). وهذا يؤيِّده بولس الرسول قائلاً: إنه «**تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات**» (رو ١: ٣).

أما علاقة "ابن الإنسان" بالله، فيشرحها المسيح أنها هي **علاقة المسيح عينها بالله الآب** هكذا: «ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، **ابن الإنسان الذي هو في السماء**» (يو ٣: ١٣).

وكذلك إشارة المسيح كانت واضحة عن علاقة ابن الإنسان بعمل المسيح كديَّان هكذا: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً **أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان**» (يو ٥: ٢٦،٢٧). وهنا ربط المسيح بين رسالته على الأرض باعتباره ابن الإنسان، برسالته القادمة باعتباره المسيح.

وهكذا يجيء لقب "ابن الإنسان" على التوازي والتساوي مع "ابن الله" بالتمام، سواء في نزوله من السماء أو صعوده أو وجوده على الأرض ووجوده في السماء: «ابن الإنسان (الذي على الأرض) الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣).

وأما لماذا اتخذ المسيح لقب "ابن الإنسان" فيما يخصُّنا نحن؟

فالمسيح باتخاذه لقب ابن الإنسان، يوضِّح عملياً وبصورة حتمية، العلاقة بينه كممثِّل للبشرية "ابن الإنسان"، وبين الله أبيه كنموذج أعلى لِمَا تنتهي إليه الإنسانية المختارة والمتحدة في الابن من نحو الله الآب. فالمسيح يحمل البشرية المفديَّة في السماء ويُمثِّلها كرأس أمام الآب. هنا يفديها باعتباره المسيح؛ وهناك يُمجِّدها كابن الإنسان أمام الآب. فابن الله في صورته الأزلية، نزل من السماء كابن الإنسان، ليجمع في شخصه البشرية المختارة ويصعد بها إلى السماء، لتنال ميراثها في ميراثه كابن الله، وتقف فيه أمام الله مقدَّسة وبلا لوم، تُسبِّحه إلى الأبد:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح - لنفسه - حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١: ٣-٦).

ومن هنا تظهر مدى الشمولية[١] التي يعنيها المسيح من لقبه

---

(١) راجع: "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"، ص ٢٠٠-٢٠٣.

"ابن الإنسان"، إذ نوجد نحن المؤمنين المفديين في هذا اللقب بكل مخصَّصاته وفي صميم علاقته بالله الآب. فـ "ابن الإنسان" هو المسيح ابن الله حاملاً البشرية في كيانه كرأس لها، وهي جسده، ومنها نفهم ونعي تماماً معنى «أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات» (أف ٢: ٩). و"ابن الإنسان" هو "ابن الله ونحن"!!! إنما على مستوى البنين لله!!. فـ "ابن الإنسان"، لقب المسيح الذي يحمل لنا أعماق عقيدة الفداء والخلاص بدون شرح!! من أجل هذا يوضِّح بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس، كيف أخذ المسيح لقب "ابن الإنسان" هكذا:

+ «الذي نزل هو صعد أيضاً فوق جميع السموات، لكي يملأ الكل... لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى "إنسان كامل"، إلى "قياس قامة ملء المسيح"... صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح! الذي منه كل الجسد مُركَّباً معاً» (أف ٤: ١٠-١٦).

هذا هو المسيح "ابن الإنسان"، رأسٌ وجسدٌ معاً. وفي مزمور (٨٠) الذي تستشهد به الكنيسة دائماً على وحدتها الجوهرية بالمسيح ابن الله، تظهر ملامح ابن الإنسان(٢):

+ «كَرْمَةً من مصر نَقَلْتَ... مدَّتْ قُضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها ("أنا الكرمة وأنتم الأغصان" - يو ١٥: ٥)... يا إله

---

(٢) راجع: *"المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"*، ص ٢٧١-٢٧٣.

الجنود ارْجعَنّ، اطَّلِعْ من السماء، وانظر، وتعهَّد هذه الكرمة، والغرس الذي غَرَسَتْهُ يمينك، و "**الابن**" الذي اخترته لنفسك... وعلى **ابن الإنسان** الذي اخترته لنفسك، فلا نرتدَّ عنك. أَحْيِنَا فندعو باسمك. يا رب الجنود أرجعنا، أَنِرْ بوجهك فنخلص».

هنا تبادُل الألقاب متساو، وهي تهدف جميعها إلى وحدة "**الابن**" **بالكرمة** التي هي **شعبه**، لينشأ **ابن الإنسان** بصورته الشاملة: ابن الله، وابن الإنسان، معاً.

وتُعتبر هذه النبوَّة مركز انتباه قوي شدَّ فكر المسيح لدى نفسه فعلاً: «أنا الكرمة الحقيقية، وأنتم الأغصان»، أي **شعبه** الخاص، الأغصان في الكرمة. وهنا لا تُفهم **الأغصان** المتحدة **بالكرمة** إلاَّ **أنها الكرمة أيضاً**. وهكذا يرى المسيح نفسه متحداً بشعبه اتحاداً حقيقياً، لأنه إن كانت كرمة المسيح هي الكرمة الحقيقية، فأغصانها هي الأغصان الحقيقية. فهنا الاتحاد اتحادٌ حقيقي ينتهي إلى رؤية المسيح وشعبه أي الكنيسة وحدة واحدة: "**أنا المسيح**". لهذا يأتي لقب "ابن الإنسان" ليُعبِّر عن وحدة **عميقة ربطت المسيح بشعبه المفدي كالأغصان الحقيقية في الكرمة الحقيقية**، ومن هنا يجيء التعبير السرِّي الذي يوحِّد بين المسيح والمؤمنين بصورة سرِّية مهيبة:

+ «فقال لهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن لم **تأكلوا جسد** "**ابن الإنسان**" **وتشربوا دمه**، فليس لكم حياة فيكم» (يو ٦: ٥٣).

هنا يكشف المسيح عمق سريان طبيعته الإلهية ككرمة حقيقية في الأغصان الحقيقية، لتصبح هي والكرمة، كرمة واحدة حقيقية. وزاد القول توضيحاً هكذا: «مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية» (يو ٦: ٥٤)، أي تسري حياة المسيح بسريان العصارة، أي الدم، من الأصل إلى الفرع بسرٍ لا يُنطق به. فإن كانت الكرمة حقيقية حقاً، أي إلهية وأزلية، صار «جسدي مأكلٌ حقٌّ، ودمي مشربٌ حقٌّ»، أي أزليٌّ هو، يسمو ويتنزَّه عن المظهر والشكل. فإذا سَرَت العصارة، أي الدم، من الأصل إلى الفرع، يثبت الفرع ثبوتاً حقيقياً غير قابل للانفصال: «مَن يأكل جسدي (الحق) ويشرب دمي (الحق)، يثبت فيَّ (الحق)، وأنا أثبت فيه» (يو ٦: ٥٥)، «فمَن يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧).

هنا يستجلي المسيح حقيقة نفسه كـ "ابن الإنسان"، مذبوحاً على مذبح الله الناطق السمائي، ومُهدًى للعالم كـ "وليمة محبة" مُهيَّأة لإطعام كل مَن اشتهى محبة الله ليُحسب من المحبوبين. هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يأكل جسده ويشرب دمه. لقد أحبني، أحبني وأسلم ذاته لأجلي، لأغتذي به فلا أعود أعيش لنفسي، بل للذي أحبني وأسلم ذاته من أجلي.

مَن هو ابن الإنسان؟ إلاَّ الذي أخذ جسدنا وأعطانا جسده، فصار فينا ونحن فيه، وهو في الآب قائمٌ ونحن فيه (يو ١٤: ٢٠).

(نوفمبر ١٩٩٣)

- ٤ -

المسيح والمسيَّا

[كيف أخطأوك يا مسيًّا المجد والحب؟
كيف أهانوك وأنت أكرمتَ أباك، كيف قتلوك؟
هل يُقال للنهار أنت ليل؟
كيف رأوك ظلمة وأنت النور الحقيقي؟
فجَّرتَ بالموت ينابيع الحياة، وبقيامتك أقمتَ خليقة جديدة.
العبيد حوَّلتهم سادة، بل أحباء، بل ملوكاً وكهنة لله أبيك،
ومعك اختفى البكاء والحزن والتنهُّد،
في نور وجهك يسطع علينا وجه الآب،
والنار التي ألقيتها أشعلت فينا حباً لا ينطفئ].

المسيَّا هو، بالمفهوم العبري، الشخص الممسوح من الله. والمسيَّا هو انتظار اليهود الذي كانوا يترجونه لكي يُخلِّص إسرائيل من عبودية الأمم أي الرومان، وقد بنوا شخصيته على عدة نبوَّات فهموها فهماً خاصاً بهم، إذ انتظروه ملكاً أرضياً بقوة سمائية قادراً أن يبيد أعداءهم الأرضيين ويملك على إسرائيل إلى الأبد.

وفي الحقيقة كانت هذه النبوَّات خاصة بالمسيح وقد تحقَّقت فيه، ولكن اليهود لم يؤمنوا به لأنه جاء مخالفاً لآمالهم، فهو لم يأتِ ملكاً أرضياً بل سماوياً، ولم يجيء ليملك على إسرائيل؛ بل على كل الأمم ومن بينها إسرائيل، كل مَن آمن به. وقد جاء لا لكي يبيد أعداء

اليهود من الأمم بل أعداء الإنسان، وهي الخطية والموت، ويزرع الحب في قلب الإنسان.

أما الخطوات التي أكملت في حياة المسيح حقيقة المسيَّا، والتي استعلن بها أنه هو المسيَّا الحقيقي الممسوح من الله، فكانت كالآتي:

١. **مسحة الروح القدس علناً، واستعلان يسوع أنه ابن الله الحبيب:**

+ «ولما اعتمد جميع الشعب، اعتمد يسوع أيضاً. وإذ كان يصلِّي، انفتحت السماء، **ونزل عليه الروح القدس** بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلاً: أنت **ابني الحبيب بك سُررتُ**» (لو ٣: ٢١،٢٢).

وهكذا استُعلِنَت في مسحة المسيح حقيقته أنه الابن، وحقيقة المحبة التي انسكبت على الإنسان.

٢. **يسوع يُدرك أنه قد مُسِحَ بالروح القدس**. ويُعلن ذلك داخل المجمع تتميماً لنبوَّة إشعياء النبي:

+ «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ. فدُفع إليه سفر إشعياء النبي، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: **روح الرب عليَّ لأنه... - مسحني** - لأُبشِّر **المساكين**، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعُمي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ

يقول لهم: إنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ١٦-٢١).

لقد أيقظت النبوَّة واقع اللاهوت في قلب المسيح، فتهلَّلت روح المسيح وخفق لها قلبه، وارتفع قدر المساكين عنده إلى قمة الرسالة.

وهكذا من هذين الموقفين: موقف العماد ونزول الروح القدس عليه علناً مع صوت الله من السماء «أنت ابني الحبيب بك سُررتُ»؛ وموقف قراءة المسيح في المجمع لنبوَّة إشعياء التي تتنبَّأ عن كيفية مسح المسيَّا بالروح القدس، وإعداده لعمل البشارة وتحرير الإنسان من عبودية الخطية والموت، وإعلان المسيح أن هذه النبوَّة إنما تحققت فيه هذا اليوم. من هذين الموقفين يكون قد استُعلن وتوثَّق بموافقة المسيح نفسه أن يسوع هو المسيَّا الموعود، إنما على أساس العهد الجديد: "أُبشِّر المساكين، أشفي المنكسري القلوب، أُعطي البصر للعميان، وأُحرر المنسحقين تحت العبودية، وأكرز بزمان الخلاص".

يا لفرحتك يا إشعياء هذا اليوم. لقد صَدَقَتْ كل أناشيدك، وارتفع سِفْرك وتبوَّأ مجد افتتاح أول العهد وصار خطاب العرش.

وطبعاً من نبوَّة إشعياء بالكرازة لمساكين الأرض، ومن تقرير المسيح عن نفسه كطبيب للعُمي ومنكسري القلوب وسجناء الإثم، لا تكون هذه المسحة مسحة مسيَّا اليهود حسب رجائهم وانتظارهم أن يأتي ملكاً بسيف ورمح ويؤسِّس مملكة لإسرائيل على أنقاض ممالك الأمم وأشلاء قياصرة الرومان.

وهكذا وقفت أمام المسيح الصعوبة البالغة: كيف يُصرِّ؛ أنه هو المسيَّا - بحسب الله وبنص روح التوراة - الآتي ليفتتح العهد الجديد بالروح، للحب والسلام للأعداء؟ أليس هذا معناه أنه ليس مسيَّا اليهود ولا يمتُّ لرجائهم بصلة؟ وبالتالي أدرك أنه سيُواجَه بالرفض الكامل وبلا هوادة.

لذلك فالمسيح مع كونه يعلم تماماً أنه مسيَّا الله والآتي لخلاص إسرائيل والعالم، نجده يتحاشى بكل جذر وانتباه أن يعلن، لا من قريب ولا من بعيد، أنه "المسيَّا"؛ بل حينما كان ينتبه تلاميذه إلى حقيقة أنه فعلاً المسيَّا، كان ينتهرهم ويوصيهم أن لا يقولوا لأحد. وأوضح موقف لذلك حينما سأل المسيح تلاميذه عن ماذا يقول الناس عنه: مَن هو؟ فقالوا: «يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون واحدٌ من الأنبياء. فقال لهم: وأنتم مَن تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحدٍ عنه» (مر ٨: ٢٨-٣٠). ومعنى هذا أنه وافق على هذا الإعلان واعتبره أنه من الله الآب (مت ١٦: ١٧). ولكن في الحال أراد أن يمسح من ذهنهم أي تصوُّر ماسيَّاني عن المسيح مما ينتظره اليهود، فاستبدل لقب المسيح بلقب "ابن الإنسان"، وأمعن في إعطاء صورة عن نفسه تختلف كل الاختلاف عن صورة مسيَّا اليهود: «وابتدأ يُعلِّمهم أن **ابن الإنسان** ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مر ٨: ٣١). فكيف يُجنُّ اليهود بعد ذلك ويؤمنون به أنه المسيَّا؟

٣. لكن، ولعل أصعب موقف وقفه المسيح من جهة الإعلان عن

نفسه إن كان هو المسيَّا أم لا، كان مع رؤساء الكهنة هكذا

+ «فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أَمَا تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكتاً ولم يُجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك» (مر ١٤: ٦٠،٦١).

وكان هذا السؤال لئيماً دبَّره رئيس الكهنة، بحيث لو قال "نعم" يأخذها عليه أنه المسيَّا بحسب انتظار اليهود، أي أنه ملك وقد جاء ليؤسِّس مملكة داود ليُخلِّص إسرائيل من نير الرومان، أو بصريح العبارة وبالمفهوم السياسي أنه ثائر على الاحتلال الروماني ومزمع أن يقود ثورة ضد الحكم الروماني وضد قيصر، وهذا يكفي للقبض عليه ومحاكمته أمام الرومان، وبالتالي التخلُّص منه، وهذا مخطط نجحوا فيه أخيراً باستخدام شهود كَذَبَة وتلفيق وادِّعاء. أما إذا أجاب بالنفي أي أنه ليس المسيَّا، يكون أمام الشعب كمدَّعٍ ومحتال، ويكفي إذاعة ذلك من المَشْيَخَة (اي جماعة شيوخ إسرائيل) لينفضَّ عنه الشعب وتصير محاكمته أيضاً.

لذلك كان سؤال رئيس الكهنة مبيَّتاً على أساس التخلُّص منه بنعم أو لا مهما كان.

والآن نأتي إلى إجابة المسيح، فنحن نعلم أنه يستحيل أن ينفي أنه المسيح الحقيقي، كما لا يمكن أن يوافق على أنه مسيَّا اليهود حسب انتظارهم كملك أرضي! لذلك فالذي ننتظره من إجابة المسيح أن تجيء حتماً لا بـ "نعم" ولا بـ "لا"!! ولكن تأتي بمفهوم صادق وحقيقي أنه مسيح الله الحقيقي وليس مسيَّا اليهود. لهذا،

فلنبدأ دراسة إجابة المسيح:

أ. الإجابة بحسب إنجيل القديس مرقس:

وذلك أمام رئيس الكهنة في وسط السنهدريم:

+ «فقال يسوع: أنا هو ἐγώ εἰμι» (مر ١٤: ٦٢).

وهذا يعني بحسب اللغة اليونانية: **نعم**، ولكن الأناجيل الأخرى لا تُظهِر الإجابة هكذا.

ب. الإجابة بحسب إنجيل القديس متى:

+ «فقال له يسوع: أنت قلتَ σὺ εἶπας» (مت ٢٦: ٦٤).

وهذا الردُّ بحسب اللغة اليونانية يفيد أيضاً: نعم.

ولكن اللغة اليونانية أخذتها من اللغة الأرامية، ولكن ليس بدقة لأنها في الأرامية تأتي هكذا: «**أنت الذي قلت هذا وليس أنا**». وهذه لا تفيد قط الموافقة بنعم، بل وتعطي معنىً مغطًّى بالنفي!! وواضح أن المسيح يتحاشى الإجابة بنعم أو بلا، فهو لا ينفي ولا يوافق على سؤال رئيس الكهنة: «أأنت المسيح»؟ وهذا ما كنَّا نتوقَّعه تماماً، لأن في صميم قلب المسيح هي "نعم" مائة بالمائة، وذلك حسب مسحة الله لإرسالية العهد الجديد للخلاص. ولكنها أيضاً "لا" مائة بالمائة بحسب ما يُضمر رئيس الكهنة في قلبه من مفهوم كلمة "المسيَّا" كملك محارب.

وهذا ما فهمه آباء الكنيسة الأوائل، فأوريجانوس في شرحه على

إنجيل متى[1]، يكتب بكل وضوح أن ردَّ المسيح على رئيس الكهنة كان لا بالإيجاب ولا بالنفي! ونعت هذا الرد بأنه مراوغ.

ثم في إنجيل القديس متى، استطرد المسيح إجابته بجملة تستبعد جداً فكرة أنه هو المسيَّا بحسب انتظار اليهود، أي ملكٌ محاربٌ يُعيد مملكة داود ويُخضِع الأمم. وفي نفس الوقت تأتي هذه الجملة أو المعلومة لتؤكِّد رسالة مسيح العهد الجديد الذي جاء ليموت عن الخطايا، ويقوم ليُعطي الحياة، ويرتفع إلى السماء ليجلس عن يمين الله، ويملك ملكه الأبدي على العالم:

+ «وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء» (مت ٢٦: ٦٤).

وقد جاءت كلمة «**أيضاً**» في الترجمة العربية غير دقيقة، وصحتها: و«**لكن**» πλήν. وكلمة "لكن" هنا في غاية الأهمية، لأنها تأتي لتشرح حقيقة أخرى لنفي قول سابقٍ بحسب ظن رئيس الكهنة: «أنت قلت هذا، **ولكن** من الآن تبصرون ابن الإنسان...».

ومفهوم الحديث معاً يكون بحسب القديس متى هكذا: "أنت قلت هذا وأنا لا أُجاوب على هذا السؤال، ولكني أقول لكم حقيقة أخرى...". وهنا يأتي المسيح بحقيقة "ابن الإنسان" وما سيؤول إليه، وهو اللقب المختار عند المسيح ليُغطي به لقبه الإلهي: "المسيح". والمسيح أتى بلقب ابن الإنسان هنا ليُعطي استكمالاً

---

(1) *Comm. on Mathew;* PG 13, 1757.

لرسالته الخاصة التي ستنتهي على أيديهم بالقتل. علماً بأن تكميل رسالته في السماء بجلوسه عن يمين الآب، ومجيئه الثاني آتياً على سحاب السماء لا تمتُّ لمسيَّا اليهود حسب انتظارهم بصلة. فكأن المسيح يقول لهم: "إنكم لم تفهموا رسالة المسيَّا الحقيقي، لذلك ستقتلونه بأيديكم، ولكن بقتلكم لي ستُكمِّلون - رغماً عنكم - رسالتي التي ستكمل في السماء كملك سمائي حقيقي سوف يأتي على السحاب كما أخبركم دانيال في رؤياه".

ج. الإجابة بحسب إنجيل القديس لوقا:

+ «فقال لهم: إن قلت لكم لا تُصدِّقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله. فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو» (لو ٦٧: ٧٠).

الجزء الأول من الإجابة:

«**إن قلت لكم لا تصدِّقون**». لقد قال المسيح قولته لهم وللشعب مئات المرات في الشارع والمجمع والهيكل. فالمسيح عمل "أعمالاً لم يعملها أحد غيره" حسب تعبيره، وقال عن نفسه إنه ابن الله بوضوح: «فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدِّف لأني قلت إني ابن الله» (يو ١٠: ٣٦). ثم لماذا القول بعد وقد أظهروا نيَّاتهم عدة مرات أنهم يُضمرون له الرفض والعداء، وقد أحكموا الخطة لقتله. فمهما قال لن يصدقوا لسبب واحد أعلنه هو سابقاً: «أنكم لستم من خرافي» (يو ١٠: ٢٦). ثم كيف يؤمنون بأنه المسيح وقد قالوا عنه: «هذا لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول

رئيس الشياطين» (مت ١٢: ٢٤). ومعروفٌ يقيناً أن لا أحد يستطيع أن يقول إن المسيح ربٌّ إلاَّ بالروح. إذاً فعدم تصديقهم لقوله مضمون، لأن الروح غائب عن تفكيرهم، وعسيرٌ أن يأتي أحد إلى المسيح إن لم يجتذبه الآب أولاً. واليهود وخاصة الرؤساء منهم أغضبوا الله بأقوالهم وأعمالهم.

الجزء الثاني من الإجابة:

من عادة المسيح أنه إذا سُئل سؤالاً ما، إما لا يجيب أو إذا أجاب يجيب بسؤال آخر مختلف تماماً، وذلك علامة واضحة على رفضه للسؤال، وذلك واضح عندما سألوه عن السلطان الذي يعمل به الآيات والمعجزات، فلم يُجبهم إلاَّ بسؤال يُستفاد منه أنهم مخالفون لله وغير جديرين بأن يسألوه عن سلطانه إن كانوا قد احتقروا سلطان الله.

«وأنا أيضاً أسألكم... معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس» (مر ١١: ٢٩،٣٠)؟ فحيَّرهم سؤاله جداً، إذ أوقفهم أمام أنفسهم كمخالفين لعمل الله: «ففكَّروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا من الناس. فخافوا الشعب، لأن يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبيٌّ» (مر ١١: ٣١،٣٢).

وهنا أيضاً إن قال المسيح لهم إنه المسيَّا الآتي من عند الله، لا يُصدِّقون؛ وإن سألهم عن الآيات والمعجزات التي عملها أمامهم علناً، لا يُجيبون. وهكذا بإجابة المسيح بهذا الرد بشطريه، يُثبت ضمناً أنه هو المسيَّا حقاً، كما يُثبت أن رجال هذا السنهدريم

برؤساء كهنته منافقون وقتَّالون، وأن وراء سؤالهم **فخّاً منصوباً** للإساءة إليه.

وهكذا استطاع المسيح أن يكون شاهداً أميناً لنفسه دون أن يُعطيهم الفرصة أن يمسكوا عليه إجابة يستخدمونها ضده! وهذه حكمة يسوع في أشق الظروف. وقد نجح المسيح في أن يستبدل لقب المسيح بلقب "ابن الإنسان"، لأن لقب المسيح على الأرض قد انتهى على أيدي هؤلاء السفَّاحين، إذ يقول: «ومن الآن»، أي من وقت الصلب وما بعده يصبح المسيح هو "ابن الإنسان" الذي ارتفع ودخل إلى مجده وجلس عن يمين الآب:

+ «كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه، فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة. سلطانه سلطانٌ أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٣، ١٤).

وفي قول المسيح إنه "ابن الإنسان": «منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة»، يدحض نهائياً صورة مسيَّا اليهود الذي يطلبونه ملكاً على الأرض ليُجدِّد مملكة داود ويهزم أعداء إسرائيل. وبهذا القول يقطع عليهم خط الرجعة أنه ليس ثائراً على الرومان ولا طامحاً في مُلْك أرضي لأن ملكوته ما لن يزول.

٤. أما الموقف الآخر، فهو الذي وقفه المسيح أمام بيلاطس ليردَّ على سؤاله: "هل أنت ملك اليهود"؟

ومعروفٌ أن المسيَّا الآتي عند اليهود هو ملك بالضرورة، وعلى

مستوى إخضاع الشعوب والأمم لسطان إسرائيل، وبالتالي يكون حتماً عدواً لقيصر.

ولقد سلَّم رؤساء الكهنة المسيح لبيلاطس البنطي بادِّعاء أنه جعل نفسه ملكاً مُقاوماً لقيصر، ويقول عن نفسه إنه ابن الله!

+ «فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟
فأجاب وقال: أنت تقول» (مر ١٥: ٢).

وعلى هذا السؤال كانت تتوقف المحاكمة كلها، لأن ترجمة السؤال هي: هل أنت عدو لقيصر؟ ولكن لأن بيلاطس لم يُجب بشيء على قول المسيح: «أنت تقول»، يفهم من ذلك قطعاً أن بيلاطس فهم تماماً قصد المسيح: أي أن المسيح لم يَقُل هذا ولا هو هكذا بمفهوم الملوكية عند بيلاطس. ويقيناً لو فهم بيلاطس أن المسيح يوافق على هذا الاتهام لكانت إجراءات المحاكمة قد أخذت قمة عنفها.

وفي إنجيل القديس لوقا، هناك ما يوضح أن بيلاطس فهم من رد المسيح أن اليهود هم أصحاب اتهام كاذب، لأنه خرج للشعب بعد جواب المسيح مباشرة قائلاً: «**إني لا أجد علَّة في هذا الإنسان**» (لو ٢٣: ٤). وعجيب حقاً أن تكون نظرة بيلاطس صافية نقية في تقديره لشخصية المسيح، وهذه شهادة لا يُستهان بها.

ولكن عاد المسيح في إنجيل القديس يوحنا ليوضِّح لبيلاطس أنه وإن كان ليس ملكاً أرضياً لليهود، إلاَّ أنه ملك: «مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدَّامي يُجاهدون

لكي لا أُسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا»! وهكذا كان المسيح أميناً على الشهادة لملكوته السماوي: «لهذا قد وُلدتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٦،٣٧).

ومرة أخرى يفهم بيلاطس ما لم يفهمه اليهود ورؤساء الكهنة أن المسيح هو أعظم من افتراءات اليهود، وأنه يتكلَّم بالحق: «لهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٧)، فخرج أيضاً للشعب بعد جواب المسيح مباشرة قائلاً: «**أنا لست أجد فيه علَّة واحدة**» (يو ١٨: ٣٨)، مما يفهم منه أن صدَّق قول المسيح. فشهادة بيلاطس لثلاث مرات أنه لم يجد في المسيح علَّة واحدة للموت، لا تنفي فقط كل ادِّعاءات اليهود بأنه ملك على مستوى السياسة والثورة والحرب وادِّعاء بنوبته لله؛ بل تؤكِّد أن بيلاطس فهم عكس ما فهمه اليهود عن المسيح، ويكفي أن يُقرر قاضي أعلى محكمة في العالم آنئذ (أي محكمة القانون الروماني): إن المسيح ليس فيه علَّة واحدة. هذا يجعل صدق المسيح في رسالته كمسيًّا وكابن الله على مستوى الشهادة من محكمة دولية، أنه بالحق يتكلَّم وبالحق يعمل.

٥. سؤال المسيح الاستنكاري بخصوص تعليم الكتبة، أنَّ المسيح هو ابن داود:

+ «ثم أجاب يسوع وقال وهو يُعلِّم في الهيكل: كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربّاً، فمن أين هو ابنه» (مر ١٢: ٣٥-٣٧)؟

هذا السؤال بالرغم من أنه حيَّر جميع الشُّرَّاح، قدامى ومحدثين، إلاَّ أن معناه واضح غاية الوضوح، فالمسيح ينعي على الكتبة أنهم اكتفوا بوصف المسيح بالأوصاف الأرضية مما فوَّت عليهم التعرُّف على شخصية المسيح الحقيقية الكاملة كابن الله وكرب حقيقي. فالمسيح يوضح هنا أنه ليس فقط ابن داود، وذلك لأن داود نفسه يدعوه ربّاً، أي أنه أيضاً رب داود. وهذا تأكيد على نسبه البشري من إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود حسب الوعد، مع تأكيد على ربوبيته بآن واحد وبصورة حاسمة وقاطعة. الأمر الذي أوضحه بولس الرسول في مطلع رسالة رومية هكذا: «الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه، الذي **صار من نسل داود** من جهة الجسد، **وتعيَّن ابن الله** بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا» (رو ١: ٢-٤).

إذاً، فالمسيح هنا يلقي هذا السؤال الاستنكاري على الكتبة ليُصحح فهمهم للمسيح بحسب نبوَّة داود أنه وإن كان هو ابناً لداود، فهو ربٌّ وعلى مستوى الرب، أي الله: «قال الرب لربي». والمساواة أكَّدها المزمور بالنبوَّة بقوله: «اجلس عن يميني»، فهنا المساواة محقَّقة مع ملوكية إلهية سماوية.

وليُلاحظ القارئ أن المسيح، وهو ينقد تعاليم الكتبة، يوضح ضمناً من تعاليمهم أن "**المسيح**" هو ابن داود، ولكن يعود المسيح نفسه ويحقِّق أن المسيح هو رب، مُطبِّقاً قول الكتبة على قول الروح في المزمور، وهذا يُعتبر أقوى تصريح قاله المسيح عن نفسه أنه المسيح ابن داود، وأنه رب داود بآن واحد، أي بمفهومنا: ابن

للإنسان، وهو ابن لله!!

ولكن المسيح يسال هنا سؤالاً خطيراً حقاً: «داود نفسه يدعوه ربّاً، **فمن أين هو ابنه**» (مر ١٢: ٣٧)؟ هنا لا يصعب علينا أن نلمح في قول المسيح إشارة سرِّية خفية إلى ميلاده العذري من الروح القدس ومن مريم العذراء، فهي من نسل داود حقاً، ولكن ابنها يسوع جاء مولوداً من الله من الروح القدس. وهنا نشير إلى مفهوم ضمني يوضِّح ذلك في إنجيل القديس يوحنا عن أبناء الله أو ابن الله في الحقيقة: «الذين وُلدوا، **ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل**، بل من الله» (يو ١: ١٣).

هذا يُصوِّر في الحقيقة الميلاد العذري للمسيح من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم التي من نسل داود. فحضور الله في ميلاد المسيح باعتباره ابن الله أصلاً وأساساً، ينفي قطعاً دخول مشيئة رجل أو مشيئة جسد في ميلاد المسيح؛ بل مشيئة الله ومشيئة الروح القدس. هذا هو الميلاد من الله، لأن المسيح هو نسل امرأة وليس **نسل رجل!!** حسب الوعد الأول لحواء والكلام للحيَّة: «وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها، هو يسحق رأسكِ (رأس الحية)، وأنتِ تسحقين عَقِبَه» (تك ٣: ١٥). وهنا لم يذكر الله شيئاً قط عن تدخُّل آدم أو نسل آدم. فعلى نسل حواء عُقد لواء سَحْق رأس **الحيَّة** أي الشيطان، ولكن بعد أن يسحق الشيطان عَقِبَ هذا النسل أي جسده. فسحق الرأس للحيَّة هو موت الإبادة، ولكن سحق العقب لا يفيد إلاَّ موتاً يعقبه قيامة!

فالميلاد العذري من عذراء من نسل داود، يحفظ للمسيح لقب

ابن داود حسب الجسد. ولكن كون المسيح "**ربّاً**"، فهذا يحقق بكل تأكيد أنه مولود من الله أي من الروح القدس، وهو الشق الإلهي من الميلاد العذري.

وشدة تأكيد الروح القدس في الإنجيل عند كل الكارزين أن المسيح هو رب، ثم التكرار بلا هوادة أنه جلس عن يمين الله تأكيداً لربوبيته، يُنبِّه ذهن المؤمن أن ربوبية المسيح وجلوسه عن يمين الآب هي أخص خصائص المسيح من جهة طبيعته، وبالتالي ميلاده:

(رو ٨: ٣٤):	«مَن هو الذي يدين، المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضاً، **الذي هو أيضاً عن يمين الله**».
(١كو ١٥: ٢٥):	«لأنه يجب أن **يملك** (عن يمين الله جالساً)، حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».
(كو ٣: ١):	«فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق **حيث المسيح جالس عن يمين الله**».
(أف ١: ١٩،٢٠):	«حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات **وأجلسه عن يمينه في السماويّات**».
(عب ١: ٣):	«الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، **جلس في يمين العظمة في الأعالي**».
(عب ٨: ١):	«وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة

	مثل هذا قد جلس في يمين العظمة في السموات».
(عب ١٠: ١٢):	«وأما هذا فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، **جلس إلى الأبد عن يمين الله**».
(١بط ٣: ٢٢):	«**الذي هو في يمين الله**، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له».
(أع ٢: ٣٤):	«لأن داود لم يصعد السموات، وهو نفسه يقول: **قال الرب لربي اجلس عن يميني**».
(أع ٥: ٣١):	«**هذا رفَّعه الله بيمينه** رئيساً ومُخلِّصاً ليُعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا».
(أع ٧: ٥٥):	«وأما هو (إستفانوس) فشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله، **ويسوع قائماً عن يمين الله**».
(رؤ ٣: ٢١):	«مَن يغلب فسأُعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضاً **وجلست مع أبي في عرشه**».
(مت ٢٢: ٤٤):	«**قال الرب لربي: اجلس عن يميني**، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».
(مت ٢٦: ٦٤):	«قال له يسوع: أنت قلت، وأيضاً أقول لكم: **من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة**».

(مر ١٢: ٣٦):	«لأن داود نفسه قال بالروح القدس: **قال الرب لربي اجلس عن يميني**».
(مر ١٤: ٦٢):	«فقال يسوع: أنا هو، **وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة**».
(مر ١٦: ١٩):	«ثم إن الرب بعدما كلَّمهم، **ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله**».
(لو ٢٠: ٤٢):	«وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: **قال الرب لربي اجلس عن يميني**».
(لو ٢٢: ٦٩):	«منذ الآن **يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله**».

هذا الاعتراف المتواصل بجلوس المسيح عن يمين الله، يُبرهن بالروح أن **يسوع هو المسيح، وهو رب!!**

ولكن الإيمان المسيحي بحسب الكتاب لا يذكر المزمور كأنه المرجع الوحيد، ولكن بالإلهام وبالروح القدس تخطَّى الرسل مزمور العهد القديم كمرجع، وارتفعوا بالرؤيا ليروا حقيقة المسيح في السماء وعن يمين الله، لا كأنه غالب أعداء إسرائيل كما يقول المزمور، ولكن غالبٌ أعداء الإنسان وأعداء الخلاص، كما يضعها بطرس الرسول باعتبارها حقيقة الإيمان المسيحي المُستَعْلَن هكذا: «الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له» (١بط ٣: ٢٢)؛ حيث الملائكة هنا هم الملائكة الأشرار أعوان الشيطان، والسلاطين هي قوات العدو.

إذاً، المزمور جاء كنبوّة عن المسيَّا القادم بحسب رؤية داود؛ أما الواقع في الإيمان المسيحي فهو عن المسيح الذي صعد بالفعلَ إلى السماء بقوة الله، وجلس بالفعل عن يمين الله، وسيظل جالساً حتى يكمل خضوع كافة أعداء الخلاص للإنسان، حيث آخر عدو يبطل هو الموت.

وبولس الرسول يصف الرب يسوع المسيح وهو في السماء في واقع مجده وسلطانه حيث ليس الأعداء فقط يخضعون له صاغرين؛ بل تعبده كل رُكبة قديسة في السماء والأرض: «لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسما فوق كل اسم (تُقرأ صحيحاً هكذا: وأعطاه الاسم τὸ ὄνομα الذي هو فوق كل اسم أي"رب")، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة مِمَّن في السماء، ومَن على الأرض، ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٢: ٩-١١).

لقب "المسيح": عبوره من اللقب إلى "الاسم":

كان لقب "المسيح" المسيَّا أيام المسيح لا يُقال من الرسل إلاَّ باحتياط شديد. ولكن بعد أن قام الرب وتأكَّد أنه هو المسيح وابن الله، انطلقت الكنيسة الأولى تُنادي بهذا اللقب دون حذر بعد، حتى صار لقب المسيح هو التعبير الطاغي عن شخصية يسوع، فلم يَعُد يُذكر اسم يسوع إلاَّ ملتحماً بالمسيح تعبيراً عن الإيمان بحقيقة المسيح ومعياراً للعبادة باسمهن فصار يُقال علناً وبقوة أن يسوع هو المسيح، ثم زاد التركيز على لقب "المسيح" حتى صار يُقال دون الاسم الأول يسوع، فصار اسم يسوع المتداول هو "المسيح". بل

وتمادى القديس بولس في التعبير عن أهمية "المسيح" كلقب فوق الاسم يسوع. كل ذلك لأن الإيمان بـ "المسيح" أخذ اعتباره النهائي من جهة الفداء والخلاص وحقيقة بنوّته لله.

وبوصول لقب "المسيح" إلى مستوى الاسم الثابت والمحقق بالإيمان، صارت فكرة المسيّا وأوصافه الأرضية والزمانية والسياسية عند اليهود تتراجع وتتلاشى من فكر الكنيسة نهائياً ليصبح المسيح اسماً يدل على المحبة والسلام مربوطاً بالغفران والمصالحة والتبنّي لله.

والملاحظة الهامة جداً في ألقاب المسيح أنه سقط منها "ابن داود" بعد أن ذاع في الكنيسة استعلان حقيقة ميلاد المسيح من العذراء القديسة مريم، إذ اهتزت بشدة كل النبوات عن تسلسل ملوكية داود باعتبار أن المسيّا هو الحامل لنسله، وبالتالي لميراث وعود الله بدوام مملكته. فصار ميلاد المسيح من الروح القدس وحقيقة بنوته لله، عاملاً جذرياً في نقل مفهوم الملوكية والمملكة من الانتساب لداود والأرض إلى ملكوت الله والمسيح في السماء. خصوصاً وأن المسيح نفسه قلّل جداً من أهمية انتساب بنوّة المسيّا لداود النبي التي كان يهلل لها الكتبة والفرّيسيون إمعاناً منهم في إعطاء المسيّا صورة التبعية لإسرائيل كنوع من العنصرية للتعالي والتجبُّر. وذلك واضح منذ أن ألقى سؤاله الاستنكاري «فداود نفسه يدعوه ربّاً، فمن أين هو ابنه» (مت ١٢: ٣٧)؟

وكان قصد المسيح الأساسي رفع أنظار تلاميذه إلى حقيقة بنوّته الروحية والإلهية لله فوق بنوته الجسدية الممتدة من داود، ولكن

ليس من جهة رجل؛ بل ومن الروح القدس ومن عذراء، حيث يصبح الجسد أكثر انتساباً لله منه لداود وأكثر قدسية بما لا يُقاس!!

لذلك صار افتخار الكنيسة بقدسية المسيح فوق أعظم افتخار لليهود بمسيَّا السياسة والقوة الحربية. ويُلاحظ أن الكنيسة ربطت ربطاً شديداً مُحكماً بين لقب المسيح وبنوّته لله وربوبيته أيضاً منذ أول يوم الخمسين فصاعداً: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم **رباً ومسيحاً**» (أع ٢: ٣٦). لذلك أصبح اسم "المسيح" يدل من تلقاء ذاته على ربوبيته وبنوَّته لله وملكوته السماوي؛ بل والقيامة والحياة الأبدية: «أنا هو القيامة والحياة» (يو ١١: ٢٥)!!

والكنيسة فهمت بصورة سرِّية قوية للغاية بنوع من الاستعلان والاختبار الروحي في علاقتها بالمسيح المُقام الذي لازمهم أربعين يوماً، مدى ارتباط قداسة المسيح وبنوته لله ومجده الفائق في السماء بميلاده البتولي من عذراء قديسة ومن الروح القدس كتقليد مسموع من أصوله الأولى. فالقديس لوقا يكتب، عن دراية وسماع وتأكيد، ظروف ميلاد المسيح بغاية من الدقة والسرِّية التي لا يمكن أن يبوح بها إلاَّ العذراء نفسها، أما القديس متى فقد كتب عن مصدر موثوق منه للغاية إنما باختصار.

لقد تيقَّنت الكنيسة من هذا السر الرهيب، أنه كان يتحتم على المسيح - الذي سيرفع اللعنة عن بني آدم - **أن يولد بدون لعنة الخطية والموت**. فالمسيح لم يَمُت كمَن وقعت عليه لعنة آدم وحواء؛ بل مات بإرادته وسلطانه وحده: «لي سلطان أن أضعها، ولي

سلطان أن آخذها أيضاً» (يو ١٨: ١٠)!! لقد حمل اللعنة، لعنة الخطية والموت بمنتهى إرادته وإرادة أبيه السماوي: لأنه قد «وَضَعَ عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦)، «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (١بط ٢: ٢٤). مرة أخرى فإن المسيح وُلد بلا لعنة الخطية والموت، لأنه وُلد من الروح القدس وعذراء قديسة، أي بدون رجل، أي بدون اجتماع رجل بامرأة، وبذلك انكسر حُكْم اللعنة عن المولود. لأنه معروف أن كل مَن وُلد من آدم وحواء وَرَث لعنة آدم وحواء، **لأن اجتماع آدم وحواء كان بعد أن قبلا حُكْم الموت واللعنة**. فالمسيح لم يُولد من رجل وامرأة فلم يرث حُكْم اللعنة والموت.

كما تحتَّم أن يُولد قدوساً لأنه سيُقدِّس الشعب بدم نفسه. لذلك وُلد من الروح القدس والعذراء، كما عاش قدوساً وبلا لوم: «كان بلا خطية، ولم يوجد في فمه غش»، كما أكَّده هو بصورة مؤثرة: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو ١٧: ١٩).

بهذا تجلَّت صورة المسيح في الكنيسة الأولى على حقيقتها الإلهية كقوة مجيدة مؤثِّرة، زادها حضوره فعالية في تقديس المؤمنين باسم، فأحسَّ المؤمنون بقوة تقديسه لأرواح محبيه فشهدوا له من اليوم الأول: «يسوع الذي من الناصرة **كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة**، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلِّط عليهم إبليس لأن الله كان معه، ونحن شهود بكل ما فعل» (أع ١٠: ٣٨،٣٩).

(ديسمبر ١٩٩٣)

- ٥ -

المسيح "رب"

أول اسم عرفناه عن الله كان يهوه "YHWH"، ويُكتب بالحروف اللاتينية بدون تشكيل.

وهو مجهول النطق الصحيح الذي ضاع على ممر الزمن بسبب الخوف من استخدامه.

والله نفسه هو الذي عرَّفنا به على لسان موسى هكذا: «وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل "يَهْوه" إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم» (خر ٣: ١٥).

وتُنطق بالإنجليزية Yahwah كما ننطقها بالعربية يَهوه. وفي عصر النهضة حوالي سنة ١٦٠٠م، عُدِّلت وصارت تُنطق Jehovah. ولكن النطق الحقيقي للكلمة ضاع من اللسان اليهودي، وذلك منذ حوالي سنة ٣٠٠ ق.م بسبب إحجامهم عن نطقها أصلاً عند قراءتهم للأسفار بسبب الخوف والرهبة من صاحب الاسم، الذي استبدلوه بكلمة "أدوناي" Adonay ومعناها السيِّد، وتُرجمت بكلمة "رب"، وجاءت في السبعينية Κύριος وباللاتينية Dominus وبالإنجليزية Lord.

الاسم "يهوه" وعلاقته بالاسم "أنا هو" ἐγώ εἰμι:

وجذور الكلمة يهوه جاءت في آية سابقة على آية خر ٣: ١٥،

وذلك في الآية خر ٣: ١٤: «فقال موسى لله: ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى "أهْيَه الذي أهْيَه". وقال هكذا تقول لبني إسرائيل "أهْيَه" أرسلني إليكم» (خر ٣: ١٣،١٤)، وتفسيرها باللغة العربية: "أكون الذي أكون"، وجاءت في السبعينية ἐγώ εἰμι ὁ ὤν وترجمتها بالإنجليزية: I am the being ، أي أنا الكينونة أو **أنا** الوجود بالصورة المطلقة[(١)]!! وتفسيرها العبري المتداول عند اليهود: "أهْيَه الذي أهْيَه" هو I am who cause to be أو I am he who cause to be، ومعناها: أنا الذي أقيم الكيان أو الوجود.

ولكن بسبب التحذير القاطع من النطق باسم الله كما جاء في سفر اللاويين ٢٤: ١٦ بحسب النسخة السبعينية: «كل مَن نطق باسم الرب موتاً يموت. كل جماعة إسرائيل ترجمه بالحجارة، سواء كان دخيلاً أو مواطناً، يموت لأنه نطق باسم الرب». ويُلاحظ هنا أنه لا يقول "يهوه" بل استبدلها باسم "الرب" إمعاناً في التحذير وخوفاً من النطق بالاسم. وللأسف أعاد الربِّيون في النساخة وعدَّلوا في الآية وجعلوها: "كل مَن نطق باسم الله "**باطلاً**""،

---

(١) لكي يفهم القارئ معنى "أنا الوجود" فيما يخص المسيح، نقول: إنه لا توجد خليقة ما تستطيع أن تقول بأنها موجودة بذاتها، فكل خليقة وكل إنسان يستمد وجوده من الذي وحده "هو الوجود". على أن الوجود الزمني وقتي وزائل، فلا يُحسَب وجوداً حقيقياً. ولكن الوجود الحقيقي إنما هو قبل الزمن أي أزلي وبعد الزمن أي أبدي. لذلك استحالة أن يرقى الإنسان إلى الوجود الحقيقي إلاّ في المسيح.

وترجمتها العربية: "كل مَن "جدَّف"". ولكن لكي يتأكد القارىء من صحة الأصل في النسخة السبعينية، يمكن مضاهاتها بما جاء في وصية المسيح: «سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث بل أوفِ للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة...» (متى ٥: ٣٣،٣٤)!

وبسبب التحذير الواضح من النطق باسم الله، استبدلوا يهوه بـ "أدوناي". وهكذا بدأ الاسم (يهوه) يتوارى عن النطق والذاكرة حتى ضاع تشكيل الكلمة ونطقها الصحيح.

وأخيراً وفي القرن الثالث قبل الميلاد، اتفق اليهود على حذف كلمة "يهوه" من المخطوطات ووضع كلمة "أدوناي" عِوَضاً عنها، مع البادئة "أنا هو" ἐγώ εἰμι. على أن كلمة "**هو**" هنا ليست ضميراً، بل هي أصلاً من الكلمة " أهْيَه الذي أهْيَه"، بمعنى "الكائن" أو يكون. فهي فعل وليست ضميراً في اللغة العبرية. وفي مفهومها العربي تعني "الهوية" الشخصية، وتجيء في الإنجليزية بوضوح I am. فبدل نطق "يهوه" صار النطق الرسمي "أنا هو أدوناي"، وهي نفسها **أنا الرب**، ولكن في أغلب الأحيان تأتي بدون «أدوناي» أي «رب» هكذا "أنا هو"، لتكون هي التعبير الكامل عن يهوه اسم الله! وهي شديدة التأثير على السمع، وهكذا أخذت موضع "يهوه" في الرهبة والجلال، حيث أصبحت "أنا هو" تعني "أنا الكائن بذاتي، والمقيم لكل كيان وكل الوجود". وهي تنطق بالعبرية "أني هو" = ani hu. وهي أصلاً تأتي ومعها «أدوناي» لتُعبِّر عن «يهوه» = "أنا هو الرب". ولكن حينما تأتي وحدها «أنا هو» فهي تُعبِّر عن «أنا الرب».

وللأسف الشديد فإن "هو" الذي هو فعل الكينونة "**أكون**"، صار حذفها في الأناجيل باللغة العربية عن جهل خطير. لذلك نسمع المسيح يقول: «أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق» (يو ٨: ٢٣). هنا ضاع اسم الله بصورة مخزية، وصارت "أنا" ضميراً مجرداً للمتكلم، مع أن أصلها باليونانية مترجم في الإنجليزية: «أنتم من أسفل، أما "**أنا هو**" I am = ἐγώ εἰμι فمن فوق». وهكذا يظهر المسيح أنه يشير إلى نفسه: "أنا هو ἐγώ εἰμι" إشارة الألوهة المستترة، ولكن في موضع آخر في يو ٨: ٥٨ جاءت بمعناها الأصيل التزاماً من الله، إذ يقول: «قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**». فهنا **أنا كائن** جاءت: "أنا هو ἐγώ εἰμι"!!! مما يوضح تماماً أن "أنا هو" ἐγώ εἰμι تعني "أنا كائن" في وضعها الأصلي.

الله يعطي اسمه الشخصي للمسيّا القادم:

وللقارىء أن يسأل: كيف ومتى أُعطي للمسيح النطق باسم الله عن نفسه "أنا هو الرب"؟ هذا واضح من قول الله لموسى: «أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل **كلامي في** فمه فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به **باسمي** أنا أُطالبه» (تث ١٨: ١٨،١٩). ومرة أخرى أكثر وضوحاً قال: «ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك، يحفظك في الطريق، ويأتي بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لقوله ولا تتمرد عليه، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، **لأن اسمي فيه**» (خر ٢٣: ٢١،٢٢). طبعاً اعتُبر هذا الملاك أنه هو هو المسيَّا في ظهوراته قبل تجسده.

الاسم الجديد لله هو اسم علاقة ومناسبة:

ولكن لا يزال أمامنا مفهومٌ آخر عميق للانتقال من "يهوه" الاسم الخاص بالله في ذاته، و"الرب" الاسم الآخر الذي حل محل "يهوه" على مر الزمن. فبشيء من التعمق نجد أن "يهوه" هو اسم الله الذاتي الشخصي الذي مُنع الإنسان من أن ينطق به، لأنه اسم يحمل وجود الله الذاتي، فالذي ينطقه كمَن يرتفع إلى نفس الوجود والكيان الفائق ليدخل إليه أو يتواجه أمامه، ذاتاً لذات، ومَنْ يطيق ومَنْ يحتمل؟ لذلك امتنع النطق به عن خطورة: «الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ٢٠).

أما اسم "الرب" Κύριος أي "السيِّد"، فهو اسم علاقة ومناسبة لأنه يمتنع أن يكون الله سيداً لنفسه أو على نفسه. فالله هنا اقتنى لنفسه شعباً، هم له وهو أصبح سيداً عليهم، وهم عبيد بمعنى أنهم يعبدونه كرب أو كسيد أعظم. لذلك فإن مَن لا يعبد الله كان يُحسب كمَنْ خرج على طاعته كسيد أو استعلى على سيادته. إذاً، فالعبادة لله حق إلهي على المخلوق كاعتراف علني بربوبيته، والذي لا يعبده يكون كمَن يعصاه، كمَن يقاوم الله، كالشيطان، فإنه لما امتنع أن يعبد انحطَّ من رتبته، ولما أَوحى لآدم أن يعصي الوصية ويأكل من الشجرة المحرمة "ليصير كالله عارفاً الخير والشر"، خرج آدم من حضرة الله وانحطَّ إلى الأرض تحت اللعنة والموت.

الربوبية هي اسم السيادة المطلقة لله على الخليقة:

وهي تُعبِّر عن علاقة سيد بعبيد يعبدونه ويعترفون بربوبيته.

هذا نراه في المسيح في غاية الوضوح التطبيقي. إذ لما أكمل المسيح مشيئة الآب وقَبِلَ موت الفداء لخلاص العالم ومصالحته لله، رفعه الله إلى ربوبيته التي كانت له مع الآب قبل أن يتجسد هكذا:

+ «الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً **وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم** (حسب الترجمة الصحيحة). **لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض** ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح **هو ربٌّ لمجد الله الآب**» (في ٢: ٦-١١).

وهذا يتطابق مع قول المسيح للآب: «العمل الذي أعطيتَني لأعمل قد أكملتُه. والآن مجِّدني أنت أيها الآب **عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم**» (يو ١٧: ٤،٥).

واضح هنا من نص الآية أن المسيح كان قبل التجسُّد في صورة الله معادلاً لله في المجد الذاتي، وبالتالي هو "رب" بكل معنى وتأكيد. ثم بحسب تدبير ومشورة الله، أخلى ذاته وتجسَّد آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، وأكمل الموت على الصليب؛ فكانت النتيجة أن رفَّعه الله وأعطاه "**الاسم**". وهنا "الاسم" τὸ ὄνομα معرَّفاً بالألف واللام حسب الترجمة الصحيحة هو حتماً اسم الله أي "**الرب**"، وبالتالي توجبت له العبادة من السمائيين والأرضيين كرب السماء والأرض، ليس كأنه ربٌّ آخر بل ربٌّ لمجد الله الآب.

ما كان المسيح عليه من الربوبية قبل التجسُّد باعتباره ابن الله والكلمة الخالق

فبحسب الرسالة إلى كولوسي يقول الوحي: «فإنه فيه خُلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٦،١٧).

ففي قول الآية: «الكل به وله قد خُلِق» (كو ١: ١٦)، هذا يعني أن الله الآب خلق الكل به أي **بالابن**، ولكن ليس كمجرد أداة خَلْق بل كصاحبٍ ومالكٍ للخليقة التي خلق. لذلك يقول: «الكل به و"**له**"...»، بمعنى أن الآب أعطى الخليقة للابن.

العلاقة الوثيقة بين الله الآب والخليقة:

ولكن الله لم يمنح الخليقة للابن جزافاً. فالخليقة بعد أن خلقها الابن بقيت قائمة "**فيه**"، منتمية إليه، كما تقول الآية: «الذي هو قبل كل شيء، **وفيه يقوم الكل**» (كو ١: ١٧). بمعنى أن الخليقة بعد أن أخذت بدايتها منه وخرجت إلى الوجود بقيت قائمة فيه، على أن الابن لا يُحسب من الخليقة، إذ توضِّح الآية أنه "**قبل كل شيء**".

ويُكمِّل هذا المعنى سفر العبرانيين، فيقول: إن الابن «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ٣)، ويتمادى الوحي في رسالة كولوسي ويقول عن الابن: إنه «**بكر كل خليقة**» (كو ١: ١٥)، بمعنى أن كل خليقة إذ خرجت منه، بَقِيَ هو حاملاً صورتها فيه، فحُسب

«بكر كل خليقة»، أي السابق والأول على كل خليقة. بهذا يُمعن الوحي في وصف الانتساب الوثيق الذي بقيت الخليقة عليه بالنسبة للابن خالقها. هذا الوضع الانتسابي الفائق بين الابن الخالق والخليقة المخلوقة يكشف عن التبعية التي تدين بها كل خليقة للابن بصفته صاحبها وحاملها، **فهي تبعية الملكية الخاصة جداً**، كملكية يهوه قديماً لشعب إسرائيل. فهو على مستوى الربوبية، وهي على مستوى العبيد الأخصاء. فالابن هو رب الخليقة عن حق وأصالة، وأيضاً عن فعالية ديناميكية، إذ هي باقية فيه وتتحرك به: «فيه يقوم الكل»، «**وحاملٌ كل الأشياء** بكلمة قدرته» (كو ١: ١٥؛ عب ١: ٣). فهي ديناميكية حية، هو كربٍ يرعى، وهم عبيد منتسبون له يعبدون، هو لها وهي له.

أخذ جسداً من خليقة مدينة له بالحب والعبودية معاً:

لذلك لما أراد الابن أن يأخذ جسد الإنسان - أي جسداً من الخليقة - لم ينحط الابن عن ربوبيته للخليقة، بل تعظَّمت الخليقة مُمثلة في جسد الإنسان إذ ارتفعت إليه. هو ملأها بلاهوته، وهي «أخذت من ملئه نعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦)، وحباً فوق حب، فبَقِيَ **هو الرب المحبوب للجسد**، وارتفع الجسد **ليصير الجسد المحبوب للرب!!** هكذا استطاع ابن الله لما تجسَّد أن يخلِّص الإنسان والخليقة بالجسد، وذلك بالموت الذي ماته بالجسد وبالقيامة التي قامها بالجسد. كذلك أيضاً لم يكن الجسد الذي أخذه من الخليقة عائقاً يعوقه عن الارتفاع إلى أعلى السموات واستعادة الربوبية التي له قبل التجسُّد، لأنه رب قبل التجسد وبعد التجسد. اسمعه

يخاطب الآب:

+ «أنا مجَّدتُك على الأرض، العمل الذي أعطيتَني لأعمل أنا أكملتُه، والآن مجِّدني أنت أيها الآب **عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم**» (يو ١٧: ٤،٥).

وهذا ما أكمله له الله الآب بكل مجد وكرامة:

+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة» (أف ١: ١٩-٢٢).

+ «لتجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو **ربٌّ** لمجد الله الآب» (في ٢: ١٠،١١).

بهذا أوضحنا للقارىء كيف أن **المسيح قبل التجسُّد كان ربّاً** للخليقة عن صدق وجدارة وديناميكية حية. ثم كيف بعد أن تجسَّد ارتفع المسيح إلى سابق مجده بالجسد كربٍّ، مع اعتراف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله. فالربوبية التي للمسيح لم تُعطَ له منحةً أو جائزة على أعمال الفداء والخلاص المجيد الذي عمل، بل إنه كان هو هو الرب حتى وهو في صورة عبد، فعرشه في السماء لم يغادره حتى وهو على الصليب. اسمعه يقول عن نفسه: «لم يصعد أحد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان (الذي على

الأرض) الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣). «أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق» (يو ٨: ٢٣). ويقول عنه المعمدان: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» (يو ٣: ٣١). «خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يو ١٦: ٢٨).

القصد النهائي في التدبير الإلهي من ربوبية المسيح قبل التجسُّد وبعد التجسُّد

ربوبية المسيح في تدرُّجها التاريخي لتبلغ بالخلاص أعمق وأعجب مضمونها الإلهي البشري معاً:

إنه ملفت للنظر جداً أن يستعلِن لنا الله المسيحَ ربّاً قبل التجسد باعتباره الابن الخالق لكل الخليقة، ثم إعادة استعلان المسيح ربّاً كما هو بعد التجسد باعتباره مخلِّصَ البشرية وخالقَها جديداً ومُصالح العالم لله الآب. لابد وأنه مذخَّر للمسيح بصفته الابن الوحيد المحبوب المتجسد، عملٌ من جهة الإنسان ككل، باعتباره رب الإنسان والخليقة ثم فاديها ومخلِّصها لحساب الآب. هذا هو السر الذي استودعه الله لبولس الرسول ليكرز به في آخر أيامه، إذ كشفه لنا هكذا:

أولاً: من جهة **اختيار** الله للإنسان وتبنِّيه في **المسيح**، **قبل تأسيس العالم!** قبل الزمن والتاريخ بحسب القول:

+ «باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات - في المسيح - كما **اختارنا فيه قبل تأسيس العالم** لنكون قديسين وبلا لوم قدامه

في المحبة. **إذ سبق فعيَّنَنا للتبني بيسوع المسيح لنفسه** حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٣-٥).

ثانياً: من جهة قصد الله الأزلي - قبل تأسيس العالم أيضاً - أن يجمع - في النهاية - البشرية المفدية والخليقة جميعاً في المسيح، حسب القول:

+ «**إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته** - حسب مسرته - التي قصدها في نفسه، **لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك**» (أف ١: ١٠).

ثالثاً: هذا التجميع الهائل تحت سلطان المسيح، كربٍّ الإنسان والخليقة، نجده يعتمد أساساً على الصلة الأولى القوية الديناميكية التي تربط الخليقة والإنسان بالمسيح كربٍّ وكخالق، ثم الصلة الثانية التي نشأت من عمل الفداء والخلاص، التي انصهرت بها الخليقة البشرية لتوجد متحدة بالمسيح **كخالق** و«**رب الكل**» (أع ١٠: ٣٦)، ثم كمخلِّصٍ وفادٍ ومُصالح لحساب الآب. ويكشف الوحي للقديس بولس في الرِّسالة إلى فيلبي أن هذا التجميع يقوم على أساس:

+ «الذي سيُغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، **بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء**» (في ٣: ٢١).

رابعاً: ولكن بالنهاية عندما بلغ المسيح السلطان الكلِّي فوق كل الخلائق في السماء والأرض بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين الله، أعلن الله أن هذا

السلطان الذي ناله المسيح كرب فوق الكل وهو بحال تجسُّده، إنما **ناله خاصة من أجل الكنيسة**، التي كشف الله سرَّها أنها **هي جسده الذي أخذه من البشرية واتحد به لتصير البشرية المفدية قائمة فيه كجسده الخاص** الذي اتحد به اتحاداً بغير افتراق. فكل ملء اللاهوت الذي انصبَّ في جسده لما تجسَّد، وكل مجد الربوبية التي حازها أو بالحري استعادها بموته وقيامته وصعوده إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين الآب، انصبَّ أيضاً في الكنيسة لأنها هي هي جسده الذي جلس به عن يمين العظمة:

+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين (جسده) حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يسمَّى... وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه **جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة: التي هي جسدُهُ**، مِلءُ الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ١٩-٢٣).

خامساً: هكذا فإن ربوبية المسيح، ابن الله، بعد أن كانت قبل التجسُّد **على الإنسان** وكل الخليقة، صارت ربوبية المسيح بعد التجسُّد للإنسان وليس عليه، إذ اتحد الإنسان به، بمعنى: بعد أن كنا عبيداً لله قبل تجسد ابنه، وهو سيد ورب علينا، صرنا بعد تجسد ابنه أبناءً وأحباءَ لله، إذ صرنا **جسده** الذي اتحد به اتحاد عريس بعروس، وكما يقول القديس بولس صرنا «من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠). وهكذا تحوَّلت لنا ربوبية المسيح من سيادة وعبودية إلى ربوبية حب وحرية وعلاقة اتحاد سرية: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو

١٤: ٢٠).

سادساً: والمسيح إذ احتوانا في جسده، لا يزال ساهراً على هذا الجسد، أي الكنيسة، **لتبلغ بالحق والصدق إلى ملء قامته** لتُدعى عن جدارة جسده الحقيقي لا تشبيهاً ولا مجازاً، بل جسده الخاص الذي يتراءى به أمام أبيه في ملء كمال القداسة والإيمان والمحبة:

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس» (أف ٤: ١٣،١٥).

استعلان ربوبية المسيح بعد القيامة والصعود وترسيخ مضمونها العبادي في الكنيسة:

لم يظهر لقب "رب" للمسيح بمعناه الإلهي إلا بعد قيامته من بين الأموات وارتفاعه أمام أعين تلاميذه، حيث جاء لقب "رب" مرادفاً للقب ابن الله كاستعلان سمائي، كما أعلنها بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤)، حيث عُرف المسيح بلقبه الكامل: «**الرب يسوع المسيح**» بين تلاميذه على خلفية الارتفاع المجيد الذي جاء كفعل يؤيد عمل الخلاص الذي أكمله على الصليب: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي **"يسود" على الأحياء والأموات**» (رو ١٤: ٩)، حيث كلمة "يسود" تجيء في اليونانية واضحة - κυριεύσῃ - كفعل من اسم "رب" Κύριος.

ومن هنا جاءت معلومة القديس بولس الشهيرة: «إن عشنا

فللرب نعيش»، لأنه رب الأحياء؛ «وإن متنا فللرب نموت»، لأنه رب الأموات، «فإن عشنا وإن متنا، **فللرب نحن**» (رو ١٤: ٨).

اعتراف الإيمان بربوبية المسيح:

وأول من شهد بربوبية المسيح بعد القيامة من بين الأموات هو بطرس الرسول يوم الخمسين [هذا عن رؤية عينية وشهادة، لأنه معروف أن "الرب ظهر أولاً لبطرس" حسب التقليد (لو ٢٤: ٣٤؛ ١كو ١٥: ٥)]، وذلك في احتجاجه المشهور أمام رؤساء الكهنة(٢) واليهود بمنتهى القوة والشجاعة - هذا بطرس الذي سبق أن أنكر المسيح ثلاثاً أمام جارية:

+ «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم **ربّاً ومسيحاً**» (أع ٢: ٣٦).

ومرة أخرى يرفع بطرس الرسول صوته في سفر الأعمال قائلاً:

---

(٢) ليس من فراغ أن يُنادَى المسيح وسط اليهود بأنه رب. فمن تعاليم الربِّيين المؤكدة عند الشعب ما كانوا يعلِّمون به هكذا: ["هوذا عبدي يعقِل (بتصرُّف بحكمة)": هذا القول لإشعياء النبي الذي يفيد شخصية المسيَّا النبي والملك الآتي. وبقوله: "يتعالى ويتسامى جداً"، يفيد أنه =

= سيرتفع فوق إبراهيم، ويرتفع فوق موسى، ويرتفع عالياً فوق الملائكة].

(Yalkut Sim 2 fol 53.3 on Is LII, 13, cited by Westcott, *On St. John* p. 16).

كذلك يقولون: [المسيَّا هو أعظم من الآباء وأكثر من موسى وأكثر من الملائكة الخدَّام].

(Ibid).

وعلى هذا التعليم القديم الذي للربِّيين يُعلِّق بولس الرسول في سفر العبرانيين بالقول: «جلس عن يمين العظمة في الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً (رب) أفضل منهم» (عب ١: ٣،٤).

+ «الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح: **هذا هو ربُّ الكل**» (أع ١٠: ٣٦).

أما بولس الرسول فقد رآه وسمعه متكلِّماً إليه من السماء، وهو أول مَن وضع قانوناً للإيمان بالمسيح هكذا:

+ «لأنك إن اعترفت بفمك **بالرب** يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت.» (رو ١٠: ٩).

الشهادة لربوبية المسيح بالروح القدس:

ولكن يعود أيضاً بولس الرسول ويؤكِّد أنه لا يمكن لإنسان أن يعترف بالمسيح ربّاً دون أن يحصل على الروح القدس الشاهد الأول والأعظم للمسيح هكذا:

+ «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع **رب** إلاَّ بالروح القدس» (١كو ١٢: ٣).

ومعلوم أن حلول الروح القدس على الكنيسة كان من بركات ما بعد القيامة.

علاقة التلاميذ بالرب الحي من السماء:

لقد دخلت علاقة التلاميذ بالمسيح الرب في قالبها العملي والاستعلاني الشخصي بالعبادة داخل الكنيسة.

ونقرأ عن صورة عاطفية بدرت من بولس الرسول تحكي عن هذه العلاقة: «إن كان أحد لا يحب **الرب** يسوع فليكن أناثيما (= محروماً)، ماران آثا (= تعال يا ربنا)» (١كو ١٦: ٢٢).

وقد استلمت الكنيسة كلها هذه العلاقة وهذه المخاطبة، إذ كان كل الشعب يهتف بها بعد انتهاء القداس: "فلينتهِ العالم ولتأتِ النعمة، تعالَ أيها الرب يسوع" (الديداخي: تعليم الرسل الاثني عشر ١٠: ٦).

الدعاء باسم الرب معيار الإيمان المسيحي:

صار الدعاء **باسم الرب** يسوع هو الذي يحدد الإيمان المسيحي، هذا نسمعه كمعلومة ثابتة متداولة من بولس الرسول في مستهل رسائله:

+ «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدَّسين في المسيح المدعوين قديسين، مع جميع الذين **يدعون** باسم **ربنا** يسوع المسيح في كل مكان» (١كو ١: ٢).

أما ضمان الحياة المثلى فتكون وسط هؤلاء الذين يدعون باسم الرب:

+ «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها، واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين **يدعون** الرب من قلبٍ نقي» (٢تي ٢: ٢٢).

الكرازة بالرب:

+ «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربّاً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (٢كو ٤: ٥،٦).

عبادة الرب سماتها: الاجتهاد وحرارة الروح،
في فرح الرجاء والصبر على الضيق والمواظبة على الصلاة:

+ «غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة» (رو ١٢: ١١،١٢).

خدمة الرب لها وعد ميراث:

+ «عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح» (كو ٣: ٢٤).

المسيح يرد بسخاء على كل الذين يدعون به ربّاً،
دون تفريق بين أجناس وألوان، والذي يدعو به يخلص:

+ «لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، **لأن ربّاً** واحداً للجميع غنيّاً لجميع الذين يدعون به، لأن كل مَن يدعو باسم الرب يخلص» (رو ١٠: ١٢،١٣).

التناول والإفخارستيا هي شهادة وكرازة بموت الرب وقيامته،
والاستهانة بها تعدٍّ على ربوبية المسيح:

+ «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون **بموت الرب إلى أن يجيء**. إذاً أيُّ مَن أكل من هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق **يكون مجرماً في جسد الرب ودمه**... لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير **مميِّزٍ جسد الرب**» (١كو ١١: ٢٦-

.(٢٩

- الكنيسة تدرك تماماً أنَّ:

الرب يسوع هو القوة الإلهية المكمِّلة للثالوث الأقدس. بولس الرسول يؤكِّد ذلك في ثلاثة مواضع هامة:

١. «فأنواع مواهب موجودة ولكن **الروح واحد**،
وأنواع خدم موجودة ولكن **الرب واحد**،
وأنواع أعمال موجودة ولكن **الله واحد**» (١كو ١٢: ٤-٦).

٢. «نعمة **ربنا يسوع المسيح**،
ومحبة **الله**،
وشركة **الروح القدس**، مع جميعكم» (٢كو ١٣: ١٤).

واضح هنا أيضاً أن الرب يسوع يكمل عمل محبة الله وشركة الروح القدس في ثالوث القوى الإلهية.

٣. «**لنا إله واحد الآب** الذي منه جميع الأشياء ونحن له،
ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به» (١كو ٨: ٦).

على أن ألوهية الآب تكملها ربوبية المسيح، وربوبية المسيح تكملها ألوهية الآب. فالآب رب بيسوع المسيح، ويسوع المسيح إله بالآب!! «أنا في الآب والآب فيَّ» (يو ١٤: ١٠)، «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩).

الرب يسوع المسيح هو روح في ذاته، كما أعلن المسيح عن الله للمرأة السامرية: «الله **روح**» (يو ٤: ٢٤):

+ «وأما الرب **فهو روح**، وحيث روح الرب فهناك حرية. ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب** بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة، **نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها** من مجد إلى مجد كما من **الرب الروح**» (٢كو ٣: ١٧،١٨).

وهنا التغيُّر إلى صورة الرب، هو عملية موازية لِمَا حدث لموسى إذ بنظره لجود الله لمع وجهه بالنور، هنا بالنظر إلى مجد الرب الروح ينطبع علينا نور وجه المسيح:

+ «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو ٤: ٦).

المسيح هو روح، لذلك فكل مَنْ عَبَده واقترب إليه بالروح اتحد به:

+ «وأما مَن التصق **بالرب فهو روح واحد**» (١كو ٦: ١٧).

من هنا صار المسيح مركز الجذب الأعظم للأرواح القديسة، والقادر أن يجمع كل روح في ذاته، كل ما في السماء وعلى الأرض، لتظهر كنيسة المجد كنيسة الدهور، ملء السماء والأرض.

(يناير ١٩٩٤)

- ٦ -

المحبوب

ὁ ἠγαπημένος

[لقب يحمل كل أسرار اللاهوت، والخلقة، والفداء، والميراث المعدّ].

«إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»
(أف ١: ٥،٦)

جاء هذا اللقب بقصد أن ينبِّه ذهننا إلى صفة للمسيح ترقى إلى طبيعته، لمشاغلة قلوبنا!! وإن كان المسيح هو محبوب الآب، كما قالها المسيح عن وعي واستعلان: «الآب يحب الابن» (يو ٣: ٣٥؛ ٥: ٢٠). فهو حال ممتد في قلب الآب إلى ما شاء الله. ولكنه حال واقع كامل لا يُبقي للابن شيئاً خارج قلب الآب، إذ عاد المسيح وشرحها في سرٍّ قائلاً: «أنا في الآب» (يو ١٤: ١٠)، حيث الأنا ἐγώ هو الكيان الكامل والكلِّي للمسيح الابن الذي ملأ قلب الآب؛ ولكن كما أحب الآب الابن، هكذا أحب الابن الآب بذات الحب وبكل الكيان الذي ملأ قلب الابن.

لذلك أسرع المسيح من واقع إحساسه بكيانه يقول: «والآب فيَّ»

(يو ١٤: ١٠)، فصار الحب في الآب والابن كياناً معبِّراً عن قوة تجاذب كلِّية، فلا نجد الابن خارج الآب ولا الآب خارج الابن، لذلك قال المسيح عن قناعة من واقع هذا الحب المالئ للكيان بل والوجود الكلي: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠).

فيا لسرِّ الحب العجيب الفائق على التصوُّر الذي هو سر اللاهوت وجوهره الأعظم، فمَنْ ذا بمستطيع بعد أن يقول إن الآب والابن اثنان؟ حاشا، بل هما ذات واحدة وكيان ووجود واحد، آب وابن محبٌّ ومحبوب! فهي ذات الله التي لها ملء الكمال والكفاية، وهي واحدة حتماً وبالضرورة. لذا يُقال إن اللاهوت لا ينقسم، ولا يزيد ولا ينقص، ليس فيه أول وثان، ولا أكبر وأصغر، ولا سابق ولاحق. كذلك فهو ليس الواحد العدديَّ، لأن العدد يعبِّر عن الوجود المادي، ولكن واحدية الله تعبِّر عن الوجود الكلِّي The whole presence، مشخَّصاً بذات فيها أُبوَّة وفيها بنوَّة، ذات هي كل الكيان الذي يحوي كل الوجود الحق، وكل موجود بالحق، تشع منه الأُبوَّة والبنوَّة معاً باتحاد فريد في تآلف الحب لتقيم بالحب الفعَّال العالم وكل ما فيه. هذا ما قاله القديس يوحنا: «هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). فبالحب خلق الله العالم، وبالحب فداه، واستهان الحب بالموت كما يستهين النور بالظلمة بغير صراع؛ فرأينا كيف يقيم الحب أو المحبوب من الموت حياة تستقر أعلى السموات!!

الله بالحب خلق العالم:	«فإنه فيه خُلِق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِقَ» (كو ١: ١٦). وهكذا نرى الحب كيف يخلق من العدم وجوداً.
والله بالحب فداه بموت ابنه:	«... أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

وهكذا أصبحنا صنيعة المحبوب، ففيه خَلَقَنا الآب وفيه فدانا. وبهذا الحب الخالق الفادي ارتبطنا بالمحبوب والآب رباط الوجود والحياة. وفي هذا يقول المسيح: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١)!

وهكذا في الحب يُستعلَن لنا المسيح!!

«الذي يحبني»:

توجد محبة بالفكر ينطقها اللسان بسهولة حتى يُقال: ومَنْ ذا الذي لا يحب المسيح؟

ولكن توجد محبة في القلب وكأنها عرش مصنوع من نور يجلس

عليه المسيح، لا يستطيع أحد أن يتكلم عنها ولكنها تفيض بنوره فلا يستطيع أحد أن ينكر وجوده. إذا سكن المحبوب في القلب فلا يستطيع القلب أن يحتوي سواه لأنه دائماً أبداً هو «الملء» الذي يملأ الكل في الكل، ومن ملئه نحن أخذنا نعمة فوق نعمة (أف ١: ٢٣؛ يو ١: ١٦).

وكما ملأ الابن قلب الآب، فلم يَعُد الآب يرى أو يحب إلاَّ في الابن، فنحن محبوبون لدى الآب في الابن أي المسيح؛ كذلك نحن، فكل مَنْ أحب المسيح بالحق، فإن المسيح يملأ قلبه بالحق، فلا يستطيع ذلك الإنسان أن يحب أحداً بالحق إلاَّ في المسيح.

«ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم»:

هذا هو ينبوع الحب الإلهي الذي انفتح علينا كهبة عظمى من هبات الله.

أيها القارئ العزيز، انتبه فـ "المحبوب" بكل ملء حب الآب وحبه تنازل في طاعة حب الآب ورَضِيَ أن يحل بالإيمان في قلوبنا، فإذا آمنا بالمسيح أنه "محبوب الآب الوحيد"، وتيقنَّا من وجوده؛ استطاع أن ينقل وجوده داخل قلوبنا، ويحقق لقبه "المحبوب" في داخلنا. وهكذا أصبح وجوده فينا رهن إيماننا بوجوده، وحبُّه لنا رهنَ إيماننا بحب الآب له.

اسمع ما يقوله بالسر: «إن أحبني أحد... يحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣). في هذا سرٌّ مخفي: لأننا عندما نحبه يعني أننا أصبحنا مفتوحين على حبه، وبهذا ينسكب حبه حتماً

علينا بلا كيل. ولا يفوت عن بالنا هذه الحقيقة أن «الله محبة». فمَنْ ذا الذي يعرف الله إلاَّ الذي استطاع أن يحبه؟ هكذا "**المحبوب**"، مَنْ ذا الذي يقدر أن يستحوذ عليه ويُدخله قلبه برضا أو بالقسر إلاَّ الذي انفتح على طبيعته بالحب؟ علماً بأنه هو "ملء الحب"، فلا يدخل قلباً لم ينفتح بكل ملئه له. ثم يلزم وباستمرار أن نتيقظ لعمق معنى لقبه "المحبوب"، فهنا حتماً الآب مذكور فهو "**محبوب الآب**" لذلك فمحال أن يدخل بمفرده قلب مَنْ أحبه: «إن أحبني أحد... يحبه أبي وأنا أحبه وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣)!!

يا لهيبة المحبة وعمقها، فالآب المهاب الذي له كل المجد والكرامة والتسبيح الدائم، نستطيع أن نستقبله داخل قلوبنا في المحبوب؟ هذا هو سر المحبوب وارتفاع هيبته، لأنه لقب حامل هيبة الآب = "**محبوب الآب**". يا للباب المفتوح على "ملء الله". هذا هو لقب المحبوب، فإذ نعبر إليه بحبنا، يأتي إلينا والآب معه بكل حبه. هكذا صار اللاهوت يتعامل مع الإنسان على مستوى الزيارة؛ بل والسكن أيضاً: «نأتي إليه وعنده نصنع منزلاً»!!! ولكن لا نستهين بمجيء الابن المحبوب ومعه الآب، لأن هذا يعني أن نكون قد بلغنا عمق محبته، وعمق محبته ظهرت لنا بموته، فهي محبة من فوق صليب، لذلك كان المسيح صادقاً كل الصدق عندما قال: «ومَنْ لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (مت ١٠: ٣٨). إذاً، فالباب المفتوح على المسيح والآب هو محبة من فوق صليب. فلكي نستحق المسيح والآب، يتحتَّم أن نَزِنَه بالحب ومعه صليبه.

والمحبوب إن دخل القلب، صنعه منزلاً له وللآب، فلا يعود قلب إنسان؛ بل هيكلاً والله ساكن فيه. آه يا ابن الله، وماذا يبقى لي. نعم، تعالَ ولتحرقني نار حبك، ما لي ووجودي؟ وجودك يكفيني؛ بل مالي وللحياة؟ حياتك تبتلع موتي؛ فأحيا «لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠)!! آه يا بولس يا مَنْ بلغت الموت لنفسك لتربح حياة المسيح فيك، فربحت في الحياة والموت كليهما.

هل سمعت عن أم تحب ولدها وتراهن على حبها له حتى إلى الموت؟ هذه استضافت المحبوب مع قلب الآب وحبه!! هل سمعت عن عريس يحب عروسه حتى سَهَى عن أكله وشربه وبات مشرفاً على الموت؟ اعلم أن هذا العريس يستقي حبه من المحبوب فبرَّح به الحب حتى اكتفى به دون الحياة. أيها البتوليون وأيتها البتوليات، شهوة المحبوب أن يجد في قلوبكم منزلاً ومحلاً لكي يُمارس فيكم نماذج إلهية للحب، ليردَّ بها على حب الآب له، ويقدِّم للكنيسة مصابيح تنير هذا الليل المظلم الذي طال. أيها الأزواج والزوجات، البسوا ذهناً جديداً فكنز الحب الإلهي في قلوبكم لا يجرحه زواج ولا حب البنين والبنات، ولا الزواج يقدر أن يطفئ لظى نار المحبوب بل يشعلها ناراً على نار، فأنتم لكم خبرة في وحدة الحب فارفعوه عالياً فوق اهتمامات الحياة فيتضاعف كرامة في عين المحبوب: «**أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة**، وأسلم نفسه لأجلها.» (أف ٥: ٢٥).

أرأيتم كيف يرفع القديس بولس كرامة ومجد **حب الرجل لامرأته ليتوازى مع حب المسيح للكنيسة**. ليس هذا عجباً؛ بل

السر المخفي فيه هو العجيب حقاً، فالمسيح أحب الكنيسة لأنها جسده: أي المؤمنون به الذين يحبهم ليجذبهم إلى الآب، ويكمِّلهم في المحبة كذبائح مقدسة على عرش النعمة، وبهذا القياس صارت المرأة في فكر المسيح وقلبه، فهي التي تقدِّم للمسيح والله الآب أولاداً للملكوت وذبائح مقدسة تغني بها الكنيسة وتكمل مسيرتها. فليس عجيباً أن تقع المرأة من الرجل موقع الكنيسة عند المسيح، هكذا يرفع المسيح من قيمة الزواج ليجعله مقدساً على مستوى عمل الكنيسة لحساب الآب. وفي هذا يقول القديس بولس أيضاً: «**كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. مَنْ يحب امرأته يحب نفسه... كما الرب أيضاً للكنيسة**» (أف ٥: ٢٨، ٢٩).

أن تكون المرأة عند الرجل في حضور المسيح والروح القدس على مستوى جسده الخاص ومستوى نفسه أيضاً، فهذا سر الزيجة المقدس؛ لأن الاثنين، الرجل والمرأة، بالحب المقدس المتبادَل في حضور المسيح والروح القدس، صارا واحداً: جسداً ونفساً[1]. فجسد المرأة صار عند الرجل كجسده اهتماماً وحباً وتقييماً، ونفس الزوجة ونفس الرجل يصيران في الحب واحداً.

ولكن العجيب حقاً أن يكمل القديس بولس رؤيته السرِّية لقيمة الزواج في عين الله ليجعل مفرداته من حب وكرامة وتقييم

(١) ولم يذكر الروح، لأن الروح منزَّهة عن الزيجة. فروح الإنسان غير قابلة للزيجة إلاَّ في المسيح يسوع؛ حيث تصير روح الإنسان وروح المسيح، بالتقديس روحاً واحداً.

على مستوى المسيح والكنيسة. وهذا يمكن النظر إليه من زاويتين:

الزاوية الأولى: ويحددها الاتحاد المقدس بين الرجل والمرأة على أساس الحب المقدس المتبادَل. فالزوج يحب امرأته في المسيح كجسده وكنفسه، والزوجة كذلك. فهنا يتم "سر الوحدة المقدسة"، وبذلك يُحْسَب الزواج بحدِّ ذاته أنه على مستوى ما صنع المسيح مع الكنيسة (المؤمنين): «**هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وأعضاءٌ بعضاً لبعض**» (رو ١٢: ٥). إذاً، فالزواج يعتبر نموذجاً حيّاً - مصغَّراً كوحدة متكررة قائمة بذاتها - للكنيسة مع المسيح.

الزاوية الثانية: في الكنيسة يتم عماد الأولاد والبنات، وبهذا تصبح الكنيسة كبطن مقدسة تلد للملكوت والله بنين وبنات. هكذا تماماً حُسبت المرأة في سرِّ الزيجة، فهي تقدِّم للكنيسة الأولاد والبنات الذين تختمهم الكنيسة بختمها في المعمودية، ليصيروا أبناء وبنات لله ليرثوا ملكوت الله.

فأصبح سر الكنيسة وسر الزواج يعملان معاً عملاً واحداً، هو عمل المسيح بالنهاية. ثم بإلقاء نظرة عميقة على لقب المسيح "المحبوب"، نجده كما هو قوة الكنيسة وروحها، كذلك هو قوة

الزواج وروحه.

فالمحبوب أحب الكنيسة وخطبها لنفسه عذراء عفيفة، لتلد له أبناء وبنات للملكوت والآب.	والمحبوب دخل سر الزيجة، فجمع الاثنين تحت حبه ليصيرا واحداً، ليلدا أولاداً وبنات في الإيمان للمسيح والآب.

ويكمل بولس الرسول الآية قائلاً: «أحب المسيح الكنيسة أيضاً، **وأسلم نفسه لأجلها**» (أف ٥: ٢٥). هذا من أجل الكنيسة، فما هو المقابل لذلك في حب الرجل لامرأته؟ هل يكون باستعداد أن يموت من أجلها؟

نقول إن الكنيسة عاشت وتعيش، لأن المسيح أسلم نفسه لأجلها فعلاً كمحبوب الآب، فأعطاها من حبه حياة من حياته. ولكن في الزواج ليس الأمر كذلك، لأن استعداد الزوج للموت من أجل المرأة لا ينفعها كثيراً، لا يعطيها حياة؛ ولكن الذي ينفعها حقاً ويعود بالنفع على الرجل أيضاً والأولاد لبلوغ الغاية المقدسة من سر الزيجة وحبها، هو أن يُمارس الرجل الموت على طول المدى بالفعل من أجل زوجته وأولاده، حيث يكون المقصود من ذلك هو إماتة الذات في الاحتمال والصبر، والإماتة عن الشهوات وكل ما لا يليق بزوج مسيحي وُضِع عليه أن يقود سفينة الأسرة عَبْر أهوال بحر هذا العالم حتى ترسى على شاطئ الله.

وهنا تتطابق الصورتان حقاً: موت المسيح "المحبوب" من أجل الكنيسة ليفديها ويعطيها حياة من حياته؛ وإماتة الزوج لذاته على

طول المدى ليفدي (أسرته) بصبره واحتماله وحبه لتحيا في سلام الله وتبلغ الغاية، وهذا لا يتأتّى إلاَّ إذا كان "المحبوب" يملأ قلب الزوج والزوجة. فالحب طاقة يوجِّهها الإنسان كيفما أراد. هكذا يدوم حب الرجل ويقوى ويعمل المستحيلات، إن هو استمد من "المحبوب" **قوة تسليم ذاته** من أجل الكنيسة، فيأخذ هو هذه القوة من المسيح ويستخدمها من نحو امرأته؛ حيث يتحوَّل حب المحبوب - في قلب الزوج - ليُعطي كل حاجة المرأة بشبه الإعجاز.

إن سرَّ الزيجة عميق القوة والمعاني، لأنه يأخذ من المسيح واتحاده بالآب أعماقه: «**الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه**» (يو ١٤: ٢١)، فإن شملت الزيجة حب الابن "المحبوب" فقوة العلي تظللها، ومن جوهر حب الآب تأخذ فتصير آية وشهادة لصدق المحبة الإلهية العاملة في الزيجة المقدسة.

الجسد في الزيجة:

ولكن الذي يُذهلنا لماذا عقَّب القديس بولس على قوله: «يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. مَنْ يحب امرأته يحب نفسه، فإنه لم يُبغض أحدٌ جسده قط؛ بل يَقُوتُه ويُربِّيه كما الرب أيضاً للكنيسة، **لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه**» (أف ٥: ٢٨-٣٠)؟

«لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه»:

هنا عودة لقيمة الجسد في الزيجة، حتى لا يستهين به أحد، لأنه إن كانت الكنيسة هي عروس المسيح وهي جسده بآن واحد،

وجسده نحن بحسب سر الكنيسة؛ صرنا حتماً أعضاء جسمه المقدس من لحمه وعظامه، لأن جسد المسيح حلّ فيه ملء اللاهوت. فإن كان الرجل قد اتخذ لنفسه عروساً من بنات المسيح، فهي حتماً من أعضاء جسم المسيح، من لحمه وعظامه. فكيف لا يحبه الرجل ويقدسه؟ بل وكيف لا يحسبه جسده؛ بل ويحسبه نفسه أيضاً؟ كما أنه في ضوء هذا السر نفهم بنوع ممتاز كيف يصير الاثنان جسداً واحداً!! هذا كله مفهوم الزيجة على ضوء حلول "المحبوب" في هذا السر المقدس.

وبالنهاية نفهم أن سر الزواج هو بعينه سر الحب الإلهي المنبثق من المحبوب، حينما يحل ويبارك على رجل وزوجته ارتضيا أن يكونا واحداً بسر الحب الإلهي. أما لماذا يترك الإنسان أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فهو لأنها صارت له من المسيح بشبه كنيسة، جسده الجديد الذي اقتناه من عند الرب: «أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١كو ١٢: ٢٧).

اتحاد المسيح بالنفس البشرية ليصير الإنسان واحداً مع المسيح، وهذه هي الزيجة الروحية: "الالتصاق بالرب"

كما يحل المسيح "المحبوب" بين الرجل والمرأة في وجود الحب الإلهي ليجعل منهما جسداً واحداً لحساب الكنيسة، هكذا حينما يحل المسيح "المحبوب" في **نفس الإنسان** في حضور الحب الإلهي يصير الإنسان مع المسيح أو فيه **روحاً واحداً**: «مَنْ التصق بالرب،

فهو روحٌ واحدٌ» (١كو ٦: ١٧). والأساس في الالتصاق بالرب هو باعتبار أن جسد المؤمنين في الرب هو هيكل الله: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتُريتُم بثمن، فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦: ١٩،٢٠). لذلك أصبح الإنسان الذي لا يختار أن يلتصق بامرأة أي لا يختار الزواج، بل يختار الالتصاق بالرب مزكّياً مطالب الروح على مطالب الجسد، هو في الحقيقة اختار إرضاء الرب وليس إرضاء زوجة حسب الوعد: «فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً...» (١كو ٧: ٣٢-٣٤). وبولس الرسول يُفاضل بين الزواج والتبتل لله هكذا: «إذاً مَنْ زوَّج فحسناً يفعل، ومَنْ لا يُزَوِّج يفعل أحسن» (١كو ٧: ٣٨)، أي ليس بين مقدَّس وغير مقدَّس أو بين طاهر ونجس، حاشا! بل بين مقدَّس بلا همٍّ ومقدَّس مع همٍّ!

فالذين اتجهوا بحياتهم وأجسادهم لاختيار "الالتصاق بالرب"، فهؤلاء وصفهم الرب بأن ذلك ليس للجميع بل للذين استطاعوا أن يقبلوا هذا: «قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافِق أن يتزوج. فقال لهم: **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطِيَ لهم**. لأنه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أُمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد **خصيان خصوا**

أنفسهم لأجل ملكوت السموات، مَنْ استطاع أن يقبل فليقبل» (مت ١٩: ١٠-١٢). هنا القبول، في فكر الرب، هو قبول التغلُّب على مطالب الجنس.

وهكذا يطرح المسيح موضوع الالتصاق بالرب على أنه ليس للجميع؛ بل هو لِمَنْ يختار ذلك وله إرادة كما يوضحها بولس الرسول: «وأما مَنْ أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسناً يفعل... ومَنْ لا يُزَوِّجُ يفعل أحسن.» (١كو ٧: ٣٧،٣٨).

ومن كلام الرب وكلام بولس الرسول، تتبلور أمامنا صورة أمر الالتصاق بالرب هكذا:

١. إن هذا ليس للجميع،

٢. بل للذين أُعطِيَ لهم،

٣. ولِمَنْ استطاع أن يقبل هذا،

٤. وإن أمر الزواج والالتصاق بامرأة أمر **حسن**،

٥. ولكن مـن اختار أن يلتصق بالرب فهذا أمر **أحسن**،

٦. على أن يكون الذين اختاروا العذراوية، أي التبتل والالتصاق بالرب، ليس لهم اضطرار من شهواتهم وأقاموا راسخين في قلوبهم ولهم سلطان على إرادتهم مع عزم القلب.

الرب يتسامى بالبشرية كلها، متزوجين وغير متزوجين؛ اتحاد المسيح بالنفس بشبه زيجة روحية سماوية:

+ «أنا أطلب من الآب فيُعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى

الأبد... لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم، بعد قليل لا يراني العالم أيضاً (بعد الصلب والموت)، وأما أنتم فترونني. إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون. في **ذلك اليوم** تعلمون أني **أنا** في أبي وأنتم **فيَّ** وأنا فيكم» (يو ١٤: ١٦-٢٠).

«أنتم فيَّ وأنا فيكم»:

المسيح يقولها هنا كحقيقة قائمة قبل الصلب ستُعلن لهم بعد القيامة من بين الأموات: «في ذلك اليوم»، وهو يوم حلول الروح القدس مباشرة.

حيث: «**أنتم فيَّ** (في المحبوب)، **وأنا فيكم**»، هي حالة اتحاد كامل متساوي الحدَّين. فنحن نكون فيه أي في "المحبوب" وهو يكون فينا، فلا يبقى لنا شيء خارجه أي خارج المحبوب.

«**وأنا فيكم**»، حيث يصير المحبوب بكل حبه فينا. هذه في الواقع هي الزيجة الروحية المتناهية الاتحاد. وهذا منتهى سر عمل المحبوب فينا أو هذا هو أقصى سر حب المسيح.

وحينما يقول: «**أنا فيكم**»، قد يُظن أنه بذلك يكون قد ألغى وجودنا، ولكنه يسبق بالقول مؤكِّداً أننا سنكون نحن أيضاً فيه بكل كياننا. إذاً، فوجودنا يصبح - في المحبوب - مثبتاً ومؤمَّناً عليه بوجوده. ثم يقول في البداية: «أنا في أبي» كمستهل شروط عقد الزيجة كشرط أول، حيث يعني أن الوحدة تتم بحضرة الآب ووجوده الكلِّي، لأنه واحد مع المسيح. ذلك كأساس لاتحادنا في المحبوب واتحاده فينا، بمعنى أن المسيح - المحبوب - يوثِّق هذه الزيجة

الروحية رفيعة المستوى بحضرة الآب، فهي زيجة مقدسة بكل الوجوه على مرأى من الآب ورضا ومسرة!!

لاحِظ هنا، أيها القارئ العزيز، أن المسيح يخاطب تلاميذه باعتبارهم صورة الكنيسة الأولى. وكان من بين التلاميذ - كما نعلم - بطرس الرسول، وهو متزوِّج، وغيره من المتزوجين والبتوليين معاً. إذاً، فالاتحاد بالمسيح في محضر الآب هو كزيجة روحية عالية المستوى تمتد لتشمل **المؤمنين، متزوجين وغير متزوجين، سيَّان، لا فرق ولا ميزة أو امتياز.**

وهذا في رأينا يؤكد لنا **حالة بتولية جديدة للبشرية - نلناها بتقديس الدم - روحية عالية القدر والمستوى،** تجمع البتوليين معاً مع المتزوجين الحائزين بالروح والنعمة على حالة اتحاد روحي بالجسد مع امرأة. فالآن أمامنا بكل وضوح وتأكيد بتولية جسدية وبتولية روحية، وزيجة جسدية وزيجة روحية:

- أما البتول جسدياً، **فمدعو للزواج الجسدي** بكل لياقة، **وأيضاً مدعو للزواج الروحي بالاتحاد بالمسيح** بآن واحد بكل لياقة أيضاً.

- أما البتول الروحي، فهو قد تنحَّى عن الزواج الجسدي ليظفر بالزواج الروحي بالمسيح ولا سواه.

أما الفرق فيوضِّحه بولس الرسول هكذا:

+ «فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم فيما للرب **كيف يُرضي الرب (المحبوب)**»، **فقط!**

+ «وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يُرضي امرأته».

ولكننا نضيف من واقع الإنجيل ودعوة الملكوت العامة، أن الزيجة تأتي لاحقة بجوار دعوته الأولى والأساسية ليتحد بالمسيح، ويصير هو وزوجته معاً يهتمون فيما للرب، هذا أمر حتمي لا يناقش فيه الكتاب المقدس. فالزيجة بين الرجل والمرأة أي الاتحاد معاً بالجسد لا تقف قط كأنها اختيار: إما زيجة، وإما اتحاد بالمسيح؛ أو: إما زيجة، وإما ملكوت الله! هذا أمر غير وارد إطلاقاً ومنافٍ لكل وعود الله للخلاص ودخول الملكوت وبلوغ الحياة الأبدية، أنها للجميع. غير أن الذي يُضاف على الزيجة الجسدية هو حمل همِّ العالم، ونحن نضيف أيضاً حمل مسئولية خلاص الزوجة أو الزوج.

فالبتول بالروح، سواء رجل أو امرأة - الذي أو التي - هرب من همِّ العالم ورفض الزواج، هو بالضرورة مدعو للاتحاد بالمسيح وبلوغ الخلاص وطلب الملكوت والسعي للحياة الأبدية، على نفس المستوى وبنفس الدعوة مع الذي والتي قَبِلا الزواج وصارا جسداً واحداً، وحملا معاً همَّ العالم؛ فهما تزوجا معاً على أساس أن دعوتهما في المسيحية هي أولاً وقبل كل شيء وبالرغم من كل شيء، للالتصاق بالمسيح وبذل الجهد للاحتفاظ بحق الاتحاد بالمسيح، سواء الرجل أو المرأة - (لأن كلاًّ منهما له جهاده الروحي الخاص وسعيه الروحي الخاص، ولكن اجتماعهما معاً ربما يسهل هذا الجهاد وهذا السعي) - بمعنى أن المتزوج أو المتزوجة مدعو للخلاص والحياة الأبدية تماماً كحقٍّ إلهي بوعد إلهي مثلهما مثل البتوليين الروحيين الذين رفضوا الزواج.

وهنا يظهر بوضوح كلمة بولس الرسول: أنْ لا يفرق بين الاثنين إلاَّ «همُّ العالم»، يحمله المتزوجون ويستعيض عنه البتوليون الروحيون بهمٍّ الصراع المكشوف مع العدو بالإضافة إلى قمع الجسد واستعباده لحساب الروح:

- **فإن كان امتياز البتول** الروحي هو في اقتناء الاختبارات الروحية العالية لحساب المحبوب والكنيسة - إن هو نجح حقاً في قمع الجسد واستعباده وحفظ الروح على مستوى إرادة المسيح - كما يمتاز أيضاً في كشف أسرار الإنجيل ومعالم طريق الخلاص والحياة الأبدية، وقيادة الكثيرين حيّاً وبعد الانتقال.

- **فالمتزوج يمتاز** في تقديم أمرين: **الأول،** اقتناء أخت يحفظها ويرعاها في خوف الله ويقدِّمها معه شريكاً كاملاً في الإيمان الواحد والسعي الواحد للخلاص والرجاء الواحد في ملكوت الله، فيكمِّلان بحياتهما مشيئة الله. **الثاني،** تقديم ما يشاء الله أن يهبه لهما من بنين وبنات، كثروا أو قلوا - وإن كثروا كثر الجزاء - يقدِّمونهم أو يقدِّموهنَّ للكنيسة ليُغنوها بالإيمان ويريدوها ثراءً بالحب. الكنيسة التي هي بعينها عروس المسيح وجسده. هكذا من جسديهما يعطيان زينة لجسد المسيح ونمواً واستمراراً جيلاً بعد جيل.

فإن كان البتول الذي قدَّس حياته للمحبوب الإلهي يعطي الكنيسة حياة مقدسة من حياته ومعرفة إلهية ونوراً سماوياً وخبرة حية، ويورِّث الكنيسة اسمه وجهاده لتزداد الكنيسة قوة ونعمة ونوراً في العالم،

ويقدِّم نموذجاً حيّاً لإنجيل حيٍّ مُعاش يمتد من جيل إلى جيل لكي لا ينطفئ نورها قط؛

فالمتزوج والمتزوجة يضيفان جسديهما أو بالحري جسدهما الواحد المتحد **بالحب** إلى جسد المحبوب السماوي (الكنيسة)، ومن جسديهما يهبان من حبهما ثمرة الحب المقدس، البنين والبنات، لهيكل الكنيسة لتزداد بأولادها أعضاءً ونشاطاً وحباً وعملاً وخدمة ونوراً للعالم!

يقول المسيح في نهاية حواره في هذا الأمر: «**مَنْ استطاع أن يقبل فليقبلْ**». لم يميز المسيح، ولكنه ألْمَحَ من بعيد نحو الذي يحبه أكثر كشأن المحبوب حتماً.

ثم مرة أخرى إلى سمو الزيجة الروحية، أي الاتحاد بالمسيح المحبوب:

هذا يكرره المسيح مرة أخرى كآخر وصية وآخر شهوة "للمحبوب" قبل أن يصعد على الصليب بساعات قليلة، يتوسل من أجلها لدى الآب. وعلى القارئ أن يهتم جداً بالنظر إلى عمومية الطلبة» :ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط؛ **بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم**، ليكون **الجميع واحداً**، كما أنك أنت **أيها الآب فيَّ وأنا فيك**، ليكونوا **هم أيضاً واحداً فينا!!!**... أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو ١٧: ٢٠-٢٣).

هنا يُشدِّد المسيح مكرراً أن تكون وحدته فينا موازية لوحدة

الآب فيه وملتحمة بها: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ **وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا...، أنا فيهم وأنت فيَّ، ليكونوا مكمَّلين إلى واحد**»! هكذا ارتفعت الزيجة الروحية إلى مستوى اللاهوت!! فإذا تذكَّرنا ما سبق وقلناه: إن وحدة الآب والابن هي بالأساس وحدة حب متبادل: «**الآب يحب الابن، والابن يحب الآب**»، تبيَّن لنا أن **وحدة المسيح فينا** ونحن فيه هي **وحدة حب** متبادل بذات القوة، فهي حب موحِّد! حتى أصبحت وحدانية الإنسان في المحبوب مهيَّأة لتنفعل بوحدانية الآب مع الابن وتتقرب إليها.

- **رفع نموذج المحبة الإلهية المتبادلة بين الابن المحبوب وبين المؤمنين إلى مستوى الشهادة العظمى لصدق إرسالية الابن إلى العالم:**
+ «**أنا فيهم** وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد، **وليعلم العالم أنك أرسلتني**» (يو ١٧: ٢٣).

- **ثم رفع نموذج هذه المحبة المتبادلة بيننا وبين الابن المحبوب، لنشهد أن الآب قد أحبنا فعلاً كما أحب الآب الابن المحبوب:**
+ «ليعلم العالم أنك أرسلتني، **وأنك أحببتهم، كما أحببتني**» (يو ١٧: ٢٣).
+ «**ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد**» (يو ١٧: ٢٢).
+ «**ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا**» (يو ١٧: ٢١).

هذه هي معجزة تنازل اللاهوت ليدخل الإنسان في مجال سر المحبة الإلهية التي بين الآب والابن التي هي أساس الوحدة الإلهية

بين الآب والابن.

مَنْ يصدِّق هذا ؟ أليس هذا هو عجب اللاهوت العجاب، أن يتنازل الله بهذا القدر؟ أن نصبح في مجال حب الآب، وهو نفس المجال الذي أحب به الابن أو بالأقل على التوازي معه (**"كما أحببتني"**، "**كما أننا نحن واحد**")!!

هذا في الحقيقة هو سر **"المحبوب"**، الابن الذي احتوى كل حب الآب، الذي لما تنازل وأخذ صورة العبد وصار في الهيئة كإنسان، لما أخذ من العذراء جسداً، نزل إلى عالمنا **وفيه كل حب الآب!** وبالموت والفداء، رفع البشرية إلى مستواه، فدخلت معه وفيه إلى ذخائر وميراث المحبوب، وصارت البشرية المفدية شريكة معه في ذات حب الآب!! وبهذا صرَّح المسيح بسرِّه الأعظم، وهو على مرأى من الصليب عن مقدار المجد الذي أعطانا وشاركناه فيه: «**وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد**» (يو ١٧: ٢٢). هذا وعد بامتداد حب الله الآب فينا على طول الزمن وحتى إلى الأبد. هذا وعد "المحبوب"، الوعد الذي سجلته السماء ليردد صداه الأبد، ليُكمَّل أمام أعيننا وفي قلوبنا يوماً فيوماً إلى أن يأتي، نعم حتماً سيأتي ويكمل الوعد عياناً، ونرى بأعيننا مجد الحمل!! هو ضمين الوعد الذي وعد، الساهر على كلمته ليُجريها: «عرَّفتُهم اسمك **وسأُعرِّفهم**، ليكون **فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم**» (يو ١٧: ٢٦). نعم، تعالَ سريعاً أيها المحبوب، فقد جفَّت ينابيعنا.

أيها القارئ، استيقظ، نحن لسنا في حلم؛ بل رؤية صادقة ووعد

أكيد تَسَجَّل لنا من المحبوب مُوثَّقاً بحضور الآب. إننا نحيا الآن زمان خطبتنا ونؤهَّل كل يوم بتزكية الروح القدس، نُحسُّها بخفقات قلوبنا لكي نرى ونكون شركاء تحقيق وعد المحبوب. اسمع ما يقوله الروح:

+ «شاكرين الآب الذي **أهَّلنا لشركة** ميراث القديسين في **النور**،
الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، **ونقلنا إلى ملكوت** ابن **محبته**» (كو ١: ١٢،١٣)!!

+ «لأني خَطَبتُكم لرجل واحد، لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١: ٢)[٢].

عزيزي القارئ، واضح أن حقيقة هذه الوعود المباركة والثمينة التي ختم عليها الابن المحبوب بدمه، نكتشفها كلها في محبة المسيح التي نذوقها في الصلاة كل يوم، في التسبيح بقلب فَرِح متهلل، في عفة وطهارة الجسد، في اشتياق والتهاب الروح، في وقفتنا السماوية أمام المذبح المقدس حيث نستقبل جمرة اللاهوت في أحشائنا، ولكن بالأكثر جداً في الحب الملتهب الذي يحرق قلوبنا من نحو المحبوب والآخرين كل الآخرين. فكل شيء سيذبل ويتلاشى إلاَّ الحب، فهو الأجنحة الروحية التي ستحملنا في النهاية وتطير لتحطَّ بنا في حضرة المحبوب والآب.

---

(٢) متى يتحقق هــذا الأمل ∴ ويــأتي أوان الـزفــاف
وتنظر عيناي مجتد الحمل ∴ وأسمع صـوت الهـتـاف!!!

بولس الرسول رجل تمرَّس في معرفة أسرار المحبوب، وأعطانا بالسر مفتاح الكنز لنبلغ النهاية:

+ «وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في **المحبة**، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين...
وتعرفوا **محبة المسيح** (المحبوب) الفائقة المعرفة،
لكي **تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف ٣: ١٨،١٩)!!

هذه الصيغة موازية تماماً لصيغة صلاة المحبوب في (يو ١٧). فإن كانت صلاة سر المسيح في يو ١٧، أو التعريف بها في أعلى وأصدق ما كتب بولس الرسول في رسالة أفسس؛ نجد أنها تدور كلها في مجال "**الحب**" الذي أشاعه "**المحبوب**" في عالمنا ووقف ضميناً لكل ما وعد أن يكمِّله.

يقول قائل: ما هذه الأعاجيب التي تتكلَّم عنها أيها الكاتب؟
أقول: يقول الروح:

+ «ونحن لم نأخذ روح العالم؛ بل (**أخذنا**) **الروح الذي من الله**، **لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله**» (١كو ٢: ١٢).
+ «**الروح يفحص كل شيء حتى أعماق (حب) الله**» (١كو ٢: ١٠)!!!

فإن قلت أيها القارئ: إن هذه أمور فائقة ليست على مستوانا، يرد الروح قائلاً: «ما لم ترَ عين، ولم تسمع أُذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه الله للذين يحبونه؛ **فأعلنه الله لنا نحن بروحه**» (١كو ٢: ٩).

أو لماذا قال الكتاب: «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا» (رو ٥: ٥)؟ وهل محبة الله التي انسكبت في قلوبنا، انسكبت إلاَّ لكي تعطينا شركة مع المسيح والآب!! «وأما **شركتنا نحن فهي مع الآب ومعٍ ابنه** يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٣،٤). ألم نقل لك أيها القارئ أننا مدعوون لهذه الشركة عينها، كعريس وعروس، بتوثيق الآب وعمل الروح القدس؟ وهل يمكن أن يكون لنا فرح كامل إلاَّ إذا توثقت رُبُط زيجة النفس مع المحبوب؟ على مرأى من الآب ورضا ومسرة.

ولا نستطيع أن نختم جولتنا مع المحبوب إلاَّ بتكرار ما قاله بولس الرسول:

+ «وأنتم متأصِّلون ومتأسسون في المحبة،
حتى تستطيعوا أن تُدركوا مع جميع القديسين...
وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة،
لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣: ١٨،١٩)!

إلى هنا ينتهي سر المحبوب الذي جعل محبته الباب المفتوح على "ملء الله"!!

أيها الكاتب، نحن رضينا بما كتبْتَ، ولكن كيف نبدأ وأين الطريق؟

إنها خفقة قلب - يعرفها المحبُّون في الحال - إيذاناً بدخول المحبوب، وحينئذ يبدأ الطريق إلى ما شاء الله.

(يناير ١٩٩٤)

- ٧ -

الفدية والكفَّارة

يُقال في اللاهوت بحسب جذوره في العهد القديم أن المسيح هو الفدية التي قدمها أبوه الكلِّي المجد والكرامة، ولكن لا يُقال إنه الفادي، فالآب افتدانا بابنه. فالآب هو الفادي والابن هو الفدية، لذلك لم يأتِ لقب الفادي بالنسبة للمسيح في جميع أسفار العهد الجديد، وذلك عن وعي لاهوتي دقيق ومُلفت للنظر. لأن الآب هو صاحب المشورة الأزلية والتدبير في تقديم ابنه فدية: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١: ١٨-٢٠).

فالمشورة الأبوية تمت في الأزل، وبحسب فكر الآب تم اختيارنا في المسيح منذ الأزل أيضاً: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٤،٥).

فالله الآب أكمل الفداء في الأزل، والابن أتم الفداء في الزمن. لذلك أصبح لقب الفادي من أخص خصائص الله الآب بالنسبة لخلاصنا. ولقب الفدية هو لقب الطاعة للابن تجاه الآب، وهو من أعز وأنبل الصفات التي عرفناها عن المسيح وربطتنا به رباط

الأبد. فسمتنا الأولى والعزيزة هي أننا المفديون كلقب خلاص للمجد والفخار، وعلينا علامة الفداء: دم الحمل، نُعرف بها بالروح لدى الملائكة والقوات السمائية وتقشعر منها القوات الشريرة وتظهر لهم كثياب بيضاء: «وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَنْ هم ومن أين أتوا؟ فقلت له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف» (رؤ ٧: ١٣،١٤).

والفدية قريبة المعنى واللفظ في العبرية من الكفَّارة، ولكن يُقال إن الله فدانا بابنه، وقدَّمه كفَّارة لنا. فالمسيح لما كفَّر خطايانا، فدانا من الموت - وكِلاَ اللفظين في العبرية يعني: غطَّى. فالفداء غطاء أي حَجْب الموت عنَّا، والتكفير تغطية بمعنى حَجْب الخطية. والتغطية في اللغة العبرية هي: الكبوراه، وهي بالعربية: الكفَّارة، وفي اللغة الإنجليزية المتأثرة بالعبرية: Cover.

الفدية في إنجيل القديس مرقس:

+ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم **وليبذل نفسه فدية λύτρον عن كثيرين**» (مر ١٠: ٤٥).

الفدية في إنجيل القديس متى:

+ «كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**» (مر ٢٠: ٢٨).

والفارق الوحيد بين النصَّين دقيق وبديع. فالمسيح يعطي للفدية

في إنجيل القديس متى دافع الخدمة وكرامتها في بذلها، إذ بينما يسردها القديس مرقس كواقع قائم بذاته: "ابن الإنسان فدية"، يسردها القديس متى كمثل يُحتذى به يُسلِّمه المسيح للتلاميذ ليكون رائد الخدمة المتضعة جداً ليرفع من قيمتها اللاهوتية. والذي يوضح هذه النية عند المسيح الآية التي سبقتها: «مَنْ أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية...» (مت ٢٠: ٢٧،٢٨)!!

والعجيب الذي يثير انتباهنا أن المسيح - فعلاً - غسل أرجل تلاميذه قبل أن يكمل العشاء الأخير، إذ قام عن العشاء وغسل أرجل تلاميذه، فصار عبداً حقاً قبل أن يصير سيداً بالحق: «قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتَّزر بها. ثم صبَّ ماءً في مِغْسَلٍ وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ...» (يو ١٣: ٤،٥). وبعدها أكمل ذبح نفسه، وصبَّ دمه في كأس وأكمل الفدية قبل أن يكملها على الصليب.

انظروا يا إخوة، أين موقع الخدمة من الفداء؟ وأية خدمة؟ خدمة العبد! «لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً! الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنه ليس عبد (أنتم) أعظم من سيده (أنا)» (يو ١٣: ١٥،١٦).

وانظروا يا رجال الكنيسة، وانتبهوا يا رجال الكنائس الذين تجتمعون دائماً لتتنازعوا على لاهوت الفداء وتركتم المدخل.

الفدية في القديس بولس:

+ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية ἀντίλυτρον لأجل الجميع الشهادة في أوقاتها الخاصة» (١تي ٢: ٥،٦).

هنا لم يعُدْ موضع "لابن الإنسان"، اللقب الذي استخدمه المسيح عن الفدية في الإنجيل كما هو مزمع أن يقدمها - كالعبد المُهان - على مستوى خدمة البشرية كلها وغسل أرجلها التي تدنَّست في طرق وطرائق العالم: «مِلنا كلٌّ واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦). ولكن القديس بولس هنا يستعلن "ابن الإنسان" الذي في الإنجيل، أنه هو هو الذي استعلن الإله والإنسان معاً، وقف وسيطاً يمثل البشرية المهانة - على الصليب - أمام الله الآب يطلب لها الرحمة والغفران. علماً بأن كلمة "الرحمة" ἔλεος هي اللفظة التي اشتُقت منها كلمة الكفَّارة ἱλασμός، ثم صارت في الطقس واللاهوت معاً هي غطاء التابوتἱλαστήριον المسمَّى كرسي الرحمة الذي اعتبره بولس الرسول أنه هو المسيح (رو ٣: ٢٥) الذي حمل في دمه كل خطايا البشرية، فكفَّرها أي غفرها أو غطَّاها، ثم قام من بين الأموات وظهر أمامنا وتعيَّن أنه ابن الله ممثِّلاً الآب لنا، مُصالحاً ومتبنِّياً لنا وساكباً حبه مع روحه القدوس.

بولس الرسول يريد أن يقول إن **الفدية** التي قدَّمها (المسيح) لله من أجلنا - حسب مشيئة الله كالتدبير - هي التي أهَّلته أن يقف وسيطاً بيننا وبين الآب، عاقداً باسمنا ولحمنا ودمنا عقد الصلح

الأبدي مع الآب بعد أن أخذ خطايانا في جسده على الخشبة، وقَبِلَ اللعنة راضياً وبمرارة غَصَّت حلقه على الصليب، حتى إن ذلك الهادئ الوديع الذي لم يسمع أحد صوته في الشوارع، صرخ على الصليب من عِظَم المهانة والفضيحة، إذ دخل العار حلقه وكسر قلبه، وراجع الآب في عِظَم جفائه والعلقم الذي سقاه؛ صرخ بصوت عظيم ولم يُبالِ لا برُعبة الملائكة ولا بشماتة الشيطان: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟! نعم، هذا هو وسيطنا الذي قَبِلَ من الله الآب حُكْم الموت واللعنة، كيف لا يقسم له أبوه غنيمة بين الأعزَّاء، ويرفعه ويُعليه فوق كل العظماء، ويعطيه كل سؤل قلبه: صُلحاً لنا وسلاماً، وبنوَّة في بنوَّته، وميراثاً في ميراثه، فنِعْمَ الوسيط!!

يا إخوة نحن أغفلنا حق وسيطنا لدى الآب، وإلى الآن لم نُقدِّم له مثقال ذرة عِوَض جبال الرحمة التي أحاطنا بها، والحب الذي سكبه لنا من قلبه المجروح ومن قلب الآب الذي سُرَّ أن يسحقه بالحزن حتى يعتصر من دمه لنا حياة. لا صلاة شكر قدَّمنا كما يليق، ولا تسبيحاً لا بالليل ولا بالنهار، ولا دخلنا معه في عشرة حلوة يجري فيها حديثنا معه سرّاً وبتهليل وأصوات لا تهدأ، تغار منها الملائكة في السماء.

يا إخوة قد أغفلتم عقد المحبة ما سلَّمكم من جرح جنبه: عقد الخطوبة الذي حرَّره بولس بيديه، بل زواج يوثِّقه الروح القدس على المذبح كل يوم، إذ يسقينا دم العريس ويُطعمنا جسده ويوثِّق الاتحاد ليحيا فينا ونحيا به، كالتصاق العريس بالعروس: «أنتم فيَّ

وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). فأين الحب الذي بادلناه؟ وأين السهر؟ وأين أواني الزيت؟ وأين المصابيح، وها الصوت آتٍ من بعيد؟ فماذا أنتم فاعلون؟ الزمان مقصَّر وقد تناهى الليل، وهي الساعة الأخيرة. لقد سوَّفتم العمر باطلاً وزيتكم قد تناقص، والزمان زمان رديء عزَّ فيه البيع والشراء، والكلمة جفت في حلق الحكيم وليس مَنْ يُعلِّم الحق والكل معلِّمون. والفادي يُناديكم: انظروا جروحي، والخطية التي حملْتُ، واللعنة التي تقبَّلْتُ، والانكسار الذي عانيْتُ. فاتركوا الجهالات وتعالوا إليَّ، لأن عندي الحياة والنور والنعمة، وطهارتي أهبها لكم مجاناً، وميراث حب الآب لي أقتسمه معكم، تعالوا.

الفدية عند القديس بطرس:

+ **«عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم»** (١بط ١: ١٨-٢٠).
+ **«الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر»** (١بط ٢: ٢٤).

لا يزال الرسل هنا منفعلين بتوصيف "الفدية" كما قدَّمها المسيح، أنها على مستوى الخدمة المنسحقة التي للعبيد، مع الاتضاع إلى مستوى غسل الأرجل كالوصية. فهنا يرفع القديس بطرس من هِمَّة الإخوة اليهود الذين ورثوا عادات سيئة وممارسات مشينة من

تقليد آبائهم في السيرة الباطلة. ولم يجد ما يلهب قلوبهم إلاَّ آلام "الفدية" ودماؤها التي قدَّمها المسيح كحمل وديع بلا عيب ولا دنس. ثم يصف القديس بطرس "الفدية" في شكلها العام أنها ليست على مستوى الأمور الفانية، ذهب وفضة، بل فدية على مستوى الحق والصدق والخلود. فالفدية التي قدمها المسيح، يا إخوة، بذبح الجسد وسفك الدم، ثمَّنها الله أبوه بالحياة الأبدية وكل أمجاد السماء والمجلس الأول عن يمينه، ودمه يتكلَّم بالشفاعة عنا كل حين. وآثارها هي أبدية، قائمة كما هي يوم قُدِّمت، إلى هذه الساعة وإلى نهاية الدهور. فالمسيح ليس أقل من هابيل ولا دم هذا أقل من دم ذاك: الذي «وإن مات يتكلم بعد» (عب ١١: ٤).

هكذا فدية المسيح، يا إخوة، لا تزال تتكلم وتحكي عن آلامها المروعة وما وُضِعَ عليها من خطايا. فالذي لم يعرف خطية "**جعله الله أبوه خطية" من أجلنا**، حتى حينما يهرب منه الزاني أو المستبيح أو المتهتك في القباحة والإثم والمتدنس بأفعال الدنس، يجري وراءه صوت دم ابن الله ليُناديه: تعالَ يا ابني وحبيبي، خطيَّتُك عندي وأنا حملتها تماماً كيوم أنت مارستَها، ودفعتُ أنا ثمنها ضرباً وسحقاً وصلباً ولعنةً وعاراً، وأخذتُ لك صكَّ غفران عنها وبراءة، بل واكتسبت لحسابك نوط جدارة. تعالَ! تعالَ! لأفرح بك بقدر ما تعبت من أجلك. تعالَ، لأُلبسك تاج الخلاص وأسكب عليك من حبي وروحي وأُقدِّمك إلى أبي، فأنت أعزَّ خرافي وقد ثمَّنْتُك بدمي!!

القديس بطرس يذكر المسيح هنا مُشبِّهاً إيَّاه بالحمل، ولكن لا يقصد الحمل نفسه بل دمه. والحمل مع الدم يستخرج منهما

القديس بطرس ذبيحة دموية، والحمل يمثل طهارة الفدية وغاية براءتها. ففي ذهن القديس بطرس شاة إشعياء التي تُساق إلى الذبح لا تفتح فاها: «وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. فقال له بيلاطس: أَمَا تسمع كم يشهدون عليك؟ **فلم يُجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً»** (مت ٢٧: ١٢-١٤).

+ «أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه... والرب وضع عليه إثم جميعنا... على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش» (إش ٩،٦،٧).

ثم بقوله: "حمل بلا عيب"، يستحضر أمامنا المناسبة بين "فدية" المسيح وحمل الفصح. فالمناسبة شديدة، ولكن من جهة الخلاص من الملاك المُهلك بسبب التركيز على "الدم". فالدم الكريم τιμίῳ يشير إلى ارتفاع قيمة الفدية، فهو - دم ابن الله - ليس في مقابل الذهب والفضة بعد، بل في مقابل فداحة الثمن المطلوب لدفع غرامة خطايا عَجَزَ الناموسُ عن غفرانها. فيا خطاة كل الأرض بكل صنوف خطايا العمد مع سبق الإصرار وتوفُّر النية المبيتة وكل ظروف الحكم بالإعدام بلا رحمة، تعالوا، اقتربوا من الدم الكريم لتجدوا خطاياكم ذابت في لجة قوة هذه الفدية (الغفران بالدم لا يمنع القضاء أن ينفذ قوانينه). فموت الجسد لا يمنع فعل الغفران ونوال الحياة الأبدية، بشرط الاعتراف والتوبة.

+ **«معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم»** (١بط ١: ٢٠).

الكلام هنا مجمل عن المسيح ،ولكن القديس بطرس يقصد

بوضوح عملية الفداء وما تم بمقتضاها في مشيئة الآب الأزلية وتدبيره من جهة اختيار الإنسان وخلاصه بواسطة ابنه، الذي إذ تجسَّد في ملء الزمن نفَّذ المشيئة الأزلية التي للآب، وهكذا استعلن في الزمن ما كان مخفياً في مشيئة الآب في الأزل. أما قول القديس بطرس أن الفداء بحسب مشيئة الآب أُظهر في الأزمنة الأخيرة، فبقوله: الأزمنة الأخيرة، يفصلها عن الأزمنة الأولى التي كانت من نصيب الأنبياء الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار: «الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أيُّ وقت أو ما (حال) الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها» (١بط ١: ١٠،١١).

والقديس بولس الرسول يؤكِّد هذه الحقيقة أن الله الآب سبق فاختارنا قبل تأسيس العالم، وحتماً من واقع الفداء الذي كانت صورته كاملة في مشيئة الآب وتدبيره: «الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٣-٥). وواضح من كلام القديس بولس هنا أنه سواء كان اختيارنا في المسيح قبل تأسيس العالم - أي في الأزلية - أو مسرة مشيئته من جهتنا بأن يجعلنا قديسين وبلا لوم لنقف أمامه نسبِّحه ونمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب - باعتبار ما سيكون في الزمن - بحسب مسرة مشيئته منذ الأزل؛ كل هذه كانت خطة الآب الأزلية المتكاملة

من نحونا نفَّذها الابن في ملء الزمن، وسواء كانت في الأزل في تصوُّر قلب الله، أو حادثة في الزمن، ينبغي أن نعرف تماماً أنها خطة حب عارم احتفظ بها الله في قلبه وسلَّمها للابن المحبوب، ليكمل له حبه في ملء الزمن، و«يُصالحنا لنفسه».

فيا أبناء محبة الله، الذين نقلهم من ملكوت الظلمة تحت قيود الشيطان إلى ملكوت ابن محبته (كو ١: ١٣)، وحرسهم بنعمته وآزرهم بروح قدسه ونقشهم على كفِّه (إش ٤٩: ١٦)، ماذا قدَّمتم لقلب الآب الذي هكذا أحبكم بمشيئة أزلية وازداد حبه لما وهبكم كماله المسيحي وتبنَّاكم لتكونوا خليقة جديدة تقف أمامه تمدح مجد نعمته؟ هل تعلمون أن وظيفتكم التي صرتم بنينَ على أساسها، هي وقوفكم أمامه تمدحون مجد نعمته، كخوارس تتقدَّم كل الملائكة، كأبناء تبنَّاهم الله لنفسه ليُسرَّ بهم ويفرحون بحضرته؟ القديس يوحنا يقول كمختبر من واقع حي: «الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٣،٤). وماذا كانت شركة الرسل: «هؤلاء كلهم كانوا **يواظبون بنفس واحدة على الصلاة** والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته» (أع ١: ١٤)، «وكانوا **يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات**» (أع ٢: ٤٢). هكذا بُنيت الكنيسة على النفس الواحدة والصلاة معاً!!

+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢: ٢٤).

هنا "الفداء" يأخذ قوة ملامحه الأولى عند القديس بطرس. فالأصل في الفداء أن يفدينا المسيح من لعنة الهلاك وحكم الموت الأبدي. ولكن لا يمكن أن يجري هذا الحكم على المسيح أو يقبل جسده الموت واللعنة بأي حال، لأنه قدوس وبلا عيب بشهادة الكتاب وباعترافه هو: «مَنْ منكم يُبكِّتني على خطية...» (يو ٨: ٤٦)؟

ولكن كونه يأخذ جسداً طاهراً من العذراء القديسة مريم، كان هذا أول خطوة لرسم خطة الفداء.

ثم يقبل هو **نفسه** بحرية إرادته، ولكن بحسب مشيئة الآب، أن يحمل خطايانا (بصفة كلِّية وعامة) في جسده على الخشبة. هنا وضح تماماً أن النية للموت كملت. ويسأل الجميع سؤالاً يتردد منذ البدء كمعضلة لاهوتية: كيف حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة؟

نجد الإجابة على هذا السؤال بالعودة إلى محاكمة المسيح سواء أمام مجمع قضاة إسرائيل أو المحكمة الرومانية: الأول يمثل الله رسمياً وينطق باسمه ويحكم بأمره، والثانية تمثل أعلى محكمة قضائية في العالم.

والآن، إلى محضر المحكمة وملابسات الحكم بالموت صلباً:

لأول وهلة يحسب الفاحص لمحضر الجلسة أن القضية ملفَّقة، بدليل أن بيلاطس أعلن أن رؤساء الكهنة أسلموه حسداً، ولثلاث مرات خرج بيلاطس يعلن أن المتهم بريء ولم يجد فيه علَّة واحدة

للموت، وفي النهاية غسل يديه من ذنب هذا البار وحكم بصلبه. فما هي حقيقة الأمر؟ هل تجنَّى رؤساء الكهنة؟ أو هل تجنَّى بيلاطس؟

وهنا إذ نركِّز على اعترافات المسيح كمتهم نخرج بالحقيقة، لأن أكثر ما يذهل القارئ في كل مفردات هذه القضية هو **موقف المسيح:**

فسلوك المسيح هو في الحقيقة الذي جرَّ رؤساء الكهنة ليحكموا بالصلب، وهم في غاية الارتياح من جهة الضمير، وإليك أيها القارئ **سؤال رئيس الكهنة موجَّهاً للمسيح مباشرة**، بعد أن تقدَّم شاهدا زور وأدليا بالاتهام: «**قام رئيس الكهنة** وقال له: أَمَا تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً...» (مت ٢٦: ٦٢،٦٣).

سؤال بيلاطس: «وقف يسوع أمام الوالي... وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، **لم يجب بشيء**، فقال له بيلاطس: أَمَا تسمع كم يشهدون عليك؟ **فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً**» (مت ٢٧: ١١-١٤).

وفي إنجيل القديس مرقس تتكرر الأسئلة من رئيس الكهنة ومن بيلاطس رئيس المحكمة: «**ولم يجب بشيء**» (مر ١٤: ٦١؛ ١٥: ٥).

سؤال هيرودس: وترجَّى هيرودس أن يرى آية تُصنع أمامه «وسأله بكلام كثير **فلم يجبه بشيء**» (لو ٢٣: ٩).

المحاكمة في إنجيل القديس يوحنا:

وهنا تختلف مواقف الصمت وتتحوَّل في فم يسوع إلى مهاجمة، سواء على رئيس الكهنة أو بيلاطس.

رئيس الكهنة: «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه».

أجابه يسوع: «أنا كلَّمت العالم علانيـة. أنا علَّمت كل حين في المجمع (أمـام رؤساء الكهنة) وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء. **لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا** (اسأل نفسك) ماذا كلَّمْتُهم؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا» (يو ١٨: ١٩-٢١).

والآن نلخِّص سلوك المسيح:

يُفهم من صمت المسيح إزاء الأسئلة الرئيسية الخاصة بالاتهام، إذ كانت ردود المسيح كلها مسجَّلة بالصمت، حيث يمعن الإنجيل في ذِكر حالة الصمت أمام بيلاطس بالقول: «**فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً**»، يُفهم من هذا أن المسيح حرص كل الحرص أن لا يجيب على أي اتهام ولا بكلمة واحدة. أما تعجُّب بيلاطس فلأن بسلوك المتهم سيؤدي إلى فقدان كل حقوقه وسينتهي بأقسى عقوبة.

ومن هذا السلوك الذي سلكه المسيح في المحاكمة التي اتُّهم فيها رسمياً بأنه فاعل شر ومهيِّج ومُفسد بتعاليمه للأمة، تثبتت عليه هذه التهمة التي تشمل بالضرورة الحط من الناموس وكسر السبت

التي عقوبتها بحسب الناموس الصلب!!!

إذاً، فصمْتُ المسيح بهذه الصورة، وخاصة أمام رؤساء الكهنة، جرَّ رؤساء الكهنة إلى سهولة الحكم عليه وظنُّوا أنه فعلاً مستحق الصلب. أما صمت المسيح أمام بيلاطس، فجعل صوت رؤساء الكهنة هو الوحيد المسموع؛ وإلحاحهم بعقوبة الصلب دون أي اعتراض من المسيح، جعل بيلاطس أخيراً مضطراً للموافقة.

فلو تذكَّرنا كم مرة سبق المسيح وأعلن لتلاميذه أنه سيموت على الصليب - أي تحت اللعنة - ندرك أن المسيح كان يجرُّ المحكمة فعلاً للحكم بالصلب، والقصد أن يحمل الخطية واللعنة بإرادته. فلما دُقت المسامير في جسده، دُقت الخطية كعلَّة الموت. ولما ارتفع الصليب عالياً كملت شروط اللعنة: «ملعونٌ كل مَنْ عُلِّق على خشبة» (غل ٣: ١٣). وهكذا تقبَّل لعنة الناموس بسكوته.

إلى هنا نكون قد أعطينا فكرة لاهوتية مختصرة عن الفدية.

فما هي "الكفَّارة" التي تُحسب بحد ذاتها شرحاً للفدية؟

الكفَّارة في المفهوم المسيحي:

القديس بولس:

+ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفارة ἱλαστήριον بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله» (رو ٣: ٢٤،٢٥).

هنا فلينتبه القارئ لورود كلمة "**إيلاستيريون**" بمعنى "كفَّارة".

القديس يوحنا:

+ «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو الذي أحبنا وأرسل ابنه **كفارة** ἱλασμός لخطايانا» (١يو ٤: ١٠).
+ «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو **كفَّارة** ἱλασμός لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو ٢: ١،٢).

القديس بولس في العبرانيين:

+ «مِن ثمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء (المسيح) لكي يكون رحيماً ἐλεήμων، ورئيس كهنة، أميناً في ما لله حتى **يُكفِّر** ἱλάσκεσθαι خطايا الشعب» (عب ٢: ١٧).

الكفّارة:

باللغة العبرانية هي "الكبوراه"، وتعني: التغطية، أي التغطية للخطية فلا تعمل عملها في الموت.

وهي باللغة اليونانية: ἱλασμός وأصلها ἵλεως، وتعني الصفح: «وأكون صفوحاً ἵλεως عن آثامهم» (عب ٨: ٢٠). وهي في العهد القديم تفيد صفة الرحمة الخاصة بالله، ولكن في العهد القديم فقط إذ لا وجود لهذه الصفة في العهد الجديد لأنها أصلاً مستخدمة في كلمة الإيلاستيريون، وهو غطاء تابوت الشهادة الذي احتفظ به موسى في سيناء وكان يحوي لوحي العهد، وقسط المن، وعصا هارون التي أزهرت وأفرخت تذكاراً لأعمال الله مع الشعب العابر في سيناء. فعصا هارون التي أزهرت وأفرخت كانت علامة

رضا الله على الشعب بسبب سبط لاوي الذي ترأَّس عليه هارون وكان أول رئيس كهنة، وحُفظت في تابوت الشهادة لبقاء رضا الله على الشعب، إزاء التمرُّد الذي كان قد حدث: «وقال الرب لموسى رُدَّ عصا هارون إلى أمام الشهادة (التابوت) لأجل الحِفظ علامة لبني التمرُّد، فتكفَّ تذمراتهم عني لكي لا يموتوا» (عدد ١٧: ١٠). أما لوحا الشهادة فهما لوحا الحجر اللذان كُتب عليهما وصايا الله. وقسط المن علامة على رعاية الله لشعبه إذ أعطاهم خبزاً من السماء طوال رحلتهم ٤٠ سنة. وكان غطاء التابوت الإيلاستيريون مصنوعاً من الذهب، وكان الله يخاطب موسى من فوقه.

والذي أدخل كلمة الـ "إيلاستيريون" إلى العهد الجديد هو بولس الرسول، إذ أوردها في الآية المذكورة أعلاه (رو ٣: ٢٥) بمعنى "**كفَّارة**" مباشرة. فكان هذا يُعدُّ سبقاً لا مثيل له، إذ جعلنا ننتبه إلى الإيلاستيريون أي غطاء التابوت باعتباره يمثِّل "**الكفارة**"، لأن رئيس الكهنة كان ينضح عليه بإصبعه من دم ذبيحة الكفارة، فتُغفر كل الخطايا التي اعترف بها الشعب أو الخاطئ على رأس ذبيحة المحرقة قبل ذبحها. وبهذا وضح أمامنا لاهوت العهد القديم مطبَّقاً على ما تم مع المسيح على الصليب باعتباره "ذبيحة مُحْرَقَة"، وأن دمه حمل كل خطايانا فكفَّرها أي غطَّاها على الصليب الذي نضح عليه دمه. ومعروف في الطقس الكنسي أن الصندوق الذي فيه كأس الدم المقدس، يوضع على المذبح حسب التقليد على لوح خشب يسمَّى في الطقس لوح العهد، مأخوذاً - في المعنى - من غطاء التابوت الذي كان ينضح رئيس الكهنة عليه

الدم، دم ذبيحة الكفَّارة، فيُكفِّر خطايا المعترفين على رأس ثور الذبيحة، فأصبح هذا اللوح يمثِّل الصليب.

وهكذا دخلت **"الكفارة"**، و**"ذبيحة الكفارة"**، والـ **"إيلاستيريون"**، الكلمة التي أدخلها بولس الرسول بمعنى الكفَّارة، دخلت كلها في علم اللاهوت المسيحي كوسيلة عملية لشرح مفهوم الصليب والدم المسفوك وقوته في غفران الخطايا، بل وذبيحة المسيح نفسها ومفهوم قوتها الكفارية، مما كشف أمام أعيننا كل أسرار الفداء وغفران الخطايا في العهد الجديد، وصُوَرَه الأولى العملية في طقس العهد القديم.

ويهمنا أن نلفت نظر القارئ إلى أن الله رسم كل الطقوس القديمة لتحمل في طياتها شرح كل اللاهوت بدون مفسر وبدون شرح، إذ كان الشعب يؤمن بها ويمارسها حتى أُلقي الضوء عليها في عهد النور والنعمة.

ومن روائع الطقس الكنسي الذي أُهمل أمره وأُنسي ذِكره، طقس **"اعتراف الشعب"** بدون وسيط على دم المسيح فوق المذبح، إذ من صميم لزومية رفع البخور، أن الكاهن يدور دورته على الشعب ويُقدِّم الشورية لكل مؤمن واقف في الكنيسة (وكان يلزم أن يتأنَّى ويقف أمام كل واحد لحظة) حتى يقول اعترافه على الشورية سرّاً، بعدها يتجه الكاهن إلى باب الهيكل ويقف ويُقدِّم البخور إلى فوق وهو يصلي رافعاً عينيه نحو الله ويقول: "... **اقبل إليك اعترافات شعبك**... الخ"، ويتقدم ويبخر أمام المذبح وفوقه (فوق الكأس)، لينقل إلى دم المسيح خطايا شعبه ليُكفِّرها أي

يغفرها.

وإن كان لا يزال بعض الكهنة يمارسونها شكلاً في الطقس، إلاَّ أنها توقفت عملياً منذ القرن الثالث عشر، وحلَّ محلها الاعتراف على الكاهن (انظر كتاب: "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لابن كبر قسيس كنيسة المعلقة، ولكن في مخطوطة غير مشوَّهة، وهو مدوَّن في القرن الثالث عشر).

تصحيح خطأ لاهوتي شائع

"مات من أجلنا"، وليس "عنا":

ولكن المسيح قَبِلَ اللعنة من أجلنا، ولا يُقال: "عنَّا" (بمعنى كبديل عنا)، لأنه مات بنا وليس عنا، لأنه أخذ جسداً من جسدنا وأخذ خطايانا في جسده هذا، على الصليب. بمعنى أن المسيح تبنَّى البشرية العتيقة في نفسه، فلما صُلب بها دخلت معه اللعنة حتماً لتوفي عقوبتها؛ أما نحن فأخذنا اللعنة عن آدم باستحقاق خطايانا، أما هو فأخذها بالمشاركة كمشيئة أبيه وباختياره، وليس عن استحقاق قط لأنه كان قدوساً وبلا شر. فالمسيح جاز بالبشرية العتيقة الآلام والموت واللعنة لتستوفي عقوبتها وهي فيه، ثم قام بلاهوته فأقامها معه. فلما مات على الصليب مُتنا معه، ولما دُفن دُفنَّا معه، ولكن لأنه هو ابن الله ولم يكن مستوجباً الموت أو اللعنة، قام من الموت كإله، بما له من قداسة وقوة حياة تدوم، إذ لم يستطع الموت أن يمسك به ولا اللعنة استطاعت أن تحجزه في الهاوية، فقام بكامل مجده الذي له مع الآب منتصراً على الخطية

واللعنة والموت والهاوية.

أما نحن فأقامنا معه لأننا كنا فيه.

فلولاه لبقينا في الموت واللعنة إلى الأبد، ولكن لما قام أقامنا معه. ولأنه كان متحداً بنا، غلبنا الموت بغلبته، وقمنا بقيامته، وأخذنا طبيعة جديدة من طبيعة ليس عليها حكم الموت ولا اللعنة وليس عليها سلطان الخطية بعد. وهذه هي البشرية الجديدة المؤهَّلة بالروح لشركة الحياة الأبدية مع الآب والابن.

فحينما يقول بولس الرسول: إن «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» (غل ٣: ١٣)، فهو يعني أن المسيح فدانا بقبوله اللعنة على الصليب **لأجلنا**، وبالتالي صار لعنة أيضاً **لأجلنا**، بمعنى أنه صار مصلوباً **لأجلنا** وليس "عنا". لأن كلمة "عنا" هنا خطيرة للغاية، إذ تجعل قبوله الموت واللعنة كاستحقاق شخصي وهذا يلغي الفدية إلغاءً، ولكنه قَبِلَ اللعنة **"لأجلنا"** وعن محبة فقط، عن حب وطاعة لأبيه، فصار هذا فدية محبة بكل المعنى والموازين: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠).

وما يُقال في اللعنة يُقال في الآلام. لذلك نقول: «تألمنا معه»، لأنه تألم **لأجلنا** أي بنا وفينا، وليس "عنا" كأنه باستحقاق شخصي، وحاشا.

كذلك يُقال في الموت، فنحن متنا معه لأنه مات **لأجلنا** وليس "عنا"، (كأنه كبديل عنا)، كأنه باستحقاق شخصي مات.

وهكذا يظهر مقدار الخطأ اللاهوتي في القول بأن المسيح تألم

عنا أو مات عنا أو قَبِلَ اللعنة عنا. ولكن وللأسف لا يزال يسقط في هذا التعبير كثيرون حتى الآن. لهذا لزم التنبيه.

ذبيحة المحرقة، وكيف فدانا المسيح من لعنة الناموس؟

في ذبيحة المحرقة في العهد القديم - ثور مثلاً - كان رئيس الكهنة أو الشعب ممثلاً في رؤساء أسباطه يعترف على رأس الثور، عن خطايا السهو فقط لأن خطايا العمد ليس لها ذبيحة، ثم يذبح رئيسُ الكهنة الثورَ ويأخذ من دمه ويدخل إلى قدس الأقداس، وينضح منه على غطاء التابوت بحضرة الله الذي يكون قائماً في سحابة البخور الذي يرفعه رئيس الكهنة فوق التابوت من المجمرة التي بيده. بعد ذلك تُحرق ذبيحة المحرقة خارج المحلة وتظل النار مشتعلة أمام الشعب طول الليل - منظر حزين ومرعب - فالثور حمل الخطايا وسُفك دمه وقُدِّم منه على غطاء التابوت أمام الله للغفران ثم أُحرق بكماله. ماذا تمّ؟ ذَبْح الثور أي موته بسفك دمه - ومعروف أن الدم فيه النفس أي الحياة - اعتُبر نفساً بنفسٍ، نفس الثور وحياته عِوَض نفس الخاطئ وموته، وكأن حياة الثور التي في دمه استبقت حياة الخاطئ أمام الله. والمعنى والواقع هو أن تموت الذبيحة ويحيا الخاطئ. والنار تمثل غضب الله واللعنة التي عِوَض أن كانت تنال من الخاطئ أحرقت الثور حتى آخره، فالثور حمل اللعنة والغضب الإلهي عوض الخاطئ. وهنا حُسبت الذبيحة كفارة لخطايا الخاطئ، وحُسب الذبح والموت والدم للتكفير عن الخطايا والحصول على الغفران من الله أمام غطاء التابوت الذي يُنضح عليه الدم وفيه الخطايا، والحريق والنار التي أفنت وجود

الثور فناءً حُسب للتكفير عن اللعنة والغضب الإلهي الذي كان يعني إهمال الله للخاطئ والتخلّي نهائياً عنه. فبهذا التصوُّر يُقدِّم لنا بولس الرسول آيته الفريدة التي يصف بها ما حدث للمسيح بالنسبة لنا كخطاة وتحت اللعنة هكذا:

+ «**جعل الذي لم يعرف خطيةً خطيةً لأجلنا**، لنصير نحن برَّ الله فيه» (٢كو ٥: ٢١).
+ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ **صار لعنة لأجلنا**، لأنه مكتوب: ملعونٌ كل مَنْ عُلِّق على خشبة» (غل ٣: ١٣).

فمن جهة الخطية تحمَّل المسيح الخطايا كلها عليه، خطايا السهو والعمد، ولكي يُجعل المسيح كفؤاً أن يحمل كل خطية من كل نوع ونوع بكل تحديد دون أن تفلت خطية واحدة لم يحملها المسيح، وضعها القديس بولس في **وضعها المطلق: صار "خطية"**، لكي لا يجزع أي خاطئ من نوع خطيته بعد، ظانّاً أن خطيته لا يمكن أن تُحسب بين الخطايا لشناعتها!!

وقد سبق أن وصفنا متى أخذ المسيح خطايانا في جسده على الخشبة؟ وكيف أخذها؟ بقبوله حكم رؤساء الكهنة في المجمع وحكم بيلاطس في المحكمة الرومانية دون اعتراض أو مناقشة، حاسباً كل الاتهامات بكل الخطايا أنها صحيحة بالنسبة له. وهنا المنظر مثير جداً للعواطف لذوي الخيال الحي: فهنا وقف المسيح موقف ذبيحة المحرقة قبل ذبحها صامتاً، والشعب كله يعترف بخطاياه على رأسه وبناءً عليه اعتبره الناموس مستحقاً الذبح والموت. فهنا المسيح وقف نفس الوقفة **صامتاً** أمام نفس رئيس الكهنة وكل شيوخ

الشعب يُعدِّدون خطاياه ويصبونها عليه، وهو واقف صامتاً يتقبلها دون اعتراض أو مناقشة، وأخيراً حدَّدوا آلة موته صلباً كملعون من الله لأنه خالف الناموس، فلم يعترض بل حمل صليب اللعنة على كتفه كمَن حمل العار بإرادته قبل أن يرفعوه عليه فيتقبل اللعنة كعقوبة من الله لتحرمه من الله: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟

هكذا "**صار لعنة من أجلنا**"، لننجو من اللعنة إلى الأبد.

كما "**صار خطية من أجلنا**"، لنفوز بالغفران والصفح، فننال البر الأبدي.

ولكن، هل حلَّت لعنة الله على المسيح حقاً؟ أم أنها مجرد تصوُّر وكلام؟

بدأ هذا النزاع الخطير في مسألة اللعنة منذ القرن الرابع، إذ أثار هذه القضية الخطيرة القديس جيروم ٣٢٤-٤٢٠م، وأصرَّ أن المسيح لا يمكن أن تحلَّ عليه لعنة إذ هو قدوس، وأن التمسك بالقول بأن المسيح صار لعنة هو تجديف. وانحاز له أساقفة الغرب منذ ذلك الزمان وبعضهم حتى إلى الآن، وانبرى الأساقفة واللاهوتيون يدافعون عن قداسة المسيح تماماً كما صنع القديس بطرس مدافعاً عن فكرة الصلب للمسيح بنوع من القناعة والتشدُّد: «حاشاك يا رب»! فبطرس يعرف أن الصلب هو عقوبة الخطاة المجرمين الذين تحل عليهم اللعنة إذ يُرفعون على الخشبة، فكيف يقول الرب يسوع لهم: "إن ابن الإنسان سيُصلب ويموت"؟؟ ولكن كان رد المسيح بل رد اللاهوت الذي لا يشوبه

فكر بشري هكذا: «فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره (ينتهر المسيح؟) قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي **لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس**» (مت ١٦: ٢٢،٢٣).

وقد عدَّد العالِم الألماني ماير في كتابه: "شرح رسالة غلاطية" أسماء أعاظم اللاهوتيين المحدثين الذين تزعموا موقف بطرس للمحاماة عن قداسة المسيح واستحالة قبوله اللعنة. ولكن لا نريد أن نجعل من هذه القضية قضية نزاع فهي قلب الإيمان وروحه؛ إذ أن المسيح إن لم يكن قد تقبَّل لعنة الناموس التي هي لعنة الله عينها، من أجلنا، ما استطاع أن يموت أو ما كان موته حقيقياً بل شُبِّه لهم كما يقولون، وما استطعنا نحن أن نفلت من اللعنة الأبدية والموت الأبدي. فإما يتقبل المسيح اللعنة - "من أجلنا" - ويموت ويقوم في اليوم الثالث، وإما نحيا نحن في اللعنة والموت أي تحت الغضب الإلهي ولا نقوم أبداً. ورداً على كل دفاع عن استحالة قبول المسيح اللعنة لأنه قدوس وابن الله، يكون الرد: لولا أن المسيح قدوس هو وابن الله، ما قَبِلَ الخطية وما قَبِلَ اللعنة أي ما قَبِلَ الصلب والموت، لأنه بقداسته ولاهوته داس الموت بموته وقام من الموت ونفض عنه وعنَّا اللعنة إلى الأبد.

لقد أخذ المسيح خليقتنا بكل ما فيها وما عليها، وأخذ على الصليب خطيتها في جسده وقَبِلَ لعنتها بلا نقصان. أخذها حسب مشيئة أبيه بالتدبير كخطة منذ الأزل بالمشيئة الأزلية لتتم كفعل في عمق الزمن، ليصنع بها ومنها خليقة جديدة لائقة أن تكون مع

الآب والابن والروح القدس في شركة حياة أبدية وعلى مستوى الابن في البنوَّة والمحبة والميراث. أما أن تتدخل عواطفنا البطرسية لتنتهر المسيح مرة أخرى وتقول له: حاشاك أن يكون لك هذا، فهذه لا تزال مشورة الشيطان وفلسفته لتنهي على قوة الفداء ومعنى الكفارة، بل وتجعل من كل مقولاتها نظريات مزيَّفة.

وإشعياء يصرخ من وراء الدهور ليقول: أيها اللاهوتيون هذه مشيئة الآب: «أما الربُّ فسُـرَّ بأن يسحقه بالحزن، إنْ جعل نفسه ذبيحة إثم» (إش ٥٣: ١٠). وصوت المسيح من فوق الصليب يرد ويقول: آمـين، موافقاً على سحق الآب ومرارة الكأس، ولكن في عتاب لقسوة التأديب: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟ فالمسيح كان يصرخ من عمق بنوَّته للآب مدافعاً عن الإنسان الذي حمله وهو في حال ذلِّه، وغضب الله عليه.

فلو لم يكن المسيح قد قبل لعنة الله كلها بلا نقصان، لأصبح قول بولس الرسول: إنه فدانا من لعنة الناموس، حقيقة مزيَّفة ومجرد خداع.

فالله الآب الذي رَضِيَ بأن يجعل المسيح خطية من أجلنا، ويجعله لعنة من أجلنا، حسب المشورة الأزلية والمشيئة الحكيمة لفدائنا وخلاصنا؛ هو هو الذي أقامه من الموت ورفعه فوق أعلى السموات وأجلسه عن يمينه.

فإن كان لا يزال بعض اللاهوتيين يقولون بأن المسيح لم يقبل اللعنة، يُقال لهم: وكيف قَبِلَ الصليب؟ وهو عين اللعنة. بل

لحرص المسيح أن يُكمِّل اللعنة حتى آخر قطرة أو نسمة حياة، ظل يُعاني حتى لفظ آخر شهادة: "قد أُكْمِلَ"!! قد أكمل عمل الصليب الذي هو قبول اللعنة والغضب الإلهي حتى الموت استيفاء للعقوبة كما قيلت من فم الله لآدم. ونحن نعجب من هذه الأفكار الضعيفة التي لا تستطيع أن ترتفع إلى مستوى عظمة الفداء ولا تزال ترى في "كلمة الصليب جهالة!! جهالة الله الذي هو أحكم من الناس" (١كو ١: ٢٥)!!

ولكي نثبِّت فكر القارئ ونزيد الحقيقة تأكيداً، نلفت نظر القارئ إلى اهتمام بولس الرسول في توثيق قوله عن المسيح: إنه **"صار لعنة من أجلنا"**، إذ يُضيف قرينة البرهان والتأكيد مباشرة من الكتاب: «**لأنه مكتوب: ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة**». ونذكِّر القارئ في عدد المرات الكثيرة التي تغنَّى المسيح فيها كونه "سيُصلب"، كمَنْ يرى في اللعنة القادمة قمة الرسالة وتاج الفداء وانفتاح الباب للعهد الجديد.

أما لماذا أورد القديس بولس هذه الحقيقة الفدائية الخطيرة، وأكَّدها وصمَّم عليها وبرهنها؟

فواضح أنه بانتهاء لعنة الناموس ينتهي الناموس بأكمله، وبانتهاء الناموس يبدأ الإيمان بالله بدون ناموس. فينفتح الباب للأمم للإيمان بالله على طقس إبراهيم حسب الوعد الصادق بالعهد الجديد.

وفي الختام ننقل للقارئ خلاصة بحث قام به أحد علماء الكتاب

المقدس، وقد ورد في قاموس كيتل اللاهوتي الألماني في موضوع اللعنة:

[ليس عبثاً يتكلم بولس عن الفداء الذي تم لنا (غل ٣: ١٣)، وعن التبرير الذي حصلنا عليه (رو ٣: ٢١)، وعن التصالح الذي جرى بيننا وبين الله (٢كو ٥: ١٧). وبالاختصار عن شركتنا مع الله، قبل أن يتكلم عن: المسيح الذي «**صار لعنة من أجلنا**»، والذي «**صار خطية**».

فكون المسيح يصير لعنة من أجلنا، يعني أن المسيح، قد وضعه الله في موضع بُعدنا عن الله وتخليته عنَّا، حتى يُخرجنا من هذه الغربة والتخلية، ويُدخلنا إلى الشركة معه][1].

[ما لا يوجد أي نفع في محاولة التحديدات التي يحاولها اللاهوتيون في أبحاثهم التي يحاولون بها زحزحة اللعنة لتكون من الناموس وليس من الله، أو التي تحاول حصرها في اليهود وليس فينا نحن][2].

والآن، يا إخوة، بعد أن عرفنا وتأكَّدنا أن المسيح أخذ خطايانا في جسده على الخشبة، وقَبِلَ لعنة الخطاة والخطية، ورَضِيَ بخشبة العار، كل ذلك من أجلنا، وأنه تعيَّن من أبيه أن يكون الفدية لكي بدمه وصليبه يصير لنا غفران الخطايا، وبقيامته تصير لنا حياة جديدة ومصالحة مع الآب وقُربَى ودالة وتبنٍّ وشركة وحياة أبدية؛

---

(1) G. Kittel, *TDNT*, Vol. 1, p. 451.

(2) Ibid.

فالآن، لم يـبقَ لنا إلاَّ أن نحقِّق الآن ما عرفناه وآمنا به!

ولا توجد وسيلة نحقِّق بها هذه المكاسب والنِّعَم، ونحياها ونفرح بها، ونسعد بنصيبنا السماوي، ونذوق صلاح الرب فعلاً ونهتف بمجده؛ إلاَّ بالصلاة، فهي باب السماء المفتوح على الدوام.

وكل الذين دخلوا شهدوا، وبقيت شهادتهم لنا حافزاً للصلاة والشهادة: "أحبني ومات من أجلي"!!!

ختام:
الحب والفداء:

الأصول الأولى التي نبع منها الفداء والكفَّارة:

بقدر ما يجد القارئ صعوبة في فهم دقائق الفداء والكفَّارة، فإن ينبوعه الأول الذي نبع منه فكر الفداء ورسمت خطته وكل عملياته الدامية هو **حب الله للإنسان**. فبكل وضوح وصراحة قال الروح في الإنجيل عن أصل الفداء: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

أما أول درجة عملية اتخذها الله، فهي أن أوعز إلى ابنه أن يأخذ جسد إنسان، ونفس صورته يتحد بها، ليصيِّره رأس بشرية جديدة بعد أن يزيل من عليها حكم الموت واللعنة ويُدخلها دائرة حب الله الشخصي لتحيا معه من جديد تسبِّحه ويفرح بها. فنزول اللاهوت ليتحد بصورة إنسان فيه ما فيه، ليس من الحب فقط للإنسان بل من التكريم له بما يفوق العقل، مما حدا بالابن أن يُعلن: «لينظروا مجدي

الذي أعطيتني... وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٤،٢٦) ضماناً أبدياً أن لا يخرجوا مرة أخرى من حضرة الله.

فإن كانت قصة الفداء قد بدأت من طرف الإنسان بحياة الخطية والإثم والتعدِّي، ودوافعها من جهالة العداوة والبغضة والحسد والخصام، وما يرافقها من الحيرة والتخبُّط والحزن والبكاء والتنهد والشعور بغضب الله؛ فإن وجه الفداء من طرف الله مُشرق غاية الإشراق، يفيض حبّاً صادقاً ونية حارة للمصالحة. فمن جهة الآب يقول: «إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه» (٢كو ٥: ١٩). أما من جهة الابن يسوع المسيح، فأول تعبير عبَّر به بفمه عن الفداء المزمع أن يصنعه للإنسان من دمه أنه قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم. احملوا نيري عليكم... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» (مت ١١: ٢٨-٣٠). وبدأ يشرح أعمال وصفات الفدية: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣)، «ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨)، «أنتم تدعونني معلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك... قد غسلتُ أرجلكم» (يو ١٣: ١٣،١٤). وآخر ما قال وأعظم ما قال: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا... اصنعوا هذا لذكري" (مت ٢٦: ٢٧،٢٨؛ لو ٢٢: ١٩،٢٠).

وهكذا احتوى المسيح كل مفهوم الفدية بإعطائنا دمه في كأس لنشربه، كحبيب ذبح نفسه من أجل الذي يحبه، وأعطاه دمه ليذكر

حبه له الذي قيَّمه بدمه. وقد حوَّل حبه المتدفق من قلبه إلى دمه المنسكب في كأس. فكل لغة لاهوت الفداء مهما بلغت من الصعوبة، فهي توقيعات خفقات قلب الله الآب لا يسمعها الإنسان إلاَّ إذا بدأ يفهم لغة الحب، وإن عبَّر عنها الابن ونفَّذها على ضرب السياط وذبح الصليب وسفك الدم، فذلك لكي يوقظ قلوبنا البليدة لتدرك لغة حب الله من نحو الإنسان الخاطئ، وصدق نيته من نحوه منذ الأزل.

ويكفي أن أكبر لاهوتي في العالم، وبآن واحد، أكبر خاطئ، لما أدرك دقائق سر الفداء وفهم لغة الله وسمع دقات قلبه وشرح كل أعمال فدية الابن على الصليب، أنه عبَّر عن الفداء بتسبحة أخذ يغنِّي بها طول حياته، من ثلاث كلمات ونصف، تحوي كل سر اللاهوت: «**أحبني وأسلم نفسه من أجلي**» (غل ٢: ٢٠).

(فبراير ١٩٩٤)

الخلاص والإيمان

تبدو العلاقة بين الخلاص والإيمان غير مفهومة فهمها اللاهوتي الصحيح عند الكثيرين، إذ لأول وهلة يفهم الإنسان أن عليه أن يؤمن بالمسيح، حيث **الإيمان** يشمل أن المسيح مات من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا (رو ٤: ٢٥)، كما تقول الآية، وبهذا الإيمان نخلص: «إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصتَ» (رو ١٠: ٩). والخلاص هو بغفران الخطايا والانعتاق من عقوبة الموت الأبدي، كون المسيح مات على الصليب من أجل خطايانا؛ كما أن الخلاص يشمل قبول الحياة الأبدية، كون المسيح داس الموت وقام من الأموات وأقامنا معه في جدَّة الحياة.

هنا يقوم الفهم من جهة الخلاص أنه يتم بالإيمان. أي أن الإيمان هو واسطة الخلاص أو هو الذي يهبنا الخلاص، ولكن هذه المعلومة اللاهوتية معكوسة.

والصحيح هو أن الخلاص أكمله المسيح للإنسان وقدَّمه هبة مجانية للخطاة. فالذي يؤمن، أي يصدِّق، يَحسِب الله إيمانه له خلاصاً. إذاً، فالإيمان هنا ليس هو ثمن الخلاص، لأن الخلاص تمّ مجاناً ووُهِبَ مجاناً وبلا ثمن من أي نوع، وتصوير الأمر عملياً هو كالآتي:

المسيح أكمل الخلاص وحمله على يديه وقدَّمه للخاطئ، فالذي يمد يده ويأخذه يكون قد خلص. فالإيمان ليس ثمناً ولا واسطة للخلاص، بل هو تصديق وأخذ معاً. هذا لأن الله في المسيح يريدنا أن نخلص بدافع الحب والرحمة للخاطئ ("لا يموت الخاطئ بل يحيا")، فلا يتطلَّب من الإنسان الخاطئ إلاَّ أن يصدِّق حب الآب: «نحن قد عرفنا **وصدَّقنا المحبة** التي لله فينا» (١يو ٤: ١٦)، ويتقبل منه هدية الخلاص الذي اقتطعه لنا من لحم ابنه ودمه.

بهذا لا يشكِّل الإيمان أي جهد فكري أو نفسي أو جسدي عند الإنسان الخاطئ لكي يخلص، بل كل ما يطلبه الله منه أن يقبل ويرضى بالخلاص الذي أُكمل، وهو معروض عليه ليأخذه لنفسه كحق له ليعيش به فوراً حسب مشيئة الله والمسيح: «الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقْبِـلون» (١تي ٤: ٢).

والذي يوضِّح هذه العملية اللاهوتية التي تكشف أعماق حب وخيرية الله التي تفوق عقلنا ومنطقنا، ما عمله الله مع إبراهيم - كأساس إلهي لمعنى وحقيقة هبة الله وإيمان الإنسان - والذي يُحسب أنه أعظم صورة لقلب الله وفكره تجاه الإنسان، وكان هكذا: «بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام، أنا تُرسٌ لك، أجرك كثيرٌ جداً... ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدَّها، وقال له: هكذا يكون نسلك. فآمن (أبرام) بالرب فحسبه له برّاً» (تك ١٥: ١،٥،٦).

واضح هنا أن الله قدَّم نفسه لإبراهيم أن يكون تُرساً له، أي

حافظاً وحارساً من كل شر بدون شروط أو مطالب، ثم قرر له أن يكون أجره كثيراً جداً بمعنى نصيبه من الله. ذلك بدون شرط أو سبب. ثم عاد ووهبه بركة لنسله تفوق حصر الفكر والعدد. إزاء هذه الهبات كان رد إبراهيم الوحيد أنه آمن بهذا الوعد المجاني، فعاد الله وحسب له إيمانه برّاً، بمعنى أنه اعتبره قد صار تقيّاً وقديساً دون أي عمل من طرفه.

والآن نسأل: هل إيمان إبراهيم هو الذي وهبه وعد الله وبركته؟

فالحقيقة أنه قبل أن يتحرك قلب إبراهيم بالإيمان، كان الله قد قطع معه العهد والوعد ومنحه البركة!!

إذاً، فما هو قيمة ووزن إيمان إبراهيم؟

كان إيمان إبراهيم هو تصديق صدق الله وحبه ووعده وعهده. هذا **التصديق** أي هذا الإيمان في هذا الوضع أسر قلب الله جداً، لأنه كان بمثابة تكريم وتعظيم واعتراف وتسبيح لصدق الله في وعده ولحبه السخي جداً وعطفه المجاني. لا يوجد تكريم لله أعظم من تصديق وعوده وحبه السخي جداً، وفي المقابل لا توجد إهانة لمجد الله أكثر من عدم تصديق وعوده وحبه. ولذلك لم يُعنِّف المسيح تلاميذه أكثر مما عنَّفهم بسبب عدم إيمانهم: «**أيها الجيل غير المؤمن، إلى متى أكون معكم، إلى متى أحتملكم**» (مر ٩: ١٩)! لاحِظ أن كل هذا التعنيف كان لمجرد أنهم فشلوا في عمل معجزة **بسبب عدم إيمانهم**. وقد بلغت المسرة في قلب الله حتى إنه حسب إبراهيم أي حسب إيمانه برّاً، أي اعتبر أن تصديق إبراهيم لأعمال الله هو على مستوى بلوغ البرّ أي منتهى التقوى والقداسة. هذا هو عجب

تصرُّف الله، وعجب تصرُّف إبراهيم أيضاً، وبآن واحد.

وهكذا يصبح من بنود اللاهوت المستحقة كل فهم واهتمام، أن الإيمان بالله هو بحد ذاته أعظم تكريم وتمجيد لله، لأنه تصديق لمواعيده وعهوده للإنسان المملوءة حباً وعطاءً مجاناً. حيث إن الإيمان يعني تقبُّل عطايا الله وأخذها وامتلاكها بكل جراءة كحق صار للإنسان وذلك استجابة لعطاء الله غير المشروط. وحينما قال الله لإبراهيم: «أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكُنْ كاملاً» (تك ١٧: ١)، فهذا لا يكون لإبراهيم على سبيل الرجاء أو التمنِّي أو حتى الاجتهاد، ولكن قالها كما قال للخلق "كُنْ" فكان (تك ١: ٣)، فهو بمثابة أمر صدر بالنفاذ لأن البركة التي يعطيها الله تشمل قيادة النعمة والحفظ: «أنا تُرسٌ لك» (تك ١٥: ١).

وبالنسبة لِمَا عمله الله في المسيح، فإن القول الإلهي بأن: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦)، يوضِّح كيف ربط الحب بالبذل بالإيمان بالحياة الأبدية على مستوى العطية أو الهبة المتكاملة نافذة المفعول. فالإيمان بما عمله الله في المسيح هو هبة كهبة المحبة وهبة البذل وهبة الحياة الأبدية التي أعطاها مجاناً، فمَنْ آمن وصدَّق ووثق، يكون قد دخل الحياة الأبدية!! **فالإيمان** معروض كهبة مع الحياة الأبدية ليس للإنسان فضل فيه إلاَّ كونه استجاب له ووثق - بالنعمة - فأخذها كحق لأنها معروضة عليه مجاناً. فالإيمان معروض مع الحياة الأبدية هبة بهبة، الذي يأخذ هذه يأخذ تلك، فإن صدَّقتَ هذا العرض خلصتَ. فالإيمان لا يخرج عن كونه حركة

تصديق وثقة في القلب تندفق خلالها الحياة الأبدية.

ويظهر من هذا أن الإيمان في تقدير الله يساوي البر أي يساوي التقوى الكلِّية والقداسة. أي أن الإيمان في مستواه عند الله أعلى من تقديم الحياة كلها صوماً وصلاة وأعمالاً صالحة لترضي وجه الله.

هذه هي حقيقة الإيمان في الحياة المسيحية. فالذي يؤمن ويثق بأن الله موجود، يحيا في هذا الوجود. والذي يؤمن ويثق أن الله محبة، يحيا في محبته. والذي يؤمن ويثق بالخلاص الذي صنعه الله بابنه، يحيا في هذا الخلاص. إذاً نقول إن: «**كل مَنْ يؤمن به تكون له الحياة الأبدية**» (يو ٣: ١٦)، «الذي يؤمن به لا يُدان» (يو ٣: ١٨)، «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية» (يو ٣: ٣٦)، «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو ١١: ٤٠)، «آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور» (يو ١٢: ٣٦)، «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو ١١: ٢٨)، «مَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو ٦: ٣٤)، «**الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية**» (يو ٦: ٤٧)!

ونذكِّر القارئ أن بحسب إيمان إبراهيم، تكون البركة أولاً ثم الإيمان، أي التصديق هو الذي يجعل الإنسان باراً أمام الله. فليس الإيمان هو الذي يعطي الإنسان البركة، بل البركة تُعطَى أولاً ثم يأتي الإيمان. فالله بارك إبراهيم ووعده بالميراث، ثم آمن إبراهيم فحسبه له الله برّاً. فأنت أخذت الخلاص والنعمة والحياة الأبدية وما عليك إلا أن تؤمن بذلك وتصدِّقه ليكون لك وليحسب لك الله إيمانك برّاً. ولكن إيمانك لا يكون له قيمة، إن لم تؤمن أن الله أعطاك من عنده مجاناً، وأكمل لك عطية الخلاص والبركة والنعمة

والحياة الأبدية. فإيمانك بحد ذاته ليس على مستوى الثمن فهو لا يحنن قلب الله ولا يُلزمه أن يعطيك شيئاً، لأن قلب الله مملوء من نحوك حناناً ودفع لك مجاناً كل محبته، فكمَّله في الخلاص الذي أكمله بابنه . فهل تصدِّق أنك خلصت حقاً؟

ومثلاً بالنسبة لمرثا أخت لعازر كان مجد الله قائماً أمامها ومحيطاً بها، فقال لها المسيح: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو ١١: ٤٠)، يعني أن مجرد إيمانها يجعلها تراه وتمتلكه. فالإيمان بمثابة شباك مفتوح نرى من خلاله مجد الله. ولكن إيماننا لا يُحدر لنا مجد الله من السماء أو يرفعنا إليه. وهكذا الخلاص، فهو فينا ولنا ومحيط بنا، فإن صدَّقنا أي آمنا به نراه ونعيش: «لأن القلب يُؤمَنُ به للبرِّ، والفم يُعتَرَفُ به للخلاص» (رو ١٠: ١٠). واضح أن هذه الآية تطبيقية على إيمان إبراهيم الذي صدَّق به المواعيد فحسبه له الله برّاً. فبولس الرسول يعتبر أن القلب وليس الفكر هو مصدر التصديق، لأن مواهب الله وعطاياه والخلاص الذي تمّ هو على مستوى الروح وليس الفكر، لذلك فالتصديق هو رؤية قلبية.

لذلك يصبح **القلب هو مصدر الإيمان** أي الرؤيا والتصديق والثقة، ويوزن إيمانه أي تصديقه بمواعيد الله والخلاص الذي تمّ بواسطة الرب يسوع المسيح أنه امتلاك حقيقي للخلاص، وبالتالي حصوله على برِّ المسيح، لأن المسيح في عملية الخلاص مات من أجل خطايانا **وأُقيم لأجل تبريرنا** (رو ٤: ٢). لذلك فإيماننا بالخلاص بمعنى تصديقه يعني نواله بالروح لأننا قمنا بالفعل وتبررنا بالضرورة!! هكذا يؤمن القلب أي يصدِّق فيتبرر ببرِّ

المسيح، وهذا يوازي منتهى الكمال المسيحي.

فانظر عزيزي القارئ، أن إيمانك بالخلاص الذي يعني عملياً أنك تصدق موت المسيح وقيامته من أجلك، يمنحك مباشرة ومن الله "بر المسيح" المجاني، والبر نعرِّفه أنه هو منتهى التقوى والقداسة. من أجل ذلك سُمِّي المؤمنون منذ أيام الرسل بالقديسين، فكل الرسائل تقريباً التي أُرسلت لجميع الكنائس كان يُخاطب فيها بولس الرسول المؤمنين بالقديسين، لأنهم كانوا تقدَّسوا بالإيمان بدم المسيح حقاً:

+ «إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوِّين قديسين» (رو ١: ٧).
+ «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدَّسين في المسيح يسوع (بالإيمان) المدعوين قدِّيسين...» (١كو ١: ٢).
+ «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس مع القديسين أجمعين...» (٢كو ١: ١).
+ «إلى القديسين الذي في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع» (أف ١: ١).
+ «إلى جميع القديسين في المسيح يسوع...» (في ١: ١).
+ «إلى القديسين في كولوسي والإخوة المؤمنين في المسيح...» (كو ١: ١).

وواضح هنا أن كل المسيحيين الذين يكوِّنون الكنيسة اعتُبروا قديسين لأنهم كانوا مؤمنين بالمسيح أو في المسيح كما كان يخاطبهم القديس بولس. ومعنى "قديسون في المسيح"، أنهم يستمدون برَّهم

من برِّ المسيح، وقداستهم من قداسة المسيح، فهم أبرار قديسون بالحق. لأن الإيمان بالمسيح يعني في اللاهوت: اتحاد بالمسيح بحكم الخلاص ونوال الروح القدس والحياة الأبدية، والاتحاد بالمسيح مَكْني عنه بالشركة في المسيح أيضاً أي شركة في الحياة الأبدية.

ولكن للأسف والحزن لم يعد يسمَّى المسيحيون في زماننا هذا بالقديسين، واختُصَّ بها الأساقفة وبقية الكهنوت ولكن كمجرد لقب، فيلقَّب أيٌّ منهم بصاحب القداسة أو "قداستك"، مع أن أي مؤمن مسيحي يُدعى في المسيح قديساً وباراً بحكم إيمانه الذي صدَّق به وقَبِلَ شركته مع المسيح وميراثه مع المسيح لله. وهذا واضح من الآية: «إلى جميع القديسين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة...» (في ١: ١)، بهذا يكون القديس بولس قد جعل لقب القديسين لقباً واحداً بالنسبة للشعب المؤمن بالمسيح في الكنيسة مع أساقفتهم وشمامستهم، لأن صفة القداسة مستمدة من "**الإيمان**" بالمسيح وليس كمؤهلات شخصية: «فالقلب **يؤمن به للبر**»، أي يؤمن به للقداسة أي **للتقديس!** ذلك لأن المسيح الذي نؤمن به: «قد صار لنا من الله براً **وقداسةً** وفداءً» (١كو ١: ٣٠).

فهذا التفريق الحادث الآن في لقب القداسة راجع إلى ضياع مفهوم القيمة الإلهية للإيمان. فبعد أن كان الإيمان بالمسيح هبة عامة، أصبح الإيمان بالمسيح نوعاً من الوظيفة والتكريم الشخصي، وضاعت قيمته كهبة إلهية نصدِّق بها مواعيد وهبات الله المجانية فنناها: «**لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط**، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في ١: ٢٩). فأصبحت القداسة قرينة الآلام

مع المسيح.

فالآن نحن ندعو إلى رفع قيمة الإيمان باعتباره هبة الله الأولى والعظمى التي أُعطيت لكل مَنْ اختاره الله ودعاه إليه، لينال بواسطة الإيمان، أي تصديق الله، كل مواعيد الخلاص التي أكملها في ابنه من أجلنا، فيُحسب إيمانه له براً أي ينال التقديس في المسيح، لا فرق بين مؤمن ومؤمن. أما الألقاب فنحن لا نتعرَّض لها، ولكن نوعِّي المؤمن العادي أن إيمانه يُحسب له برّاً أي تقديساً، شرط أن يصدِّق مواعيد الخلاص أنها تمت له، فيؤمن أنه نالها بحسب صدق وعد الله. لأن كل مَنْ نال الخلاص ويحياه هو المؤمن في المسيح بالحق.

والآن بعد أن عرفنا معرفة الحق وصدَّقنا تصديق الإيمان الثابت أن الله حسبنا أبراراً في ابنه وصيَّرنا قديسين لمجده وتسبيحه، فأية سيرة ينبغي أن نحياها أمام الله والمسيح وملائكته. ولكن نعود ونؤكِّد للقارئ، أن الله لا يحسبنا قديسين وحسب، ولكن سيُحاسبنا على أننا قديسون وقد تقدَّسنا بدم ابنه وبروحه القدوس. فإن استكثرنا على أنفسنا أن نُحسب أو نُدعى بمقتضى الإنجيل والكنيسة أننا قديسون، فنحن سنُحاسب على هذا الوضع وهذه الدعوة المباركة. وإن كان الله في المسيح جعلنا قديسين بالحق، وليس مجرد أنه حَسِبَنا كذلك، فلنفهم ونثق أنه وهبنا روح قدسه ليعمل فينا أعمال القداسة، وأفكار وتصورات وتأملات القديسين.

نحن مدعوون قديسين في كنيسة الله، وتقررت لنا شركة مع كل قديسيها منذ البدء: «شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث

القديسين في النور...» (كو ١: ١٢). إذاً، فلنا في أرواحهم مؤازرة حتماً ومعونة وتنبيه حتى نكون على مستوى سيرتهم وقداستهم. أما القداسة التي تجمعنا كمؤمنين في المسيح، فهي وراثة وليست وعوداً أو أسماءً أو ألقاباً، وراثة قداسة البنين في جسد الابن. فالكنيسة كنيسة قديسين، ولا يمكن أن يحيا فيها أو ينتمي إليها إلا القديسون، أطفالاً كانوا أو رجالاً أو نساءً، سيَّان، فالكل منحصر في جسد المسيح كأعضاء فيه لهم معه وجود وشركة، ويعيشون أمامه وفي حضرته.

والآن، وبحسب ما قلنا ونقول كخبرة حيَّة منحها الله في ابنه كحق من حقوقنا المختومة بدم المسيح ومسرة الآب، فلنثق في وعود الله وعطايا الابن أن القداسة التي نلناها هي بفعل روحه القدوس، وهو معنا وفينا وساكن في هياكل أرواحنا التي ختمها الله والمسيح بدمه. وعلينا الآن أن نطلق الروح القدس يعمل فينا، بأن نفتح له طاقات جديدة في سلوكنا وأعمالنا بتقديم الحب للجميع، وخاصة الأعداء واللاعنين والمسيئين والذين يطردوننا ويسلبون أموالنا، لأن في بذل الحب ينشط الروح القدس ويعمل، ويضيء الفكر، ويهب عطاياه وهباته التي بلا حصر. فالروح القدس لا يأتينا من خارج بل هو فينا قائم وساكن حسب وعد الرب والمخلِّص، منتظراً بادرة الطاعة والخضوع له ليعمل بقوة ويضيء أعماقنا ويفتحها على أعماق الابن، فنعرف مشيئة الآب التي وهُبت لنا في المسيح.

وإن كنَّا نصلِّي أن يحلَّ الروح القدس فينا أو يملأنا، فهو تعبير الإحساس والشعور أي نشعر بعمله داخلنا، ولكنه هو قائم فينا

ينتظر حركة إرادتنا وبذل مشيئتنا، ليظهر فيها ويزيدها ويلهبها ناراً من عند المسيح. ونار المسيح، هي لهب الحب الإلهي الذي إذا سكن فينا حوَّل كل شيء فينا لحساب الله والقريب والعدو مجاناً، ولا يعود لنا إلا وجه المسيح الذي يطل علينا من السماء، كما أطلَّ على القديس بولس فملأ حياته شكراً وتسبيحاً وصلاة وخدمة لا تفتر.

أيها القديسون في المسيح، يا قوة الكنيسة ونورها وزيتها، الكنيسة بدون قداستكم مظلمة وأبوابها مُحرقة بنار الخطية والإهمال والاستهتار. اَشعِلوا قداستكم بتصديق الحق وعمل الروح بغيرة ليعود للكنيسة رائحة قداسة المسيح فيؤمن العالم أن للمسيح وجوداً حقيقياً فيكم. فالمسيح غائب عن الكنيسة بغياب قداستكم الحيَّة والفعَّالة. الصليب منكَّس في الكنيسة ومهان، لأنه لا يوجد مَنْ يحمله بالصدق ولا مَنْ يسير ويتبع المسيح باستعداد الموت عليه. الصلبان تُباع في الكنيسة والشارع بالقروش، فانحطَّت قيمة الصليب في عيون الناس، لأن القداسة غابت وغاب القديسون الذين يثمِّنون الصليب برقابهم ودمائهم.

ويلزمنا أن نعود إلى إيمان إبراهيم دائماً ونتأمل في مفهومه وماهيته وقوته، إذ لما وهب الله إبراهيم مواهبه من البركة المجانية له ولنسله إلى الأبد، آمن إبراهيم فحسبه الله له برًّا. هنا إيمان إبراهيم هو مجرد تصديقه، إنما بثقة في نعمة الله التي أُعطيت له. ونحن هنا نتعجب كل العجب، إذ أن إيمان إبراهيم لم يزد عن كونه تصديق وعد الله بالبركة، فكان إيمان إبراهيم بمثابة مجرد إمضاء أو ختم بالموافقة على وثيقة هبة وميراث منحها الله لإبراهيم بقسم،

فللحال صارت نافذة المفعول بإمضاء إيمانه.

هكذا تماماً وثيقة الخلاص التي كتبها المسيح بدمه وختمها الله الآب بتقديم أُبوَّته المجانية لكل مَنْ يقبلها، ولم يعد إلاَّ أن نختم بالموافقة أو التصديق بإيمان، أي بثقة، لتصير نافذة المفعول!!

ولكن عظمة الله الآب المتعجَّب لها حقاً هي أنه قرر أن كل مَنْ يختم بالموافقة والتصديق، أي بالإيمان بعمل الخلاص، يهبه البرَّ، بر المسيح، أي يمنحه قوة القداسة أو التقديس في المسيح.

هنا العجب يبدو مذهلاً بالنسبة للإيمان أولاً، لأن الله جعل أن مجرد تصديق أي إنسان على عملية الخلاص تصبح نافذة المفعول لحسابه. ثم لم يكتفِ الله بهذا السخاء بل زاد عليه أن كل مَنْ يؤمن - أي يصدِّق ما عمله الآب والمسيح - يجعله بارّاً أي يهبه القداسة، وهي المؤهِّل الكامل لنوال الحياة الأبدية مع الله.

فهنا إن كان الخلاص بحد ذاته يؤكِّد لنا عظمة الله الآب في محبته الأبوية وفي بذله لابنه من أجلنا، فإن طريقة نوال الخلاص تؤكِّد لنا مرة ثانية عظمة الله الآب في توصيله الخلاص لنا بطريق الإيمان أي هبة التصديق بثقة في وعود الله، لننال كل مواعيد الله التي دبَّرها لنا منذ الأزل. وفوق كل هذا قرر الله أن كل مَنْ يؤمن أي يصدِّق، يهبه برَّ المسيح أي تقديس الروح في المسيح مجاناً.

فيا مؤمنون، انتبهوا واستخدموا حقكم في الإيمان ولا تستهينوا بميراثكم في المسيح مع القديسين، لأن في إيمانكم وقداستكم غنىً للكنيسة والعالم وشهادة حيَّة لمزيد من الإيمان لاستعلان حقيقة

المسيح، إن كنتم حقاً تريدون للمسيح وجوداً في الكنيسة والعالم، لأن وجود المسيح واستعلانه رهن إيمانكم بقداستكم.

«لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم» (١تس ٤: ٣).

(مارس ١٩٩٤)

عمانوئيل

Ἐμμανουήλ

"عمانوئيل" تُنطق بكسر العين، وبالعبرية Immanû'-êl.
وترجمتها الصحيحة: "الله يكون معنا"، باعتبار المستقبل.
لأن إشعياء أخذها كوعد خلاص بعلامة فوق الطبيعة.

لأن مملكة يهوذا وقعت فريسة بين أرام وأفرايم، إذ تعاهدا عليها أن يحارباها ويأخذاها ويُنصِّبا عليها ملكاً من عندهم: «أرام تآمرت عليك بشرٍّ مع أفرايم وابن رمليا قائلة: نصعد على يهوذا ونقوِّضها ونستفتحها لأنفسنا ونملِّك في وسطها ملكاً ابن طبئيل» (إش ٧: ٥،٦). كان ذلك في أيام آحاز بن يوثام بن عُزيا ملك يهوذا، فأخبر بيت داود (مركز الملوكية): «فرجف قلبه وقلوب شعبه» (إش ٧: ٢):

+ «ثم عاد الرب فكلَّم آحاز (بفم إشعياء النبي) قائلاً: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك (ليطمئن أن الله معه)، عمِّق طلبك أو رفِّعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب ولا أُجرِّب الرب، فقال: اسمعوا يا بيت داود، هل هو قليل عليكم أن تُضجروا الناس حتى تُضجروا إلهي أيضاً. ولكن يُعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه

عمانوئيل» (إش ٧: ١٠-١٤).

ثم بعد ٧٠٠ سنة يتمم الله الآية، ويحقق الوعد، ويُعطي المعجزة التي بلغت رِفْعتها حتى إله السماء، وعُمْقها حتى شكل العبد!!

فهذا هو الله، في المحنة يذكر رحمة ويعطي معونة بآية تتحقق في ميعادها، وإن توانت فلا تتضجَّر لأنها تعمل بأثر رجعي لتزيل كل أحزان الماضي ومآسيه، وتمتد لتضمن للمستقبل حياة المجد!

يقول حبقوق النبي:

+ «على مرصدي أقف، وعلى الحصن أنتصب وأُراقب لأرى ماذا يقول لي، وماذا أُجيب عن شكواي؟ فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعدُ إلى الميعاد وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حبقوق ٢: ١-٣).

وهكذا وعد إشعياء آحاز واليهودية وبيت داود، وهوذا بعد ٧٠٠ سنة يولد بحسب إشعياء لبيت داود، من عذراء داود، عمانوئيل، ليجعل من اليهودية آية في الأرض كلها، ومن بيت داود خلاصاً لكل العالم.

أما **معجزة** ميلاد الرب من عذراء، فتقف في قوتها وفعلها موقف **معجزة** أن يُدعى الله "عمانوئيل" الذي تفسيره "الله معنا". فأنْ تلد العذراء فهذه معجزة، ولكن أنْ يُدعى المولود منها عمانوئيل فهذه معجزة المعجزات.

إنها مبادرة من الله تكشف عن مدى قلقه كل الدهور السالفة، وهو يترصَّد الوقت والمناسبة لكي يأتي إلينا يطلب القُربَى منَّا والصلح والتودُّد، ويبقى معنا بقاءً أبدياً.

فـ "عمانوئيل": "الله **معنا**"، لم يعُدْ اسماً ولقباً للرب يسوع المسيح المولود من العذراء، ولكنه كيان حقَّقه تحقيقاً ثابتاً أبدياً بأخذه جسداً لنفسه من العذراء بروح الآب. فقد لبسه على مدى تسعة شهور ولن يخلعه أبد الدهور.

فبلبسه جسدنا صار **معنا** بل صار فينا بل صار لنا، وأدخلنا في كيانه فصرنا وكأننا من لحمه وعظامه. شهوة اشتهى الآب منذ الأزل أن يكون له بنين يحبونه ويمدحون مجده:

+ «... الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم (قبل الزمن - هناك في الأزل) لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة. إذ سبق **فعيَّننا للتبني** بيسوع المسيح **لنفسه حسب مسرة مشيئته** (ليكوِّن منَّا خوارس للمدح والتسبيح)، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١: ٣-٦).

أما ابنه الرب يسوع المسيح فاشتهى أن يكون بكراً بين إخوة كثيرين فصمم أن يشبه إخوته في كل شيء (رو ٨: ٢٩؛ عب ٢: ١٧)!! فلكي يحقق الله اسمه "عمانوئيل"، الله **معنا**، دفع ابنه للتجسُّد ثم الفداء والخلاص والمصالحة والتبنِّي، حتى صيَّرنا بنينَ لله، لنقف أمامه قديسين بلا لوم نمدحه بالمحبة التي سكبها فينا بغنى.

لقد حقق المسيح بجدارة لقب الميلاد "عمانوئيل" الذي أخذه بالنبوَّة قبل ميلاده بسبعمائة سنة!! "عمانوئيل" - الله **معنا**. وكانت طلبته الأخيرة وهو على بعد خطوات من الصليب: «أيها الآب أريد أن هؤلاء **الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا** لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧: ٢٤).

فعمانوئيل لم يكتفِ بأن يحقّق "الله معنا"، بل اشتهى أن نكون نحن أيضاً معه!! مما يكشف لنا السر المُخْفَى في عمانوئيل، فالله صار **معنا** لهدفٍ واحدٍ أن نكون نحن معه. وما هو معنى الفداء والخلاص كله الذي كلَّف الآب بذل ابنه المحبوب للعار والموت؟ أليس لنكون بالنهاية معه!! «تعالوا يا مُبارَكي أبي، رِثوا المُلك المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥: ٣٤)، «الله كانَ في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه» (٢كو ٥: ١٩)، «آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤: ٣)، «وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تس ٤: ١٧).

فإن صرنا مع الله من القلب، صار الله **معنا** في القلب. فعلى قدر محبتنا للمسيح يتوقف اسم عمانوئيل أي أن يكون "الله معنا". وقديماً قالها النبي:

+ «وكان روح الله على عزريا بن عوديد، فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين. الرب **معكم ما كنتم معه**، وإن طلبتموه يُوجَد لكم، وإن تركتموه يترككم» (٢أي ١٥: ٢،١).

وهكذا أصبح الإنسان وكأنه مسئول عن "عمانوئيل"، أي عن

أن يكون "**الله معنا**". هذا جعل القديس بولس يضعها لنا في صيغة التهديد: «إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما» (١كو ١٦: ٢٢). صحيح هو أحبنا أولاً، ولكننا سنُحاسَبُ على عدم محبتنا له. فإن كان حبُّه لنا كلَّفه حياته، فحبُّنا له يكون لنا حياة!

فإن آية "عمانوئيل" الأولى في إشعياء لها تكملة، ولو أن الاسم لم يُذكر فيها إلاَّ أنها تصف كيف صار عمانوئيل، **الله معنا**، إذ يقول إشعياء:

+ «لأنه يُولد لنا ولد ونُعطَى ابناً، وتكون الرياسة على كَتِفِهِ، ويُدعى اسمه: عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليُثبِّتها ويَعْضُدَها بالحقِّ والبرِّ من الآن وإلى الأبد» (إش ٩: ٦،٧).

هكذا ينتقل إشعياء من تصوير عذراء بيت داود كيف حبلت وولدت عمانوئيل، ليرى في حبل العذراء بعمانوئيل، البشرية كلها وقد حملت في أحشائها ضيف السماء وقد اقتحم جسد الإنسان وارتاح فيه كهيكله الجديد. هذه الحقيقة التي عبَّر عنها بولس الرسول بالحرف الواحد: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتُريتم بثمن، **فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله**» (١كو ٦: ١٩،٢٠).

وإن اعتُبِر هذا الوصف وقفاً على الفرد في هيكل جسده الذي لله، فالوصف الإجمالي يكشف أن الله احتل الهيكل البشري بأكمله

ليرتاح فيه هيكلاً ثابتاً له: «مبنيِّين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء (البشري) مُرَكَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» (أف ٢: ٢٠-٢٢)، «هوذا مسكن الله **مع** الناس وهو سيسكن **معهم**، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون **معهم** إلهاً لهم» (رؤ ٢١: ٣).

وإن الإنسان لينذهل، ماذا حدث وكيف تنازل الله إلى هذا الحد؟ وكأن السماء بكل مجدها لم تُرِح قلبه كما رأى ودبَّر وخطط منذ الأزل أنْ يتخذ لنفسه وجوداً حيّاً حقيقياً مع البشرية وفيها، يصنع منها هيكلاً مقدساً لسكناه ليُمارس فيها حبه للإنسان على أعلى مستوى ويتقبَّل أيضاً محبة بني البشر. هذه هي صورة عمانوئيل في ملء حقيقتها ومن بؤرة رؤيتها. ولا نعدم مقدمات مضيئة لقصة هذا العشق الإلهي الفريد من نوعه، ذلك عند بدء أول حركة في عملية الفداء العُظمى التي حمل الله على عاتقه أمر تنفيذها، كيف؟ «هكذا أحب الله العالم حتى **بذل** ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (مع الله).» (يو ٣: ١٦).

هكذا انكشفت مأساة الحب المذبوح كأعظم تراجيديا سُمع بها منذ الدهر، وكان ابن الله هو صاحب الدور الأعظم والوحيد فيها، وكان الآب هو مدبِّر الحركات وضابط النهاية. وفيها أخذت البشرية خلقة جديدة لتؤهلها للحياة "مع الله"، ليرتاح عمانوئيل فيما خلق!! ولكن الذي لا يزال يخطف أبصارنا وعقولنا، كيف أن

الإله الجبار ينزل إلى قامة طفل؟!

وهكذا تجتمع أشد صفات الله بـأساً، ويُـدعى إلهاً قديـراً Mighty God وبالعبرية: êl - gibbôr -، مع بساطة طفل في أشد صفات وداعته وتواضعه إلى الدرجة التي يفتخر بها، وكأن بهذه المضادة العظمى يمكن فقط أن يُستعلن الله للإنسان!! كما من خلال هذه الرؤيا تبدأ دراسة اللاهوت، وفهم صفات الله: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١: ٢٩)، «أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتَها للأطفال» (مت ١١: ٢٥).

ولكن رؤية هذه المضادة ظلت محجوبة إلى أن فجَّر نورها حادث الأولاد الذين جروا إليه يسعون إلى أن يلمسهم، فانتهرهم التلاميذ. وهنا كأن بساطة المسيح أصابها جرح:

+ «فلما رأى يسوع ذلك، اغتاظ وقال لهم: دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحقَّ أقول لكم: مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم.» (مر ١٠: ١٤-١٦).

لقد رأى المسيح نفسه في هؤلاء الأطفال، لما انتهروهم أحس وأنه قد جُرح. فنفسه الوديعة لا ترتاح إلاَّ في وداعتهم، تلك القامة الأشد قيمة في كل قامات الإنسان، والتي ترسَّخت في قلب الرب لأنها وجدت صداها في لاهوت محبته. ومن هذه القامة، بل ومن حب هذه القامة وبساطة مُحيَّاها، كان ينضح المسيح على الناس ويُشرق بوجهه عليهم حتى اليوم. ولكي يثق القارئ فيما أقول

وفيما أصف، فليسمع ما يقوله المسيح عن علاقة هذه الطفولة الوادعة المتضعة ببساطتها والدخول إلى الملكوت أي إلى حضرة الملك العظيم: «مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله» (مر ١٠: ١٥).

إذاً، بين روح الطفولة ببراءة روحها وتواضع قامتها ووداعة حبها، وبين صاحب الملكوت، مودة واتفاق. ومن دون هذه القامة يتعذر الدخول إلى ملكوت الله. وهذا هو المسيح الرب، مسيًّا الله، الإله العظيم الذي يحمل قلب طفل تنضح منه الوداعة ويفيض الاتضاع. وكأن المسيح لم يختَرْ من قامات الإنسان إلاَّ طفولته التي استودع فيها ملء لاهوته.

ثم أليس أننا قد وضعنا أيدينا الآن على سرِّ «ملكوت ابن محبته» (كو ١: ١٣)، أنه قد جعل دخولَه رهناً لِمَنْ كان على ملء قامة روح صاحبه، ولهذا ألحَّ أنْ: «تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)! والآن ينكشف لنا محيط اسم عمانوئيل ودائرة عمله معنا. فإنه خارجاً عن أُفق وداعة الطفولة لا يكون معنا، بل ولا يستطيع أن يعمل فينا، ولا يفتح ملكوته لأحد.

ولعل خبرتنا الروحية تؤيد هذا الكلام، والكل يعلم ذلك. لأن كل مَنْ يفتقده المسيح ويمنحه عطية الروح القدس، تتبدَّل حياته ويتغيَّر أسلوبه وفكره ويصبح له بساطة الطفولة وبراءتُها وفرحها ورجاؤها، ولا يعود يحمل للدنيا همّاً، بل ويستطيع أن يترك كل شيء حبّاً في المسيح كطفل دون أن يتباهى بشيء.

إذاً، فقامة المسيح في الطفولة هي التي تنسكب فينا عند افتقاد الله لمحبيه. بمعنى أن عمانوئيل حينما يصير معنا، فهو يأتي بروح طفولته ليسلّمنا مؤهلات ملكوته، ولكي نكون على مستواه في بساطة المحبة وفي البنوّة التي تُنادي الله: يا أبّا، كطفل يلغلغ بنداء الدالة.

أما الذي لم يستلم التجديد بروح الطفولة وعجز عن أن يكون له قامة حب الأولاد، فالمسيح يصبح عنده لغزاً له رهبة ومهابة لا يجرؤ تخطيها. وهذا يكون أكثر اندهاشاً لنا حينما نعلم أن المسيح لا يزال يتهافت نحونا تهافت الطفل نحو محبيه. اسمعه يقول: «هأنذا واقف على الباب وأقرع، إنْ سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه وهو **معي**» (رؤ ٣: ٢٠). فهو يقرع أبواب محبيه، لأنه لا يزال يشتهي أن يكسر الخبز مع محبيه ويتراءى لهم ويبادلهم حبّاً بحبٍّ: «الذي يحبني، يحبه أبي وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١).

حينما رآه أطفال أورشليم، اندفعوا نحوه حاملين سعف النخيل يضجون بالصراخ: «أوصنّا، مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل» (يو ١٢: ١٣). ومن الناحية الأخرى، خرج رؤساء الكهنة والفريسيون يتحرقون غيظاً وينكرون على الشعب تهليلهم، يقولون بعضهم لبعض: «انظروا، إنكم لا تنفعون شيئاً، هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو ١٢: ١٩).

+ «أما يسوع... وهو عالمٌ أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم،

أحبهم إلى المنتهى...» (يو ١٣: ١).

هكذا انتهت حياة عمانوئيل، الله معنا، على الأرض بحصيلة حبٍّ بلغ المنتهى بتعبير إلهي يفوق الوصف!! يوحي بأنه ارتبط بأخصائه رباط حياة بحياة، فكان هذا العشاء، عشاء عهدٍ لحياةٍ جديدةٍ. فجاء معبِّراً عن شهوة اتحاد باقتسام كأس الفصح: «شهوة اشتهيت أن آكُلَ هذا الفصح **معكم** قبل أن أتألم» (لو ٢٢: ١٥). ليكون فصحه فصحنا، وخروجه خروجنا، باقتسام كأس الموت والحياة معاً!! ذلك ضماناً لبقاء عمانوئيل هنا، عمانوئيل هناك؛ أي كما بقِيَ معنا هنا، نبقى معه هناك.

هكذا صمم، وهكذا اقتسم الكأس بعهدٍ: «وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» (مت ٢٦: ٢٩)؛ حيث الفصح الجديد لملكوت الله، هو فصح المجد وشركة النصيب في الميراث الأزلي.

فكما اشتركنا في فصح آلامه، هكذا نشترك في فصح مجده.

فعمانوئيل هو الله معنا، هنا وهناك، دائماً وإلى الأبد:

+ «لا أترككم يتامى... سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم» (يو ١٤: ١٨؛ ١٦: ٢٢).

أما اليهود فذهبوا يتشاورون كيف يقتنصون الحمل الإلهي، ولكن ليس في العيد لئلا يسيئوا لصاحب العيد، غير عالمين أنه هو هو صاحب العيد، وساقهم الشيطان بالفعل ليذبحوا صاحب العيد، يوم عيده.

ثلاث سنوات ونصف وهم يُطاردون حمل الله، عمانوئيل، الذي تخلّى عن ملء مجده وجاء ليحيا معهم، وهو ابنهم والولد الذي أُعطوه: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطَى ابناً... ويُدعى اسمه: عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً...» (إش ٩: ٦).

وفي النهاية غمَّم الشيطان عيونهم، فاقتنصوه واختلوا به في السنهدريم، وظلُّوا لطول الليل يرهقون نفسه الوديعة ويتحسسون منه موضع النهش، وفي الصباح قدموه لبيلاطس، الذي اندهش من إشراق محيَّاه ونور الألوهة الذي يشع من عينيه الوادعتين، فابتدرهم: «أية شكاية تُقدِّمون على هذا الإنسان» (يو ١٨: ٢٩)؟ لأن بيلاطس كان قد تمرَّس في غش اليهود، ولأنه بالأكثر قد نما إلى علمه «أنهم أسلموه حسداً» (مت ٢٧: ١٨). أما هم فإذ أحسُّوا بتعاطفه نحوه، بادروه بفظاظة: «لو لم يكن فاعل شرٍّ لما كنا قد سلَّمناه إليك» (يو ١٨: ٣٠).

ارتعب بيلاطس من منظره وأراد أن يتخلَّى نهائياً عن هذه القضية: «فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم» (يو ١٨: ٣١). فكشفوا عمَّا عقدوا النية عليه: «فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً» (يو ١٨: ٣١). كان هذا على مسمع من المسيح الواقف الموثق اليدين، الذي سبق هو فأشار إلى «أية ميتة (على الصليب) كان مُزْمعاً أن يموت» (يو ١٨: ٣٢)، فأدرك الحمل أن الأمور تسير وفق مشيئة أبيه!!

دخل بيلاطس ليتحدث مع المسيح، إذ أدرك أنه هو وحده الذي يعرف سر القضية. وإذ سمع منهم أنه يقول عن نفسه "إنه ملك"،

سأله ببساطة: «أنت ملك اليهود» (يو ١٨: ٣٣)؟ فلما أجابه: «مملكتي ليست من هذا العالم... ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٦،٣٧)، تمادى بيلاطس في الاستماع والإصغاء إليه وسأله: «ما هو الحق» (يو ١٨: ٣٨)؟ وإلى هنا كان قد نضح عليه المسيح من الحق ما جعله يُدرك أنها قضيــة مكانها الحقيقي هو السماء وليس قضاء قيصر، فخرج وهو في ملء يقين الشهادة ليُدلي بشهادة أمام الأرض والسماء، وشهد كما من فم الله: «**أنا لستُ أجد فيه علَّة واحدة**» (يو ١٨: ٣٨)! شهادة سجَّلها بيلاطس، لا لحساب سجلات روما، بل لحساب الإنجيل!!

وهل يوجد في الأرض كلها إنسان ليس فيه علَّة واحدة؟ وهل توجد محكمة، أي محكمة، في وسعها أن تصدر حكماً كهذا الحكم؟ أو قاضٍ مهما بلغ من قدرة على فحص ما في السجلات وما في الصدور، أن يعلن عن عدم وجود علَّة واحدة في إنسان هو مُقدَّم للصليب بواسطة محكمة دينية تحكم بأمر الله، وشعب يصرخ مع رؤسائه: "اصلبه، اصلبه"[(١)]. يا لهذا البيلاطس الذي ناب عن كل أمم الأرض ليقدِّم شهادة بفم كل شعوب المسكونة - ما عدا اليهود - ليستحق بمقتضاها أن يكون نصيب الأمم في دم المسيح على الصليب، هو النصيب الأعظم، وتنال الأمم، وباستحقاق، خلاصاً ومغفرة للخطايا. فليس جزافاً أن يصير عمانوئيل هو عمانوئيل كل العالم.

---

(١) اليهود بواسطة رؤساء الكهنة والحكماء في الشعب يتهمونه أنه صانع شر ويذبحونه على الصليب؛ والأمم بواسطة بيلاطس، قاضي الرومان، ونيابة عن كل أمم الأرض، يشهد بأنه ليس فيه علَّة واحدة للموت!! سجِّلي يا أرض، واشهدي يا سماء.

ولما سمع بيلاطس أنهم قالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت ٢٧: ٢٥)، غسل يديه، وسلّمه إليهم، فافترسوه وهو بين يديه.

ولكن كان هو قد سبق وأعطى وصية، أن يعطى لحمه لكل مساكين الأرض، ودمه ذخيرة للمسافرين في طريق الملكوت.

وبعد القيامة، ظهر عمانوئيل أنه هو نفسه عمانوئيل "الله معنا"، حينما قال لتلاميذه آخر وصية له، أن يذهبوا ليكرزوا لجميع الأمم، مدعِّماً لأسفارهم بوجوده الدائم **معهم**: «ها أنا **معكم** كل الأيام، إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠) كشريك عمل، «والرب **يعمل معهم**، ويُثبِّت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦: ٢٠)؛ وبذلك كشف عن سر شهوة قلبه أن يبقى هو هو عمانوئيل على مستوى كل مدينة وكل قرية وعلى كل طريق وزقاق، يدخل **معهم** البيوت والكنائس، يُحيي شعبه ويشفي مرضاه، يكسر معهم الخبز ويسقيهم من كأس الحياة، يدعو أطفاله ويحتضنهم ويضع يديه عليهم ويباركهم، ويختار منهم قديسين له وكارزين.

هذا هو عمانوئيل كل الدهور،
الدهور تفنى والعالم يزول، وعهد حبِّه قائم **معنا** قيام الأبد:
+ «هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع، إنْ سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى **معه** وهو **معي**» (رؤ ٣: ٢٠).

يا عمانوئيل، لقد فتحنا قلوبنا، بِتْنا ساهرين،
عمانوئيل، تعالَ، ماران آثا!!

(كُتبت قبل عيد الصعود - يونيه ١٩٩٤)

رئيس الحياة

ὁ ἀρχηγὸς τῆς ζωῆς

The Author of Life

لا يوجد كائن حيٌّ بذاته إلاَّ الله! والحياة الأبدية طبيعة إلهية مطلقة أي أزلية وأبدية معاً.

ونحن لم نكن نعرف نوع الحياة التي يحياها الله، وهي المنزَّهة عن الموت والتغيير، حتى تجسَّد ابن الله؛ ولكنه عاش بيننا بالجسد حياة بشرية حتى إلى الصليب والقبر، ولكنه في اليوم الثالث قام من بين الأموات حيّاً بذات الجسد. وهكذا ولأول مرة عرف الإنسان وشاهد ولمس الحياة الأبدية في المسيح القائم من بين الأموات حيّاً بقوة لا تزول ولا يسود عليه الموت بعد. وهكذا أدرك الإنسان الحياة الأبدية، حياة الله.

هذه الحقيقة يُعبِّر عنها القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى هكذا: «فإن الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا» (١يو١:٢). هكذا أُظهرت الحياة الأبدية، وهي حياة الله، لما «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦)، أي عندما تجسَّد ابن الله.

ولكن الحياة الأبدية لم تُستعلَن في المسيح إلاَّ بعد أن دخل مع

الموت ومَنْ له سلطان الموت أي إبليس في صراع مكشوف عى الصليب. وقَبِلَ المسيح المراهنة وهو واثق من الحياة الأبدية التي فيه! فلما مات الابن على الصليب وأُنزل إلى القبر، وجاء الشيطان ليستلم فريسته ويدسَّ فيها عناصر النتن والفناء، وجد الجسد ينبض بحياة إلهية ليست من هذا الدهر. وهكذا وأمام الجسد الحي القائم من الموت بسلطان الحياة الأبدية التي فيه والتي له، فَقَدَ الشيطان سلطانه على الموت الذي أسسه غشاً على الخطية والإثم، مدركاً أن كل أحكام الموت التي استصدرها من رؤساء الكهنة التي قامت على الحسد والغش والكذب، انتهت عند الله بالبراءة والتبرير، وافتُضح الشيطان أنه بالغش قَتَلَ رئيس الحياة: «أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يُوهَب لكم رجل قاتل، **ورئيس الحياة قتلتموه** الذي أقامه الله من الأموات، ونحن شهود لذلك» (أع ٣: ١٤،١٥).

كان أساس تجسُّد ابن الله، هو الدخول الرسمي في هذه المعركة الخطيرة غير المنظورة مع الشيطان والموت والخطية وحُكْم اللعنة الواقع على جنسنا. كان لابد أن يتجسَّد حتى يستطيع أن يأخذ حكم الموت الواقع علينا ويلغيه في هذا الجسد، وأن يحمل خطايانا أيضاً في جسده هذا على الخشبة (١بط ٢: ٢٤)، حتى يموت بمقتضاها رسمياً من واقع نص الحكم بالموت واللعنة، غير أنه كان واثقاً من النصرة على الموت وعلى مَنْ له سلطان الموت، وبالتالي على أسباب الحكم من عصيان وخطية وتمرُّد، وذلك بمقتضى قوة الحياة الأبدية التي فيه، وبسبب قداسته المطلقة التي له.

وهكذا انتهت المعركة بين الموت والحياة التي دخلها رئيس الحياة لحسابنا؛ بأن أخذ بالصليب موتنا في الجسد ، وبالقيامة من الموت أعطانا حياته الأبدية في ذات الجسد. وهكذا صار للإنسان شركة مع رئيس الحياة، في الموت وفي الحياة.

والمسيح لم يشأ أن تظل هذه المعركة المصيرية التي تمت بين الموت والحياة مخفية في مجالها غير المنظور. ومن أجل هذا أسس المسيح هذا السر، سر تحوُّل الموت إلى الحياة، على مستوى حفلة عشاء سرائرية سكب فيها كل حبه في ذبيحة سرِّية رُفعت عنها السكين كما رُفعت من يد إبراهيم: «أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالمٌ أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١)، «أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي» (مر ١٤: ٢٢).

عزيزي القارئ، انتبه، فإن موضع تأسيس هذا السر بكل دقائقه جاء متقدماً ثلاثة أيام. فموضع هذا العشاء بحسب واقعه ومفهومه العملي ينبغي أن يكون في يوم أحد القيامة، وهو مجتمع معهم في العلِّية ليعطيهم بيده من الخبز المكسور والكأس بالدم من واقعٍ الذي تم على الصليب، إذ يكون قد توضَّح لهم تماماً أنه كان فعلاً ذبيحة حقيقية قُدِّمت عن خلاص العالم. ولكن المسيح سبق قَبْلَ الصليب وقَبْلَ القيامة، أن أسَّس هذا السر ليكشف أنه هو في الحقيقة القيامة والحياة، قبل الصليب كما بعد الصليب، سيَّان؛ وأن ما فيه من إرادة الموت، هي على مستوى الذبيحة قبل أن يكشفها

التاريخ ويسجِّلها لتصبح وكأنها واقع لاإرادي، كما سبق وكشف سر قيامته والحياة الأبدية التي فيه حتى لا يُقال أنها جاءته من خارجه لما قام. وبذلك أصبحت قيمة سر العشاء يوم الخميس عالية القدر لاهوتياً كإعلان مادي ملموس أنه قدَّم ذاته بإرادته وحده ذبيحة عن خلاص العالم، مستخدماً الموت الذي أخذه منَّا ليصنع منه ذبيحة يبثها حياته ويقيمها بعد الموت لتكون مدخلاً للحياة الأبدية بالنسبة للإنسان في العالم الجديد: «الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي **أبذله من أجل حياة العالم**» (يو ٦: ٥١)، لأن بذبيحة جسده الذي أقامه حيّاً بعد الموت دخلت الحياة الأبدية إلى العالم، لأنَّ «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، فله **حياة أبدية وأنا أُقيمه** في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤).

ونحن حينما نأكل الخبز المكسور ونشرب الدم المسفوك، نأخذ سر الموت المتحوِّل إلى حياة، بل شركة في ذات الموت وذات القيامة للحياة الأبدية: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي»:

+ «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥١).

ولكي يكشف المسيح قصده من هذه الآية يعود فيقول: "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المنَّ وماتوا. مَنْ يأكل هذا الخبز فإنه **يحيا إلى الأبد**" (يو ٦: ٥٨)، لأن فيه الحياة الأبدية.

وبهذا التعبير يكشف المسيح سرَّه العميق، أن جسده الذي جاز

به الموت والتحوُّل من الموت إلى الحياة، يحوي سر الحياة الأبدية ذاتها. فمَنْ يأكله يحيا إلى الأبد!! أو بصورة أكثر توضيحاً، إن مَنْ يأكله يجوز التحوُّل من الموت إلى الحياة!! لأن «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦).

على أن التحوُّل يتم بالإيمان على مستوى الوعي والإرادة، ويتم أيضاً على مستوى عمل النعمة غير المنظور: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَل» (٢كو ١٢: ٩).

«أنا هو الطريق والحق والحياة»:

لكي يكون هو الحياة، يتحتم أن يكون هو الحق. ولكي يكون هو الحق، يتحتم أن يكون هو الطريق. و"الحياة" كما عرفناها، هي الحياة الأبدية، حياة خِلْوٌ من موت أي خِلْوٌ من تغيير أو زوال. أي ليست هي الحياة التي على الأرض القائمة على التغيير المنتهي بالزوال ونهايتها الموت.

إذاً، فالطريق هو طريق السماء للحياة فيما فوق، وهذا أكمله المسيح كقول سفر العبرانيين: «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس (العليا) بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده» (عب ١٠: ١٩، ٢٠). بمعنى أنه بتقديم جسده ذبيحة حتى الموت، قام من بين الأموات غالباً الموت بالحياة الأبدية التي فيه، وارتفع إلى أعلى السموات مفتتحاً الطريق إلى الله، إلى الحق والحياة والخلود. وإذ غلب الموت وأبطل الخطية بالجسد، أبطل بالتالي كل ما هو غش وخداع وباطل وكل ما هو متغيِّر وزائل،

وبهذا كشف الحق الذي فيه بلا منازع.

أما قوله أنا "الحياة"، فهو التعريف بذاته كأصل ومنشأ كل حيٍّ على الأرض في حياة مادية تزول، وفي السماء في حياة روحية لا تزول، أي كما يقول التقليد: "خالق ما يُرَى وما لا يُرَى" (قانون الإيمان). ولكن إذ نتكلم الآن عن الطريق والحق **والحياة**، فنحن بالدرجة الأولى أمام "رئيس الحياة"، أي الحياة بمفهومها الأزلي والأبدي، وهي الحياة المخفية في الله، والتي لم يتعرف عليها أحد، ولم يُسمَع بها، ولم تُرَ إلاَّ يوم أن قام المسيح من بين الأموات - بجسده الذي مات به - حيّاً لا يسود عليه الموت بعد، فتعرَّفت الحياة الأبدية التي فيه بأنها حياة ما بعد الموت أو الحياة رغماً عن الموت، لأنها حياة الخلود والأزل، حياة الله!

هذه الحياة الجديدة والتي هي قائمة بروح الله والتي فجَّرها المسيح من عمق جسده الذي قام به من بين الأموات: أعطاها الله لكل مَنْ يؤمن بالابن أنه مات وقام ليعطينا هذه الحياة الجديدة:

+ «فوضع يده اليُمنى عليَّ قائلاً: لا تخف أنا هو الأول والآخِر، والحيُّ وكنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين، آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٧،١٨).
+ «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥،٢٦).
+ «الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣: ٣٥،٣٦).

هذه هي الحياة الأبدية التي كانت مخفية في الله، لأنها عنصر الوجود المطلق لله وطبيعته الأزلية والأبدية، هذه هي التي فجَّرها الابن في عالم الإنسان لما قام من بين الأموات حيّاً بجسده الذي أخذه منَّا. وهكذا بث الحياة الأبدية في صميم طبيعتنا الجديدة، وهي الطبيعة البشرية التي نالت حق القيامة من بين الأموات للبقاء في الابن ومع الابن إلى الأبد.

وهذه الحقيقة يشرحها القديس يوحنا في رسالته الأولى هكذا:

+ «فإنَّ الحياة أُظهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانَت عند الآب وأُظهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أَيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٢-٤).

هكذا استُعلن المسيح لدينا أنه رئيس الحياة ومؤسِّسها ومعطيها في عالمنا. إذ لما كان الابن مخفيّاً في الآب قبل أن يتجسَّد كانت الحياة الأبدية مخفية فيه وفي الآب: «كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أَعْطَى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته» (يو ٥: ٢٦). فلما أُظهر الابن بالتجسُّد كانت الحياة مخفية فيه، وظلت مخفية إلى أن فجَّرها بقيامة الجسد من بين الأموات، فاستُعلنت بجبروت الله يحيطها المجد والمهابة.

فلولا تجسُّد الابن ما أدركنا سر الحياة الأبدية، ولولا الموت الذي جازه ابن الله بجسدنا ليوفي فينا ما علينا من حكم الموت، ما أدركنا سلطان الحياة الأبدية الذي أبطل به عزَّ الموت وأنار لنا طريق الحياة

والخلود. هكذا أخذ الابن موتنا بالجسد ليعطينا حياته الأبدية في ذات الجسد!! حينما قام به ليبدأ فينا حياة أبدية لا تزول.

وهكذا اكتشفنا من قيامة المسيح ومن الحياة الأبدية التي أدخلها إلى عالم الإنسان، أنه هو بالحقيقة ابن الله كما يقول بولس الرسول: «وتعيَّن (تقرر-استُعلن) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤). وطبعاً بسبب قوة الحياة الأبدية التي كان يمتلكها والتي أُظهرت.

وبسبب هذه الحياة الأبدية التي كانت مخفية فيه - وهي صميم لاهوته - قبل أن يعلنها بالقيامة من بين الأموات، كان المسيح يُحيي من الموت ويعلِّم الحق ويحرر الإنسان: «وتعرفون الحقَّ والحقُّ يحرِّركم... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٦: ٣٢،٣٦).

وها هو بعد القيامة من بين الأموات يقول: «دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلْمِذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٨،١٩). وهذا يعني أن الابن عاد إلى موقعه من الآب ليتكلَّم ويعمل باسمه وبالروح القدس.

والحصيلة النهائية كما يقولها القديس يوحنا:

+ «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن في الحق، في ابنه يسوع المسيح، **هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية**» (١يو ٥: ٢٠).

فالآن نحن لا نستطيع أن نبشر بأكثر مما بشَّر به القديس يوحنا، أن بظهور الابن ظهرت الحياة الأبدية التي كانت مختفية في الله والتي هي حياة الله! وبموت الابن وقيامته دخلت العالم كقوة فائقة عن كل قوى العالم. فكل قوى العالم مربوطة بالعالم وزائلة بزواله، إلاَّ الحياة الأبدية التي أدخلها الابن بقيامته من بين الأموات، فهي قوة الله، قوة حياة لا تزول (عب ٧: ١٦)، هي الخلود بعينه، هي الفرح الكامل، هي الحب الخالق الخلاَّق.

فحياة الله محبة، ومحبة الله حياة، هي بحد ذاتها كُنه الابن، فالابن هو هو "الحياة الأبدية"، كما هو "الحق"، وهو "الحرية" التي لا يحدُّها حدٌّ: «فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦)، لأن الذي يذوق الحياة الأبدية يبلغ عمقها، وعمقها هو عمق الله: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح (وهو روح الحياة) يفحص كلَّ شيء **حتى أعماق الله**... هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله (أي الحياة الأبدية)» (١كو ٢: ١٠-١٢)، «وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، **وهذه الحياة هي في ابنه. مَنْ له الابن فله الحياة**، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو ٥: ١١،١٢)، «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣: ١٩)، أي أن تمتلئوا إلى كل ملء حب الله، إلى ملء الحياة الأبدية!

فكما أن في "حياة الإنسان" على الأرض تكمن كل مفاعيل علمه وفهمه وفرحه ومسرَّاته وآماله وحريته بصورها الناقصة

المتغيرة والمتناقصة ثم الزائلة حتماً؛ هكذا في "الحياة الأبدية" التي هي حياة الله، والتي افتتحها المسيح بقيامته من بين الأموات، وفتحها على طبيعة الإنسان الجديدة، ليمتلئ منها بكل ملء الروح القدس الذي هو روح الله؛ يتعرَّف الإنسان ويذوق ويحيا في كل مفاعيل نِعَم الله الخالدة. هذه كلها نأخذها كالعربون هنا، لنرثها كحياة مع المسيح هناك، دائمة وكاملة وأبدية.

ولعل أقوى صفة أُعطيت للمسيح، والتي فيها يتم كل هذا، ما قاله القديس يوحنا مرة أخرى:

+ «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن في الحق، في ابنه يسوع المسيح، **هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية**» (١يو ٥: ٢٠).

(يوليو ١٩٩٤)

"أنا هو نور العالم"

ἐγώ εἰμι τὸ φῶς τοῦ κόσμου

+ «ثم كلَّمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم، مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

«أنا هو ἐγώ εἰμι»:

تكلَّمنا كثيراً عن هذا اللقب في شرح إنجيل القديس يوحنا[١]، فهو النطق الإلهي ليهوه في كل العهد القديم: «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته: **أنا هو** ἐγώ εἰμι، أنا الأول وأنا الآخِر، ويدي أسَّست الأرض ويميني نشرت السموات» (إش ٤٨: ١٢). وقد نطقها المسيح في سفر الرؤيا بحروفها: «فوضع يده اليُمنى عليَّ قائلاً لي: لا تخفْ، **أنا هو** الأول والآخِر، والحيُّ، وكنت ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين، آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت.» (رؤ ١: ١٧،١٨).

إذاً، فهذه البادئة "أنا هو"، بادئة استعلانية تفيد أن المسيح يستعلن في ذاته يهوه العهد القديم بسلطان واقتدار.

«أنا هو نور العالم»:

هنا تجيء كلمة "النور" φῶς مُعرَّفة بـ "ألـ" τό، لتستقطب

(١) "*المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا*"، من ص ٢١٨ إلى ص ٢٤٦.

النور ككلٍّ مطلق لحساب المسيح، حيث يصير المعنى: أنا هو النور الكلِّي للعالم، فلا يعود نور آخر للعالم ولا يعود أحد آخر غير المسيح يُحتسَب نوراً له.

والآية بكاملها سواء "أنا هو" أو "نور العالم" معرَّفاً بـ "ألـ"، هي آية استعلانية، يستعلن المسيح فيها نفسه باعتباره يهوه الله للعهد الجديد. و"ألـ" في "النور" تشير إلى شخص المسيح وليس إلى طبيعته، وبهذا لا يُحسب النور هنا أنه انبثاق، بل هو إرسال شخصي. وبذلك يتحدد المعنى تماماً في كَوْن النور هنا يعمل بشخص المسيح وليس بطبيعة الله، بمعنى أن المسيح لا ينير ولكن يعطي نفسه: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو ١: ٤). فهو لا يُنير العالم، ولكن يُعطيه الحياة بشخصه، حياة هي حياة الله القائم في النور.

والمسيح أوضح ذلك في بقية الآية بقوله: «... مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل **يكون له نور الحياة**» (يو ٨: ١٢). و"نور الحياة" نسمعها كما سمعنا "خبز الحياة"، فلا الخبز خبز ولا النور نور بل الحياة في المسيح هي الخبز وهي النور. فالعالم لا يحتاج إلى نور يضيء له ما فيه، بل يحتاج إلى حياة جديدة كليّاً قائمة على نور الله. بمعنى أن قول المسيح: «أنا هو نور العالم»، يهدف أساساً إلى تغيير العالم ليأخذ حياة جديدة كليّاً. لذلك فهدف المسيح من وجوده في العالم يتركز في الإيمان به شخصياً ليتحوَّل العالم إلى نور في المسيح: «ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا **أبناء النور**» (يو ١٢: ٣٦).

إذاً، فبالإيمان بالمسيح الذي يقوم على حالة اتحاد يتحوَّل العالم

بأبنائه إلى عالم النور أي عالم الله. والمسيح أعطى نفسه للعالم، وذلك من خلال ثلاثة مداخل: مدخل المحبة، ومدخل الحق، ومدخل بذل الحياة حتى الموت:

- فقد «أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١)، وهكذا أسكن حبه الكنيسة التي جعلها جسده بل ملكوته،
- وأدخل الحق بأن عرَّف تلاميذه كل ما عند الآب، فاستُعلن الحق للعالم وشهد له: «ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٧)،
- ثم بذل حياته حتى الموت، تمكيناً للمحبة وتأسيساً للحق، حتى يأكل العالم الحب ويشرب الحق.

ولكن لم يقل المسيح إنه قائم دائم في العالم، فالمسيح لم يرهن ذاته لعالم الإنسان، بل حذَّر الإنسان أن وجوده في العالم إلى زمنٍ، لذلك كان الإلحاح على اتِّباعه والإيمان به شديداً: «النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يُدرككم الظلام، والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب» (يو ١٢: ٣٥).

حينما قال المسيح ذلك كان آنذاك محصوراً في زمان قليل بالفعل، حتى إنه بعد أن قال ذلك، أكمل القديس يوحنا كلامه موضِّحاً مدى السرِّية فيه قائلاً: «تكلَّم يسوع بهذا ثم **مضى واختفى عنهم**» (يو ١٢: ٣٦). ولكن لا يزال المسيح حتى اليوم يعرض نفسه لكل مَنْ يفتح قلبه. ولكن حذارا فالعرض لن يدوم. فإذا توانى الإنسان في الاستجابة ثم عاد يبحث عن الصوت، فلن يجده. فوجود المسيح،

كنور العالم أو كنور الإنسان، حينما يبدأ يستعلن للإنسان ذاته رهنٌ بالاستجابة، وكأن العالم وكل إنسان في العالم مسئول عن وجود المسيح ودوامه، فإما نقبل النور فنصير أبناء له أو بالحري أصحابه، أو لا نقبله فيتم قول الإنجيل: «ثم مضى واختفى عنهم». وبهذا تتحدد الدعوة لنكون، إما أصحاب النور، وإما أعداءً وفي الظلمة نعيش، وبهذا يكون في قول المسيح: «أنا هو نور العالم» وعدٌ بالبقاء، وعهدٌ يدوم للعالم بقدر ما يؤمن العالم بالنور ويتحول إلى نور الحياة، فيعيش الحب ويدرك الحق.

وبنظرة عميقة كاشفة من خلال ستار التاريخ، نرى أن العالم والإنسان الذي في العالم سجَّل لنفسه اختبارات ناجحة في احتواء النور والالتحام به والتبنِّي له، شيء يفوق العقل والحصر. فعصور بأكملها كاد العالم فيها كله أن يكون له حب ودراية بالنور والحق تجلَّت في قمم رسل وقديسين وأساقفة لاهوتيين بلغوا هامات الرؤى والتجلِّي، وسجَّلوا اختبارات ومعارف صارت قائمة لحساب العالم، تشهد له أنه قطع مراحل هائلة في التغيير. وهذه كلها حُسبت كرصيد للعالم في سجلات المسيح الذي افتتحها يوم قال: «أنا هو نور العالم». علماً بأن الإخفاقات والسلبيات لا تُحسب في سجلات التغيير سواء في سرعته أو كميَّته. فالعالم لا يزال يتغير ويكسب مواقع، وله خلفية تدفعه وتؤمِّن حركته. فالذي قال: «أنا هو نور العالم»، قالها وهو يعلم قُدرة النور على اكتساح الظلمة واكتساب النصر النهائي لقيامة الحياة، مهما اكتسب الموت من مواقع وزمن. وقد قلناها مرة إن المسيح لم يتقدم إلى الصليب إلاَّ

بعد أن راهن على العالم كله. فإن كان الشيطان قد جال وصال ولطَّخ بعض عصور الإنسان بالظلمة والجهالة، فقيامة العالم عُرفت وحُسبت يوم أن قام المسيح من بين الأموات.

فعندما قال المسيح: «أنا هو نور العالم»، وضع نفسه في مواجهة سلبيات العالم وحركاته الارتدادية العنيفة. فلابد أن تأخذ هذه عنفوان شدَّتها لتستهلك رصيدها القائم على الغش والخداع والكذب وتزييف الحقائق. ولكن، وبالنهاية، عندما يُستعلن حق الله ويتجلَّى النور ويراه كل بشر، تكفُّ أعمال الإنسان التي استخدمها الشيطان لحسابه ليبدأ عمل النور في عالم النور.

النور والمحبة:

يضع القديس يوحنا الرسول معنى النور في معنى المحبة، ومعنى البغضة في معنى الظلمة. وكما لا يتفق عمل المحبة مع عمل البغضة، هكذا النور مع الظلمة: «وصية جديدة أكتب إليكم ما هو حق فيه وفيكم، أنَّ الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضيء. مَنْ قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة، مَنْ يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة. وأما مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم إلى أين يمضي، لأن الظلمة قد أعْمَتْ عينيه» (1يو ٢: ٨-١١). أما الظلمة فهي الزمن بدون المسيح، وأما النور فهو في حضور المسيح والمحبة أينما كان.

هكذا صارت لنا "المحبة" مقياساً حساساً للحياة في النور أو الظلمة. ولأن النور الحقيقي غريب - أصلاً - عن الإنسان وليس

من طباعه أو صفاته، لذلك تفضَّل الله وفرض نفسه على الإنسان ليُشاركه في نور الحياة، وتفضَّل ونقلنا من الظلمة إلى نوره العجيب، إلى ملكوت ابن محبته. هكذا المحبة الحقيقية أيضاً، فهي كالنور يهبها الله: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). وأصبح الذي يسلك في المحبة يسلك في النور. فإن قال أحدٌ إنه يسلك في النور وهو يبغض أخاه، انكشف في الحال أنه كذاب. لأن الذي يسلك في النور، فهذا يحيا في النور أي يحيا في المسيح، والمسيح ليس خادم البغضة والعداوة.

إذاً، الذي يحيا في المسيح، كما قال المسيح، له "نور الحياة" أي يحب أخاه. وهكذا فالمحبة والنور والحياة ثلاثة مترادفات صديقات، الذي يحيا في إحداهن يحيا في باقيهنَّ. كذلك، وعلى النقيض، فإن البغضة والظلمة والموت هي أيضاً ثلاثة مترادفات معاندات، الذي يسقط في إحداهن يكون قد سقط في الكل.

لذلك، فبِقَوْل المسيح: «أنا هو نور العالم»، يكون قد دعا ووعد ، بآن واحد ، بالمحبة والحياة الأبدية، ويكون قد رهن نفسه لكل إنسان في العالم؛ إن هو اتَّبعه وآمن به، فإنه يدخل في عهد محبة الله والحياة الأبدية معه. وهكذا يتحول العالم بتحوُّل كل فرد فيه: من الظلمة والعداوة والموت التي ورثها الإنسان من ماضيه وواقع الحياة التي يحياها، إلى الحب والحياة والنور مع الله، في المسيح!

ولكن ليس مجاناً وهب المسيح نفسه للعالم ليكون له مصدر نور وحياة ومحبة، فقد ثمَّن الله هذه العطية ببذل ابنِهِ حتى الموت محتملاً

بغضة قاتليه وظلم المشتكين عليه. وكان الدافع الوحيد الذي جعل الله يتحمَّل هذه المأساة في ابنه، هو محبته الحقيقية للعالم: «هكذا **أحب الله العالم حتى بذل ابنه...**».

إذاً، فقول المسيح: «أنا هو نور العالم» لم يقلها من فراغ ولا مجاناً، بل قد دفع ثمنها مُسْبقاً: حياته على الصليب مع آلام وفضيحة وعار وهو راضٍ ومسرور: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع، **الذي منْ أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب** مُستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله» (عب ١٢: ٢). هذا يعني أن كل إنسان في العالم أصبح له الحق في نوال نصيبه في الحياة في نور الله مع هبة المحبة، إذ دفع الله ثمنها دم ابنه على الصليب مع آلام وموت لكل مَنْ يريد ويؤمن.

والحقيقة، أيها القارئ العزيز، أن هذا الثمن الفادح قد حُسب حسابه بكل دقة، وإن كان فادحاً حقاً فهو في نظر الله يساوي نصرتك على الظلمة والموت والعداوة لتحيا في نور الله معه إلى الأبد: «**قد اشْتُريتُم بثمن**، فمجِّدوا الله في أجسادكم وأرواحكم التي هي لله» (١كو ٦:٢٠)، «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١بط ١٨،١٩).

كيف أدخلَ المسيح نور الحياة إلى العالم؟

كان نيقوديموس وهو فريسي ومعلِّم قد خلط بين عالم اليوم وبين

ملكوت الله أي عالم الله المعروف أنه الحياة الأبدية. فصحَّح المسيح له مفهومه بقوله: «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روحٌ» (يو ٣: ٦)، وأن الإنسان لا يمكن أن يدخل ملكوت الله أي عالم الروح عند الله إن لم يولد من فوق، من الماء والروح، وهو ما يُعرف الآن في الكنيسة بالعماد.

وحتى إلى أن صُلب المسيح ومات لم يكن قد عُرف قط أن إنساناً وُلد من فوق، من الماء والروح، أو دخل عالم الروح، أو رُئي إنسانٌ آتٍ من عالم الروح الجديد؛ إلى أن قام يسوع المسيح من بين الأموات ورآه جميع التلاميذ وآخرون كثيرون، كما يقول الإنجيل:

+ «ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع (الأحد)، وكانت الأبواب (العلِّية) مُغلَّقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: سلامٌ لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، **ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب**» (يو ٢٠: ١٩،٢٠).

في هذه الساعة انفتح عالم الروح وأطلَّ منه المسيح على تلاميذه المجتمعين في العلِّية في أورشليم في فلسطين على أرض هذا العالم. وظل المسيح يتردد على عالمنا مدة أربعين يوماً أسس أثناءها سر الميلاد الثاني من فوق، من الماء والروح. وابتدأت الكنيسة تعمِّد باسم الآب والابن والروح القدس، وانفتح عالم الروح بواسطة المسيح على الكنيسة، تستمد منه قوتها الروحية وأسرارها وترسل إليه المختارين الذين أكملوا جهادهم في هذا العالم.

وهكذا حقق المسيح الوعد والعهد «أنا هو نور العالم» بالقيامة

من بين الأموات، وهو في ملء استعلان لاهوته. ولكن ليس بثمن بسيط افتدى المسيح هذا العالم من الظلمة والبغضة والموت التي تمسك بأركانه، ولا بسهولة فكّ المسيح قبضة الشيطان رئيس هذا العالم عن مصير الإنسان وهو المدعو برئيس الظلمة والكذّاب وأبو كل كذّاب والقتّال للناس منذ البدء (يو ٨: ٤٤). فقد ظفر به المسيح على الصليب بعد معاناةٍ مُرَّة: «إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدّاً لنا، وقد رَفَعَه من الوسط مسمِّراً إيَّاه بالصليب. **إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه**» (كو ٢: ١٤،١٥)، «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠: ١٨).

إذاً، فقد فدى المسيح العالم بموته، وبقيامته فتح الطريق المؤدي إلى عالم النور إلى الحياة الأبدية، وبجسده ودمه دشَّن طريق الأقداس:

+ «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده» (عب ١٠: ١٩،٢٠).

لذلك أصبح اتِّباع المسيح ضماناً أبدياً بالوصول:

+ «مَنْ **يتبعني** ὁ ἀκολουθῶν فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

هنا يضع المسيح نفسه كبابٍ وطريقٍ وراعٍ ومعلِّمٍ:

+ «إن كان أحد يخدمني **فليتبعني** ἀκολουθείτω وحيث أكون أنا، هناك أيضاً يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب» (يو ١٢: ٢٦).

وهكذا جعل المسيح الخدمة أضمن مكان يتقابل فيه مع المسيح ويتبعه.

وفي نهاية توبيخه الرقيق لبطرس قال له كلمة السر:

+ «اتبعني ἀκολούθει μοι» (يو ٢١: ١٩).

ولما تماحك بطرس ليعلم مصير يوحنا، وبَّخه الرب:

+ «إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء، فماذا لك؟ اتبعني أنت σύ μοι ἀκολούθει» (يو ٢١: ٢٢).

على أن المسيح لا يعمل في العالم جماعياً، بل على مستوى كل فرد بذاته:

+ «كان النور الحقيقي الذي ينير **كل إنسان**، آتياً إلى العالم» (يو ١: ٩).

والذي يحدث لكل إنسان في الكنيسة، في عماده في المسيح يسوع، هو أنه يوهَبُ الروحَ القدس الفعَّال في عملية الولادة من فوق، حيث يُعطَى الإنسان "نور الحياة". لذلك يُقال عن عملية التعميد "في المسيح" أنها "استنارة"، لا كأنه يتم فيها استنارة فكرية أو روحية بأي نوع، ولكن بسبب نوال "نور الحياة" أي الحياة الإلهية.

وهكذا يصير المسيح نور العالم من خلال كل فرد فيه، حيث تُدعى الجماعة المسيحية بأبناء النور:

+ «**جميعكم أبناء نور** وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة» (١تس ٥: ٥).

+ «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨).

بمعنى أن الكنيسة صارت تمثِّل عالم النور،
وهي تخاطب أولادها في تسبحة نصف الليل (وهي من أقدم التسابيح في التقليد الكنسي):
+ "قوموا يا بني النور لنسبِّح رب القوات..."!

وإذ نحن هنا بصدد أبناء النور، ونصف الليل، والتسبيح، ندخل التزاماً في تصوير مجيء عريس نصف الليل لإنهاء العالم وإعلان اكتمال الزمان، حيث يؤكِّد المسيح في مَثَل العشر العذارى على السهر، والزيت، والمصابيح، وانتظار الصراخ.

آه يا نور العالم. عيوننا إليك،
لقد طال علينا السهر والمصابيح موقدة،
وشحَّ الزيت،
وليس صراخ!...

(يوليو ١٩٩٤)

- ١٢ -

"العريس"

νυμφίος

+ «وكان تلاميذ يوحنا والفرِّيسيين يصومون، فجاءوا وقالوا له: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفرِّيسيين، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العُرْس أن يصوموا والعريس معهم. ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يُرْفَعُ العريس عنهم، فحينئذٍ يصومون في تلك الأيام» (مر ٢: ١٨-٢٠).

أن يدخل هذا اللقب ضمن ألقاب المسيح اللاهوتية، فهذا أمر غريب يَدْهش له العقل، خاصة أنه هو الذي اختاره لنفسه. وقد تكررت الكلمة في الثلاثة الأناجيل. وليس مصادفة أن تبدر من المسيح هذه المعلومة التي تُحسب أنها خاصة جداً وذات معانٍ كبيرة، ولكنه كرَّرها في مَثَلٍ من أحبِّ الأمثال إليه وللكنيسة، وهو مَثَل العشر العذارى: خمسٌ منهن حكيمات، وخمس جاهلات؛ وأخذ على الجاهلات أنهن أهملن في واجبات الاستعداد لمقابلة العريس، وكان عقابهن مريراً، إذ حُرمن من الدخول معه، والمَثَل صريح: إنه يتحدث عن الدخول إلى ملكوته والاستعداد لمجيئه الثاني.

هذا ما التقطناه من فم الرب عن وصفه لنفسه أنه عريس، حيث العروس وإنْ كانت مخفية ضمناً في كلامه فهي الكنيسة، كما

كشفها القديس بولس في رسالة أفسس على مستواها الزيجي الحقيقي: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥: ٣١،٣٢).

ولكن ثبَّت بولس الرسول هذا الوضع بمعناه العالي جداً، باعتبار أن المسيح اتحد بالكنيسة فعلاً وسرّاً وصار معها جسداً واحداً فيه، فصارت الكنيسة تمثِّل واقع جسده على الأرض، على أساس حبٍّ حقيقيٍّ يجمعهما باتحاد: «أيها الرجال أحبُّوا نساءكم كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها مُطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضْنَ أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة (فيه) وبلا عيب (مثله)» (أف ٥: ٢٥-٢٧).

وهذا الوصف والتعبير اللاهوتي لواقع الكنيسة بالنسبة للمسيح باعتبارها جسده، لا يدخل فيها التصوير الرمزي ولا المجازي، بل إن الرسول بولس يتكلَّم عن اقتناع لاهوتي عملي، أننا كمؤمنين وككنيسة الله والمسيح نُحسب أعضاء حقيقيين في جسده السرِّي هذا بصورة واقعية فيقول: «فإنه لم يبغض أحدٌ جسده قط بل يَقُوتُهُ ويُربِّيه كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٢٩،٣٠). هنا يترك القديس بولس الواقع اللاهوتي الفكري ليدخل الواقع الإفخارستي الحسِّي، فنحن إذا أكلنا جسده صرنا بالضرورة الحتمية أعضاءً في هذا الجسد. ولكن لكي يتمادى القديس بولس في وصف العلاقة الكيانية التي صارت

بيننا وبين المسيح، لم يكتفِ بالجسد والدم الذي تعاطيناه في الإفخارستيا، فأضاف العظام قاصداً بذلك أن يكشف عن ما تم في الاتحاد الأول بينه وبين الإنسان، إذ لم يشترك معنا في اللحم والدم وحسب بل وفي العظام أيضاً، فأصبحت شركتنا معه بالتالي على هذا المستوى بعد أن قدَّس الجسد وأعطاه كما هو ليصير هو جسدنا بلحمه وعظامه.

وبهذا ينكشف لنا أصل الزيجة التي تمَّت باتحاده أولاً بجسدنا في العذراء الذي أخذ منها عروسه، الذي هو الجسد، فوُلِد متحداً بها بلاهوته، أي وُلدت الكنيسة متحدة بالمسيح يوم وُلد المسيح، وبالتالي وُلد كل فرد منَّا في بيت لحم فصارت مسقط رأس البشرية المفتداة.

وقد دشَّنه رسمياً للكنيسة على الصليب لمَّا مسحه مسحة الفداء بدم الله الذي انسكب عليه، فتقدَّست الكنيسة إلى الأبد لحساب الله، باعتبارها جسده الذي أخذه منا وقدَّسه وفداه ومنحه لنا بكامل مخصَّصاته الإلهية كجسد ابن الله؛ إذ وهبه لها بعد أن أكمل به ارتفاعه إلى أعلى السموات ليضم مخصَّصاته الأزلية لحسابها:

+ «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين (الكنيسة) حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويَّات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة ، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً،

وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده: ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ» (أف ١: ١٨-٢٣).

وعلى القارئ أن يُلاحظ اشتراك الآب في منح الكنيسة كل هذه القدرات الخاصة جداً بالابن: «وإيَّاه جعل (الآب) رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده».

أي أن الآب هو الذي صمم ونفَّذ هذا الاتحاد السرِّي الفائق الوصف بين ابنه وجسد البشرية، ليرفع البشرية فيه وبواسطته إلى مستوى الجلوس عن يمينه ليُتمم الوحي المقدس: «قامت الملكة عن يمين الملك».

فكانت هذه المحاولة أنجح المحاولات وآخرها التي قام بها الله على مستوى العهد القديم كله ليُقرِّب إليه شعبه قُربَ التودد، كرجل يحاول أن يُقرِّب إليه حبيبته عبثاً وهي غير عابئة بحبه بل وغير أمينة لحبته:

+ «لكن هأنذا أتملَّقها وأذهب بها إلى البرية وأُلاطفها... وهي تغنِّي هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر. ويكون في ذلك اليوم، يقول الرب، أنكِ تدعينني رَجُلي... وأخطُبُكِ لنفسي إلى الأبد، وأخطُبُكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطُبُكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب» (هو ٢: ١٤-١٦، ١٩، ٢٠).

ويعود إشعياء يتغنَّى بحب الله لشعبه وعلى مستوى الخطبة أيضاً

والزواج:

+ «فإنكِ تنسينَ خِزْيَ صباك، **وعار ترمُّلِكِ** لا تذكرينه بعد. لأن بعلَكِ هو صانعُكِ، ربُّ الجنود اسمه، ووليُّكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذِلَتْ قال إلهُكِ. لُحَيظة تركتُكِ وبمراحم عظيمة سأجمعكِ. بفيضان الغضب حجبتُ وجهي عنكِ لحظة وبإحسان أبدي أرحمُكِ، قال وليُّكِ الرب» (إش ٥٤: ٤-٨).

وهنا يذكر الرب عار ترمُّل إسرائيل لأنه بالفعل كتب كتاب طلاقها: «هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أُمكم التي طلَّقتُها... هوذا من أجل آثامكم قد بُعْتُمْ، ومن أجل ذنوبكم طُلِّقت أُمُّكم» (إش ٥٠: ١). ويوضِّحها إرميا أكثر هكذا: «فرأيت أنه لأجل كل الأسباب، إذ زنت العاصية إسرائيل فطلَّقتُها وأعطيتُها كتاب طلاقها...» (إر ٣: ٨). وطبعاً كان الزنا في عرف الله هو عبادة الأصنام، إذ اعتُبر خيانة لبعلها وهو الله.

ولكن مما يدهشنا حقاً أن مع لغة الزيجة التي يتحدث بها الأنبياء عن الله في حبِّه لشعبه، يأتي معها أيضاً شعور الغيرة التي كان يغير بها الله على عروسه أي شعبه الذي اختاره لنفسه حينما كانت إسرائيل تذهب وراء آلهة غريبة. وقد لقَّنها لهم موسى كطبيعة في الله: «لأن الرب اسْمُهُ غيورٌ، إله غيورٌ هو. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض (كنعان) فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم، فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم» (خر ٣٤: ١٤،١٥).

وبذلك حُسبت إسرائيل، حينما أُغويت لعبادة آلهة الأمم والأصنام، أنها خانت عهد زيجتها مع إلهها، إلى الدرجة التي سمعنا فيها أنه طلَّقها بمعنى أنه حجب وجهه عنها ولم يَعُدْ يدافع عنها تجاه أعدائها.

هكذا تُقيِّم العلاقة التي ارتبط بها الله مع شعبه الذي اختاره في العهد القديم. لذلك فعندما أعطى المسيح لقب "العريس" لنفسه كان ذلك استعلاناً لموقف يهوه مع شعبه في القديم، ولكن الله نجح أخيراً بواسطة تجسُّد ابنه أن يصنع زيجة حقيقية مع شعبه الذي أحبه باتحاد سرِّي تمّ بين الله والإنسان، حمله الابن في كيانه حينما اتحد ملء اللاهوت بالجسد فولِد ابن الله، موثِّقاً في ذاته اتحاد اللاهوت بالناسوت بعقد لا يفصمه الزمان، فدخلت البشرية في حيازة الله إلى الأبد، ككنيسة مقتناة فداها الابن على الصليب وغسلها بالدم، فصارت مقدسة وبلا لوم في ابنه، وتم ما رآه إشعياء في الرؤيا: «وكفرح العريس بالعروس يفرحُ بكِ إلهُكِ» (إش ٦٢: ٥).

كان في التقاليد اليهودية، كما يحكي إدرشيم المؤرخ اليهودي المتنصِّر، أنه إذا خطب عريس عروساً له فكلٌّ من العريس والعروس يكون له مَنْ يمثِّله، وخاصة العروس الذي يصير هو ضامناً لبكوريتها. ويظهر أن القديس بولس كان يعلم بهذا التقليد، لذلك، وبكل جرأة الرسول المعيَّن والمختار من الرب يقدِّم نفسه باعتباره إشبين الكنيسة التي في كورنثوس، فيقول بدالة إلهية:

+ «فإني أغار عليكم غيرة الله (العريس)، لأني خطبتكم لرجلٍ (المسيح) واحدٍ لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١: ٢).

ووراء الكلام مأساة كانت جارية في كورنثوس، فهي مدينة الخلاعة والفجور، مليئة بالأوثان والعبادات الغريبة. إذاً، فنحن أمام عذراء مخطوبة للمسيح، والشيطان يجول ويصول حولها بعبادات شيطانية، أو بحسب لغة العهد القديم بعروض للزنا وخيانة الله. لذلك نسمع بولس الرسول يستطرد القول:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة (الشيطان) حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو ١١: ٣).

إذاً، فتجربة العهد القديم قائمة، وذلك بإغراء الكنيسة التي اقتناها الله بدمه لكي تذهب وراء الشيطان. ويقف بولس الرسول حارساً لكنيسة كورنثوس التي خطبها هو بكرازته لحساب المسيح حتى لا يفسدها الشيطان بغواياته وتبقى على أمانة عهدها وإيمانها مع المسيح. ومن هذا الحوار مع الكورنثيين نشعر بأن القديس بولس مشبَّع بصورة المسيح كـ "**عريس**" حقيقي، وأن الكنيسة يتحتَّم أن تبقى على مستوى أمانة العبادة، على مستوى العذراء المخطوبة التي يخدش شرفها أي انحراف في طهارتها. هكذا ينبغي لكل أسقف وكاهن أن يكون لسان حاله بالنسبة للكنيسة سواء في صلاته أو عظاته أو افتقاده: «أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتكم لرجل واحد لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح».

والعجيب أن تبقى هذه الصور الفريدة للمسيح كعريس

والكنيسة كعروس التي امتدت معنا من بداية العهد القديم منذ خروج شعب إسرائيل من مصر عبر جميع الأنبياء، ثم ترتفع هذه الصور إلى حقائقها اللاهوتية لنسمعها من فم المسيح نفسه. ثم يزيدها وضوحاً وجلاءً بولس الرسول المفتوح العينين الذي اعتبر نفسه أنه كمَّل بآلامه ما نقص من آلام المسيح، كعريس، في جسده أي الكنيسة. وكان يشعر وهو يكرز أنه إنما كان يخطب نفوساً لتدخل في زيجة حقيقية مع المسيح، رجالاً ونساءً، فهو القائل: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦: ١٧)، أي زيجة على مستوى أصغر كنيسة فردية. ولكن لا تقف صورة الزيجة بين المسيح والكنيسة على مستوى الأرض فقط، بل ترتفع بالرؤيا إلى أوضاع السماء:

+ «هلِّلويا، فإنه قد مَلَكَ الرب الإله القادر على كل شيء. لنفرح ونتهلَّل ونُعْطِهِ المجد، لأن عُرْس الخروف قد جاء وامرأته هيَّأَتْ نفسها، وأُعطيت أن تلبس بَزّاً نقيّاً بهيّاً، لأن البَزَّ هو تبرُّرات القديسين» (رؤ ١٩: ٦-٨).

أما معنى أن عُرْس الخروف قد جاء وأن امرأته التي هي الكنيسة قد لبست تبررات قديسيها، فهذا واضح أنه افتتاح الفصح الأبدي لتحقيق أعمال الفصح الأول، جديداً في ملكوت الله. كما أشار إليه المسيح ليلة العشاء الأخير: «لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يُكْمَل في ملكوت الله» (لو ٢٢: ١٦).

وأخيراً، يعلن سفر الرؤيا عن ماهية العروس امرأة الخروف، أي الكنيسة، في صورتها النهائية أنها أورشليم الجديدة، كنيسة كل

العصور والأجيال، متجلّية بأعمال قديسيها ومواهبهم، ونعمة الله تزين أتقياءها وشهداءها بأكاليل المجد:

+ «هلُمَّ فأُريك العروس امرأة الخروف. وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماءِ من عند الله، لها مجد الله...» (رؤ ٢١: ٩-١١).

وفي الحقيقة نحن نستريح للغاية من تعبير المسيح أنه عريس الكنيسة، لأنه ارتفع بعلاقتنا به من وضع العبادة المفروضة إلى الحب الذي يبلغ **حد العبادة**. فالعلاقة بالمسيح كعريس حياتنا أخذت صورة العشق لا من ناحيتنا فقط بل من ناحيته هو أيضاً. فبمجرد أن ينتبه قلبك، أيها القارئ العزيز، أنك محبوب عند الآب والمسيح، يلتهب قلبك بأكثر من الحب، لو تزكيه بالصلاة والمناجاة يَصِرْ عشقاً، حيث يصعب على القلب أن ينشغل بغير المسيح. اسمع ما يقوله عاشق قديم: «مَنْ لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز ٧٣: ٢٥). أليس هذا صوت عاشق؟ بل اسمع صوت نبي محبوب يصف حالة عشقه جهاراً نهاراً: «إلى اسمك وإلى ذِكْرِكَ شهوة النفس. بنفسي اشتهيتُكَ في الليل، أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٩،٨). هذا هو عاشق الليل والنهار، وقد استولى اسم الله وذِكره على كل ما عداه. أليست هذه صوراً حيَّة لحالة زيجة حقيقية صادقة بالروح؟ أو حينما يقول يوحنا البشير بل المسيح: «**هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد**، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦)، ألا يكشف المسيح هنا السرَّ المستتر لحالة عشق برَّح بقلب الآب حتى

هان عليه ذبح ابنه؟

لذلك كان ردُّ الابن على حب الآب الذي بلغ هذا البذل حتى إلى ذبح ابنه، أن قال: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يُبغض أباه وأُمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٢٦). هذا هو المساوي لعشق الآب من نحو الكنيسة الذي هوَّن عليه أن يذبح ابنه من أجل خلاصها. فليس كثيراً على الله الذي ذبح ابنه من أجله، أن يذبح هو نفسه من أجل الله. وهذا لا يتطلب الذبح، بل الحب، بل العشق، فالعشق لا يَرُدُّ عليه إلا عشق، بمعنى الحب من كل القلب. بولس الرسول ردَّ على عشق الآب ردّاً مناسباً للغاية حينما قال:

+ «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبتُه من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء (ومن ضمنها الأب والأم وكل الأسرة) وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأُوجَدَ فيه» (في ٣: ٧-٩).

وحتى ولو خسر الإنسان كل شيء، فلن يستطيع أن يُجاري حب الآب الذي ذبح ابنه من أجل ربحنا، أو حب الابن الذي ذبح نفسه على الصليب ليربحنا لله أبيه. لذلك قلنا، وليس مغالاة، إن محبة الآب ومحبة الابن فاقت معنى الحب. هي العشق، بل هي مصدر العشق ومنبعه.

أما مصدر هذا الحب الشديد والفائق فهو في طبيعة الآب والابن، لأن الآب يحب الابن حبّاً كليّاً مطلقاً بحيث لا يوجد للآب

حب خارج الابن، والابن كذلك وبالمثل يحب الآب حبّاً بحيث لا يوجد خارج الآب حب للابن. فهو حب مطلق متبادل الجاذبية. لذلك قيل أن الآب في الابن والابن في الآب، فصار الآب والابن واحداً مطلقاً. فلما تجسد الابن، دخل جسد البشرية الذي التحم به الابن في دائرة حب الآب، وبالتالي الكنيسة، فأصبحت الكنيسة مركز تجاذب حب الآب والابن، وتبلور هذا الحب بالأكثر لما صار المسيح رأس الكنيسة، والكنيسة جسده؛ فصارت الكنيسة مشخَّصة بالمسيح أمام الآب فانتقل إليها كل حب الآب وكأنها الابن ذاته.

لذلك لا نندهش حينما نسمع أن الآب اختزن في الكنيسة كل مخصَّصات الابن وميراثه، حينما رفع المسيح فوق أعلى السموات ليُسلِّم الكنيسة بالتالي كل مكاسبه، اسمع:

+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ» (أف ١: ١٩-٢٣).

انظر، أيها القارئ العزيز، كيف آلت كل هذه الإمكانيات الهائلة للكنيسة لما صار المسيح رأساً للكنيسة بتدبير الآب؟ وما هو معنى أن يكون المسيح رأساً للكنيسة التي هي جسده؟ أليس هذا هو التعبير الوحيد لعلاقة عريس بعروس؟ وقد أوضح ذلك بولس

الرسول بكل تفسير، كما سبق وقلنا. وبسبب هذا التمايز العالي جداً الذي صار للكنيسة فوق السمائيين جميعاً، أن تعيَّنت الكنيسة بالتالي لتبشر وتعلن عن المسيح الذي لها لدى كل السمائيين هكذا:

+ «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات **بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ١٠،١١).

وبهذا نالت الكنيسة ميراث الابن في السماويَّات، ودُعينا بالتالي أبناء الله، لا مجرد تسمية بل بعمل الروح القدس الذي ثبَّت لنا حق البنويَّة بشهادة وإعلان، كما قال القديس بولس:

+ «أَخذتم روح التبنِّي الذي به نصرخ يا أبـَّا، الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٥-١٧).

ولكن الذي يدهشنا حقاً هو أنه كما ورثت الكنيسة الابن، ورث الابن الكنيسة كنتيجة مباشرة للزيجة وتبادل مكاسب الطرفين، اسمع في ذلك: «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته؟ وما هو غِنَى مجد **ميراثه في القديسين**» (أف ١: ١٨)؟ وبذلك دخل القديسون ضمن مجد المسيح كشهود مختارين فوق العادة سيُرافقونه علناً في سحابة المجد:

+ «ونظرتُ وسمعتُ صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ، وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الخروف المذبوح أن

يأخذ القدرة والغِنَى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة» (رؤ ٥: ١١،١٢)؛

+ «متى جاء **ليتمجَّد في قديسيه** ويُتَعَجَّب منه في جميع المؤمنين» (٢تس ١: ١٠)،

+ «لكي يُثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في **مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه**» (١تس ٣: ١٣).

والآن وقد تشبَّعنا بحالة حب نادر وفوق العادة وعلى أقدس مستوى ملموس، شمل الآب والابن والكنيسة وكل الخليقة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها على الأرض وفي السماء وفي المجيء الثاني؛ نستطيع أن نقول إن عالمنا كما يُحقِّقه الإنجيل، هو قصة حب بَدَت من السماء من عند الآب عنيفة دموية بلغت أقصى قمة المأساة. لتدخل في أعمال بطولة حب شهيد وتنتهي هادئة هدوء الفجر المنير بفرح عريس وعروس.

(الأحد الثالث من يوليو ١٩٩٤)

- ١٣ -

"أنا هو الطريق، والحق، والحياة"

(يو ١٤: ٦)

ἐγώ εἰμι ἡ ὁδὸς καὶ ἡ ἀλήθεια καὶ ἡ ζωή

قالها المسيح وهو في أعلى حالاته الاستعلانية القائمة والعاملة في شخصه، وهو هنا يركِّز بشدة على "أنا هو" كاستعلان وتعريف بشخصه، أما المناسبة فكانت حزينة ومُقبضة للغاية، بعد خيانة يهوذا وخروجه، واضطراب التلاميذ وخاصة لما أعلن لهم: «أنا معكم زماناً قليلاً بعد» (يو ٣: ٣٣)، وكأنه يواجههم بمستقبلهم الغامض الوشيك أن يعانوه بعد ذهابه. وباضطراب سأله بطرس: «يا سيد إلى أين تذهب» (يو ١٣: ٣٦)؟ فكان الردُّ غامضاً ورهيباً: «حيث أذهبُ لا تقدر الآن أن تتبعني، ولكنك ستتبعني أخيراً» (يو ١٣: ٣٦).

من هنا وضع المسيح أمام تلاميذه ملامح الطريق، فبقوله: «حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني»، إذاً فهو طريق الموت!! وعندما أكمل القول: «ولكنك ستتبعني أخيراً»، فهنا ملامح الانفراج في البارُّوسيا - المجيء الثاني - الذي عبَّر عنه المسيح: «وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً. وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق» (يو ١٤: ٣،٤).

وهكذا أوضح المسيح معنى «أنا أمضي»، ولكن للأسف، وكالعادة، لم يفهم توما: «يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق» (يو ١٤: ٥). توما يعيش في الماديات وفي حدود بلده وزمانه ولا يتصور كيف يذهب المسيح؟ وإلى أين؟ وما هو هذا الطريق الجديد؟

فلكي يرفع المسيح من ذهن التلاميذ ليركِّزوا في شخصه ويطمئنوا إلى قدراته اللانهائية، قالها لهم صراحة: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦).

ولكي يزيد من التعريف بشخصه وليس بالطريق قال: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦). وهكذا قدَّم لهم طريقاً يحتاج إلى عقول جديدة ليست كعقل توما: «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً...» (يو ١٤: ٧)، لأن الطريق الذي يتكلم عنه المسيح ليس أكثر من استعلان الآب والابن. الآب أرسل الابن إلى العالم في طريق النزول، ليُكمِّل مشيئة الآب لخلاص المفديِّين؛ والابن أكمل الفداء وافتتح الطريق الصاعد إلى الآب، ومعه المُخَلَّصون.

إلا أن المسيح في قوله: «أنا هو الطريق والحق والحياة»، أبرز بصورة قاطعة تقديم شخصه على هذه الثلاثة المستويات، كلٍّ منها على حدة؛ فهو "الطريق"، وهو "الحق"، وهو "الحياة". هي ثلاثة مجالات جاء المسيح ليفتح أسرارها على العالم، ولكن لأن كلٍّ مجال منها لا يمكن فصله عن المجال الآخر، أصبح الحديث عن كلٍّ منها بمفرده وبمعزل عن المجال الآخر يواجه تقصيراً لا مفر منه.

فنحن لو تكلَّمنا عن المسيح الطريق، فهو حتماً طريق الحق والحياة؛ بالحق اختطَّه، وبالحياة أكمله.

طـريق الحـق أو الطـريـق الحـق:

بإضافتنا الحق على الطريق يصير أنا هو "طريق الحق". وهنا يرتفع الطريق ليأخذ طبيعته الإلهية الفريدة، فهو الطريق من الله للعالم. والله هو الحق الكلِّي، وعالم الإنسان هو موطن الزيف والباطل، مجالان جدّ متخالفين ومتعارضين. فلا مناص من تقابلهما معاً إلا على هيئة صليب، ليبرز التعارض في أقصى قمته، لذلك كانت إرسالية الابن من عند الآب عَبْر العالم محسوباً حساب مخاطرها، بل ومرسومة مأساتها وصليبها مُسْبَقاً. ولم يكن يخفى ذلك عن المسيح أبداً، بل ذكرها مراراً أن ابن الإنسان ينبغي أن يُصلَب ويموت، كمعلومة بل كوصية استلمها من الآب قبل أن تطأ قدماه أرض عالم الأباطيل: «ليس أحد يأخذها (نفسه) مني، بل أضعها (للموت) أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً، هذه الوصية قَبِلتُها من أبي» (يو ١٠: ١٨)، «لأني خرجت من قِبَل الله وأتيتُ، لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني» (يو ٨: ٤٢). وقد قَبِلَ الآب وقَبِلَ الابن دَفْع الثمن قبل أن يخوضها: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

ولم يكن شكل المعركة القادمة خافياً على المسيح، بل قاسها طولاً وعرضاً بشبره: «وابتدأ يُعلِّمهم أن ابن الإنسان **ينبغي** أن يتألم كثيراً **ويُرفض** من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل،

وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مر ٨: ٣١). وبالفعل فقد عانى المسيح من المقاومة والصدود والإهانة ومحاولات الرجم والمطاردة والتهديد حتى الضرب. هكذا حمل المسيح الحق في طريق العالم عَبْر أباطيله من كذب وغش وخداع ونصب الفخاخ، حتى انتهى الطريق بالقبض عليه والتفنن في إهانته وتأليمه.

وأخيراً توقف الطريق النازل من الله للعالم عند الصليب على رابية الجلجثة. وهنا قمة الصراع الذي اكتمل بين حق الله يحمله الابن الوحيد، وباطل العالم الذي انبرى صاحب أباطيل العالم وكل أعوانه وتلاميذه والمريدون والمنتفعون للدفاع عنه والأخذ بالثأر من الحق المتجرئ على كشف عِوَارِه. ولكن انجلت المعركة في النهاية عن هزيمة ساحقة للباطل وصاحب سلطان الموت. وإلى هنا انتهى طريق الحق النازل من الله لعالم الإنسان بفداء كل المحكوم عليهم بالموت ظلماً، وفكِّ أسرى الرجاء المربوطين بحبال الظلم المقيَّدين في الهاوية.

طريق الحياة أو الطريق والحياة:

من وسط الموت، قمة سطوة الباطل وانتصاره الكاذب، انبثق الحق حيّاً، مبتدِئاً الطريق الصاعد حاملاً الحياة من عمق الموت، حياة كلها حياة لا يأتيها موت بعد، بل لا يقربها حزن ولا كآبة ولا تنهد، حياة في نور الحق إلى الأبد. هكذا انطلق الحق في طريقه الصاعد إلى الآب، الابن الظافر حاملاً في موكب نصرته الإنسان وقد أكمل خلاصه، وقد نال إكليل الحياة، ليجلس الابن عن يمين الآب ومعه البشرية التي اشتراها بدمه، وأعدَّ لهم مكاناً في منازل الآب. وتم

الوعد: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً (البارُّوسيا = الظهور الآتي) وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً. وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق» (يو ١٤: ١-٤).

هذا هو الطريق النازل بالحق والصاعد بالحياة، حيث: «لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦). وهو الطريق الذي عبَّر عنه سفر العبرانيين أقوى تعبير: «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس، بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده» (عب ١٠: ١٩).

مَن ذا يستطيع أن يفصل الحق عن الطريق؟ أو كيف يكمل بدون الحياة؟

فإن تذكَّرنا أن الطريق هو المسيح، أدركنا أن الحق حتماً فيه والحياة.

«أنا هو الحق ἀλήθεια»:

حينما يقول المسيح: «أنا هو الحق»، فـ "الحق" هو الله، فحينما يقول المسيح إنه "الحق" وهو إنسان واقف بين الناس، فهذا يعني للتو أنه استعلان الله بالكلمة والعمل وهذا يرجِّحه قوله: «الله لم يَرَه أحدٌ قطُّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر ἐξηγήσατο» (يو ١: ١٨). و"خبَّر" جاءت بالإنجليزية "made him known"، أي جعله معروفاً، أي أعلنه. وقد شرحها المسيح لبيلاطس: «لهذا قد وُلدت أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٧). لهذا كان تعريفه لتلاميذه: «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه» (يو ١٤: ٧)، «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩).

ونجد تعريف المسيح بـ "الحق" واضحاً في الإنجيل والرسائل، حيث يأتي الحق الواثق والصحة في الإيمان:

+ «أما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد **سمعتموه وعُلِّمْتُم فيه كما هو حق في يسوع**» (أف ٤: ٢١).

كما يأتي "الحق" ثابتاً بالإنجيل فيما يخص المسيح هكذا:

+ «ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب **"حق الإنجيل"** قلت لبطرس...» (غلا ٢: ١٤).

كما يجيء الحق منسوباً للمسيح كمعيار أعلى، كمحك لكل خطأ:

+ «وأما الذين هم من أهل التحزُّب **ولا يُطاوعون للحق** بل

يُطاوعون للإثم، فسخط وغضب...» (رو ٢: ٨).

ويجيء الحق كمعيار للدينونة العتيدة أن يمارسها المسيح:

+ «ونحن نعلم أن دينونة الله هي **"حسب الحق"** على الذين يفعلون مثل هذه» (رو ٢: ٢).

كما يشيد القديس يوحنا بالحق كنور بالنسبة للمسيح:

+ «إنْ قلنا إنَّ لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب **"ولسنا نعمل الحق"**» (١يو ١: ٦).

ويقرن بولس الرسول الحق بالفرح إن كان المسيح نفسه أو أي علاقة به:

+ «ولا تفرح بالإثم بل **"تفرح بالحق"**» (١كو ١٣: ٦).

لذلك يعود بولس الرسول وينسب غضب الله لِمَنْ يحجز الحق ويقدِّم الإثم:

+ «لأن غضب الله مُعْلَنٌ من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذي يحجزون **"الحق بالإثم"**» (رو ١: ١٨).

كذلك، فالحق الذي في المسيح ينتقل إلى الخليقة الجديدة التي خلقها على صورته مع البر والقداسة:

+ «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤).

كذلك، فالحق في المسيح يمكن، إذا تمسك به الإنسان، أن يكون كمِنْطقة تشد كيان الإنسان روحياً:

+ «فاثبتوا مُمنطقين أحقاءكم بالحق، ولابسين درع البر» (أف ٦:

١٤).

كما استطاع بولس الرسول أن يُسقِطَ حق المسيح على الإنجيل بكل قوة:

+ «من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات الذي سمعتم به قبلاً في "**كلمة حق الإنجيل**"» (كو ١: ٥). وأيضاً:
+ «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم "**كلمة الحق**" إنجيل خلاصكم» (أف١: ١٣).

وبطرس الرسول يرى أن الإيمان المسيحي قد رسخ في الحق:

+ «لذلك لا أُهْمِل أن أُذكِّركم دائماً بهذه الأمور وإن كنتم عالمين ومثبَّتين **في الحق الحاضر**» (٢بط ١: ١٢).

والمسيح يتكلم عن نفسه في صورة الحق: «تعرفون الحق، والحق يحرركم» (يو ٨: ٣٢). ولكن يعود ويكشف عن ماهية هذا الحق أنه ليس علماً ولا فهماً ولا عملاً: «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦). وهنا يظهر بوضوح معنى الحرية ومضمونها أنها ليست فكرية، بل هي فك قيود الخطية: «مَنْ يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يو ٨: ٣٤).

والحق باعتباره هو المسيح، إنما يقدِّس: «قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق» (يو ١٧: ١٧)؛ حيث الكلام ليس هو مجرد التعليم، بل استعلان الذات. فالذات في المسيح هي التي تُغذِّي: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق» (يو ١٧: ١٩).

فالمسيح هو كلمة الله، هو الحق المعلَنْ للعالم ليقدِّس العالم

بوجوده. فالمسيح بذاته هو فعل تقديس وحَدَثٌ قداسة في العالم، فـ «الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا» (يو ١: ١٤)، وهو ملء النعمة والقداسة. فحلول الحق والقداسة، قدَّس وملأ بالنعمة.

وفي قول المسيح عن مطلب الله بالنسبة للعابدين له: «الآب طالِبٌ مثل هؤلاء الساجدين له (بالروح والحق)» (يو ٤: ٢٣). حيث الروح القدس هو الذي يُدخِل إلى حضرة الله، **والحق هو الاستعلان الذي أكمله المسيح عن الله**. ويكون المعنى، إذاً، أن السجود لله إنما يكون بروح الله وفي الاستعلان الصادق لله بالإيمان بالمسيح.

وبالاختصار، تكون العبادة المطلوبة بالروح القدس والإيمان بالمسيح: «لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بكيل يُعْطِي الله الروحَ. الآب يُحب الابن وقد دفع كل شيء في يده» (يو ٣: ٣٤،٣٥). كذلك اعتماداً على ما كشفه المسيح عن صلته الأساسية بالله الآب بالنسبة لنا: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦). كما على أساس أن الروح يرشدهم إلى كل "الحق" (يو ١٦: ١٣)، فهو المدعو "روح الحق" (يو ١٦: ١٣)، و"الروح هو الحق" (١يو ٥: ٦).

وهكذا رأينا أن المسيح بقوله: «أنا هو الحق»، دخلت هذه الحقيقة في صميم العبادة، واستخدمها الآباء الرسل لبناء هيكل الحياة المسيحية برُمَّته.

فحقُّ المسيح هو الإنجيل، والتمسُّك به تمسُّك بالمسيح،
وصار حق المسيح، هو أساس وقاعدة الفكر والعمل والسلوك،

وحق المسيح أصبح هو الفيصل بين الحياة والدينونة، وحق المسيح هو معيار أو ميزان الدينونة،

وحق المسيح هو النور، بينما السلوك بغيره ظلمة وموت،

وحق المسيح كوّن هيئة وهيكل الإنسان الجديد في البر والقداسة والحق،

والذي يمسك بالمسيح، يكون كمَنْ يمنطق ذاته بالحق.

وحق المسيح هو الخلاص،

والمسيحية هي الحق الحاضر.

وحق المسيح هو حقيقة الحرية،

والله طالب الساجدين له بالروح وحق المسيح،

والروح القدس هو المنوط به استعلان حق المسيح.

وبنظرة فاحصة نجد أن إعلان المسيح: «**أنا هو الحق**»، قام عليه منهج المسيحية برمّته.

«أنا هو الحياة»:

إن كنا قد رأينا أن "الطريق" الذي عبَّر به المسيح عن نفسه عاملاً منذ أن نزل من عند الآب ثم صعد إليه ليجلس عن يمينه. فـ "الحياة الأبدية" كانت هي نصفه الصاعد إلى السماء للجلوس عن يمين الآب، وهي النصف غير المنظور إلاَّ للأخصاء، فهم وحدهم عاينوه وشاهدوه ولمسوه وأكلوا معه. بمعنى أنه إن كانت الحياة الأبدية هي نصيبنا السماوي المكمِّل لخلاصنا المحفوظ لنا في السموات بانتظار تكميل جهادنا بالإيمان على الأرض؛ فهو نصيب غير منظور بالعين الجسدية ولكنه مُعلَنٌ بالإيمان: «إن آمنتِ ترين

مجد الله» (يو ١١: ٤٠). ونحن الآن نحيا هذا النصيب غير المنظور، بمعنى أننا نحيا الحياة الأبدية. وبمعنى أفضل وأقوى، نحيا مع المسيح، فالمسيح هو حياتنا الأبدية. وإن كنا لا نراه فيكفينا أنه هو يرانا: «**سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم**» (يو ١٧: ٢٢). فكل فرح يباغتنا ويغطي على قلقنا وأحزاننا، يكون هو هو المسيح، وتكون هي الحياة الأبدية بسَبْق مذاقها السعيد. وإن أعوزنا الإحساس بصدق هذا الوعد، فالإيمان يغطي نقص إحساسنا، ويكفي أن يقول المسيح بثقة: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩).

إذاً، فنظرة إيمان إلى فوق نحو السماء، وقلب ينبض بالحب، يجعلنا نثق بصدق قوله إنه حيٌّ فعلاً وإننا أحياء بالحق. فالحياة في المسيح ليست لشبع الجسد من آمال، بل هي حب يلهب القلب ليفجِّر منه أنهار ماء حي لشبع الآخرين.

فالحياة الأبدية ليست مجرد وعد ننتظره بعين الإيمان، بل هي روحٌ حيٌّ، إنها روحه أسكنه داخل قلوبنا يعمل لحسابه. وقد ينشط الروح حتى يغطي كل منافذ وحركات الجسد، فلا يشتاق الجسد إلا إليه. والروح هو مصدر كل معرفة واستنارة: «يرشدكم إلى جميع الحق... يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣،١٤) بالأخبار السارة. مَنْ تتلمذ عليه صار حكيماً، لأنه روح الحكمة والفهم، فهو المدرسة العليا لأولاد الله يتخرجون منها ذوي رتب في البر والتقوى والقداسة والحق وشهادات معتمدة لدخول ملكوت الله بدون فحص. فالحياة الأبدية عند الذين عرفوها وعاشوها حياة تصغر دونها الحياة الحاضرة، يرتقي فيها المجدُّون من مجد إلى مجد، وتتغير

أشكالهم الروحية عن صدق وتحقيق لكي تُعدَّ لتكون على صورة خالقها بكل الحق: «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢).

فحالنا الآن كحال جماعة أو فرقة تمثيل تتدرَّب باهتمام بالغ على الأدوار التي أُعطي لكل واحد أن يمثلها، فنجد الواحد فيها يظل ليل نهار يحفظ ويسمع دوره، ويقف أمام المرآة ويلقي دوره فلا يعجبه الأمر، فيعود يحسِّن من أدائه وكلماته وحركاته. حقاً، يا إخوة، يُرفع الستار فإذا نحن فوق، نأخذ مواقعنا عن حقيقة وليس عن تمثيل. هنا نلبس الأقنعة، رضينا أم لم نرضَ. فيا نعيم مَنْ لَبِسَ قناع الضعف والفقر والمسكنة؛ وأتقن دوره بصدق القلب حبّاً في الذي افتقر وهو غنيٌّ، ولَبِسَ الضعف وهو رب القوة، وتَمَسْكَنَ وهو ابن الله. لأن هناك ستُرفع الأقنعة وتوهَب أكاليل المجد. انظروا، فالحياة الأبدية فينا وتبدأ من هنا بكل معطياتها ولكن تحت أقنعة، فلا يُرى منها إلا شقاء هذا الزمان، وهي النعيم الأبدي. (أغسطس ١٩٩٤)

- ١٤ -

"أنا هو خبز الحياة"

(يو ٦: ٣٥)

ἐγώ εἰμι ὁ ἄρτος τῆς ζωῆς

«أنا هو خبز الحياة»:

من أبسط ألقاب المسيح التي أطلقها على نفسه، ولكن في نفس الوقت أعماقه التي لا تُجارَى ولا تُحَدُّ.

فهو: **«الخبز الحقيقي»** (يو ٦: ٣٢)، **«لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم»** (يو ٦: ٣٣)، **«أنا هو خبز الحياة»** (يو ٦: ٤٨)، و«هذا هو الخبز النازل من السماء **لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت**» (يو ٦: ٥٠)، و«أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل **أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**» (يو ٦: ٥١)، «والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي **الذي أبذله من أجل حياة العالم**» (يو ٦: ٥١).

مدخل فهم هذا اللقب السرِّي جداً هو قول المسيح: «أبي يعطيكم الخبز الحقيقي **من السماء**» (يو ٦: ٣٢). وهو بهذا القول يشير إلى نفسه بوضوح، وذكرها بعد ذلك بقوله الصريح: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء...» (يو ٦: ٥١). وهو بقوله: «الخبز الحقيقي»، إنما يشير بذلك إشارتين، الأولى: إنه "خبز إلهي" لأن هذا هو معنى "الحقيقي"، إذ لا يوجد حق ولا حقيقي بمعناه المطلق إلا الله وما يُنسب إلى طبيعته؛ والإشارة الثانية: يُقصد بها أن ينفي الخبز غير الحقيقي أو الخبز الذي لا يَمُتُّ إلى طبيعة الله، وهو

"المن" الذي أرسله الله على شعب إسرائيل وهو مرتحل في سيناء طيلة الأربعين سنة. والمنُّ ولو أنه نزل من السماء موطن الله، إلاَّ أنه لا يمت لله بصلة لأنه إن بَقِيَ منه شيء "يتولَّد فيه دود وينتن" (خر ١٦: ٢٠)، وكل ما ينتن ويفسد لا يُنسب لله عديم الفساد. وهذا المنُّ أسماه موسى "خبز": «فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا» (خر ١٦: ١٥)، وقد أسماه نحميا خبزاً من السماء: «وأعطيتهم خبزاً من السماء لجوعهم، وأخرجت لهم ماءً من الصخرة» (نح ٩: ١٥)، وأسماه مزمور (٧٨: ٢٤،٢٥) قمح السماء وخبز الملائكة: «وأمطر عليهم منّاً للأكل وبُرَّ السماء أعطاهم. أكل الإنسان خبز الملائكة...».

ومن جهة المنِّ، فهو بالرغم من أنه الخبز الذي نزل من السماء إلاَّ أنه كان لا يُقيم أَوَدَ الإنسان إلاَّ إلى يوم واحد، فكان شعب إسرائيل يلتقط منه يوماً بيومٍ. ومعروف أن كل الذين أكلوا المن النازل من السماء ماتوا كبقية الناس ولم يمنعهم أكل المن عن الموت، كما قال المسيح: «أكل آباؤكم المنَّ وماتوا» (يو ٦: ٥٨).

ولكن ليفهم القارئ، أن الموت هنا الذي يقصده المسيح ليس موت الجسد، بل موت اللعنة الأبدي تحت حكم الغضب الذي وقع فيه آدم وانتقل إلى بنيه.

ولكن بالرغم من ذلك كان اليهود يعتبرون المن من أسرار الله الإلهية التي خصَّهم بها. لذلك لما قال المسيح إنه: "خبز الله النازل من السماء" (يو ٦: ٣٣)، جزعوا: «فكان اليهود يتذمَّرون عليه لأنه قال: أنا هو الخبز الذي نزل من السماء... كيف يقول هذا إني

نزلتُ من السماء» (يو ٦: ٤١،٤٢).

ولكن، في الحقيقة، بدأ المسيح حواره هذا على أساس التعاليم التي كانت راسخة عند اليهود أن المنَّ له اعتبار هام، إذ معروف في التقليد أن بحضور المسيَّا سيُطعم شعب إسرائيل من المنِّ. ومتصل بهذا حقيقة تاريخية، وهي أنه لما أُنشئ هيكل سليمان وُضع فيه تابوت العهد القديم مع لوحي الوصايا العشر، والعصا التي لهرون التي أزهرت وأفرخت، والقسط الذهبي الموضوع فيه المن: «وقال موسى لهارون: خُذْ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء العُمر منّاً وضَعْهُ أمام الرب **للحفظ في أجيالكم**» (خر ١٦: ٣٣). ويُقال إنه لما تهدَّم الهيكل، أخفى إرميا النبي القسط الذي فيه المن ولم يعرف أحد المكان الذي أخفاه فيه. ويقول التقليد اليهودي إنه حينما يأتي المسيَّا سيُخرجه من المكان المُخْفَى فيه ويُطعم منه المؤمنين.

نسمع عن هذا التقليد في سفر الرؤيا هكذا: «مَنْ له أُذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس: مَنْ يغلب فسأُعطيه أن يأكل من "**المنِّ المُخْفَى**"...» (رؤ ٢: ١٧).

وكان من تعاليم الربِّيين السائدة أيام المسيح:

[إن بمجيء المسيَّا سوف تبدأ من جديد أعمال موسى ويُحضر لهم المنَّ. فالمسيَّا هو موسى الثاني الذي سيُنزل لهم المنَّ من السماء، وإن هذا المنَّ مُذَّخر للأبرار في الدهر الآتي والمستحقون فقط يأكلون منه. فموسى الفادي الأول أنزل المنَّ من السماء، والمسيَّا الفادي الثاني سيعمل هذا أيضاً].

كما كان هناك اعتقاد سائد في الأوساط اليهودية أنه في العصر المسيَّاني سيعمل الرب وليمة سمائية للمؤمنين، وهذه أيضاً نسمع صداها في العهد الجديد. فحينما قال المسيح: «إذا صنعت ضيافة، فادْعُ المساكين الجُدْعَ العُرْجَ العُمْي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يُكافئوك، لأنك تُكَافَى في قيامة الأبرار. فلما سمع واحد من المتكئين قال له: **طوبى لِمَنْ يأكل خبزاً في ملكوت الله**» (لو ١٤: ١٣-١٥).

من هذا كله يمكن أن نثق أن على هذا الأساس التقليدي الذي يعلمه المسيح تماماً فجَّر المسيح استعلان نفسه أنه الخبز النازل من السماء باعتباره المسيَّا، ذلك حينما فتح اليهود باب الحديث بقولهم له: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله. أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذي هو أرسله. فقالوا له: فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك، ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنَّ في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا» (يو ٦: ٢٨-٣١). بمعنى أنهم طلبوا منه أن يُنزل منّاً من السماء إن كان هو المسيَّا.

لذلك أصبح واضحاً أمامنا أن بقول المسيح: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء"، كان يقصد أن يُعلن نفسه أنه المسيَّا وأن عصر المسيَّا قد افتُتح بمجيئه. ولكن يا لحزني على هذا الشعب الذي عاش حياته بأنبيائه وقديسيه يترقبون بفارغ الصبر مجيء المسيَّا، فلما جاء وقال: "أنا هو"، لم يصدِّقوه.

ولكن لينتبه القارئ، لأن المسيح في حواره أعلن لِمَنْ له بصيرة، أنه هو ليس المسيَّا فحسب بل والله؛ إذ لما قال اليهود إن موسى

أعطاهم المنّ وكان في اعتقادهم أن بموت موسى انقطع المن، أنكر عليهم المسيح هذا الاعتقاد قائلاً: «الحق الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل **أبِي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء**» (يو ٦: ٣٢). ثم عاد المسيح وأكّد لهم أنه هو **"خبز الحياة"**، وأنه **هو الذي يعطي هذا الخبز**: «الخبز الذي **أنا أُعطي** هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥١).

وبهذا الكلام يكون المسيح قد أوضح أن الآب يعطيهم الخبز الحقيقي حيث الخبز الحقيقي هو طعام الحياة الأبدية، ثم أكمل بأنه هو أيضاً يعطي الخبز الحي (حياة أبدية): «والخبز **الذي أنا أُعطي** هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم». وهنا يكشف المسيح ضمناً أنه هو المسيّا وأنه هو والله واحد، إذ يعمل عمل الله وهو إعطاء الحياة الأبدية. ولينتبه القارئ، لأن مَنْ يعطي الحياة الأبدية يعني حتماً أن له سلطاناً على إلغاء الموت. إذاً، بقول المسيح: إنه يعطي الحياة، نكون نحن أمام سر الخلود.

سر الخلود:

ليس في جميع الأسرار التي تصادفنا في حياة المسيح وأقواله ومعجزاته ما يُعادل هذا السر الرهيب، سر الخلود، الذي أبقى المسيح إعلانه حتى آخر ساعة من حياته. ففي الليلة التي كان مزمعاً أن يسلّم فيها نفسه للموت من أجل حياة العالم، جلس مع تلاميذه ومهّد للسر بإعلان حبّه لخاصته الذين في العالم، حبّاً وصفه الإنجيل أنه حتى المنتهى (يو ١٣: ١).

ولم يكن المسيح مغالياً حينما قال: "أنا هو خبز الحياة"، إذ في العشاء الفصحي الأخير، لما أخذ الخبز على يديه ونظر إلى فوق، بثَّه روح الحياة الأبدية التي فيه. **فحمَّل الخبز ذات الحياة الأبدية التي في جسده**، فصار الخبز الطبيعي معادلاً لجسده الإلهي الحي، أي خبزاً للحياة. وتمادى المسيح في إجراء السر على السر، إذ كسر الخبز من واقع ما سيتم على الصليب. وهكذا بثَّ الخبز الحي موته المحيي، أي حمَّله قوة الفداء والغفران بآن واحد. وهكذا أصبح كل مَنْ يأكل من هذا الخبز يعْبُر - كما عَبَرَ المسيح - بالجسد من الموت إلى الحياة، أي صارت في هذا الخبز الحي قوة القيامة من الأموات. ولذلك أعلنها المسيح في النهاية: «وشكر فكسَّر وقال: خذوا كلوا **هذا هو جسدي المكسور لأجلكم**، اصنعوا هذا لذكري» (١كو ١١: ٢٤).

وهكذا حمَّل المسيح الخبز كَسْر الجسد، كما حمَّل الكأس **سفك الدم وغفران الخطايا**: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلُّكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد **الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**» (مت ٢٦: ٢٧،٢٨). وهنا بقوله "شكر" وهو رافع عينيه إلى فوق، يكون قد استودع الدم روح الحياة الأبدية التي فيه.

وهكذا حمَّل المسيح الخبز والكأس سر كَسرْ الجسد وسفك الدم على الصليب، ومغفرة الخطايا. ومن مضمون مغفرة الخطايا تُستعلن الحياة الأبدية. وإذ عبَّرهم الموت بأكلهم الجسد المكسور وشربهم الدم المسفوك للفدية، فنالوا مغفرة الخطايا وقاموا معه

لحياة أبدية، يكون قد سلَّمهم "سر الخلود" الذي سمَّاه القديس إغناطيوس "ترياق عدم الموت". وبقول أوضح، ولكن أكثر سرِّية، يكون قد سلَّمهم ذاته ووجوده: جسد ودم، وروح وحياة!!

وبإعطاء المسيح الخبز حاملاً روح الحياة الأبدية، وسر كسر الجسد على الصليب، ثم وبالضرورة كأس الدم المسفوك وفيه روح الحياة الأبدية، يكون قد أعطانا سر الشركة الكاملة في موته وحياته. والشركة هنا ليست مجازاً بل فعلاً وتحقيقاً، وهذا يثبته ويحقِّقه قوله: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦). هنا الثبوت المتبادل هو حالة تواجد للمسيح دائم في حياة الإنسان، الذي يؤهِّل حتماً للحياة الأبدية: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤).

مستوى الأكل والشرب من سر الجسد والدم:

حينما بثَّ المسيح روحه في الخبز فصار جسده، وفي الخمر فصار دمه، وأَحْدَر للجسد فعل الكسر المزمع أن يكون على الصليب وفعل السفك للدم؛ استودع الجسد والدم فعل الفداء عندما قال: "مكسور لأجلكم" للجسد، و"مسفوك لأجلكم" للدم، فصار الجسد والدم يحملان شخص المسيح، وبالتالي شركة الحياة الأبدية معه. وهذا كله تم بفعل "الكلمة"، أي بسلطان الخلق الذي للمسيح الذي يخلق من العدم وجوداً ومن الموت حياة. ولكن المسيح استخدم سلطان الخلق هنا لتحويل الوجود المادي للخبز والخمر إلى وجود روحي من وجوده، فصار الخبز جسد المسيح بالحق والخمر دم

المسيح بالحق، وجوداً إلهياً لا يُرى ولا يُحس، وذلك بقوة اللاهوت الذي فيه وعلى مثاله، قائم فعَّال محيي، ولكنه غير منظور ولا محسوس: «إني أنا هو، جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٩)، هنا بسبب عدم إيمان التلاميذ جعل لاهوته يُنظَر ويُحَس، كما نظر توما جروحه وجسَّ بيده وإصبعه، فأدرك قوة اللاهوت بالحق وصرخ: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨)، فكان تعقيب المسيح على ذلك أنه بالإيمان وحده لا بالعيان واللمس ينبغي أن نؤمن بالمسيح ولاهوته: «قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما آمنتَ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩). هذا هو المسيح نفسه القائم في سر الإفخارستيا في الجسد والدم، إن لَزِمَ فإن المسيح يُعلنه للعين واليد، ولكن بالإيمان ينبغي أن يُقْبَل المسيح بلاهوته.

من هنا أصبح الأكل من الجسد أي الخبز المتحوِّل، والدم أي الخمر المتحوِّل؛ ليس مأكلاً أو مشرباً عادياً، بل هو مأكلٌ ومشربٌ حقٌّ أي مأكلٌ ومشربٌ إلهيٌّ بالدرجة الأولى، لأن "الحق" كما قلنا هو إفادة مباشرة لما هو الله أو ما لله: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦). لذلك نبَّه المسيح ووعَّى: «لأن جسدي **مأكلٌ حقٌّ**، ودمي **مشربٌ حقٌّ**» (يو ٦: ٥٥). لأجل هذا أصبح الأكل من الجسد والشرب من الدم، له فاعلية إيمانية سرية صادقة ومباشرة للثبوت في المسيح كثبوت المثيل في المثيل: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦)، بمعنى الاتحاد!! "أنتم فيَّ وأنا فيكم". كما أن النتيجة المباشرة للثبوت في المسيح وثبوت المسيح في المؤمن

المتناول من الجسد والدم، اندفاق الحياة الأبدية التي للمسيح في المتناول من جسده ودمه: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي **فله حياة أبدية** وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤)، بمعنى أن مَنْ يأكل الجسد ويشرب الدم يثبت في المسيح والمسيح يثبت فيه، وتصبح الحياة الأبدية مفتوحة عليه، وبالتالي وبالضرورة تكون "القيامة" التي هي مصدر الحياة الأبدية قائمة فيه.

وقد جمعها المسيح كلها في آية واحدة جامعة شاملة لِمَنْ يأكل جسد المسيح ويشرب دمه: «كما أرسلني الآب الحيُّ وأنا حيٌّ بالآب، **فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي**» (يو ٦: ٥٧). وهنا كشف المسيح السر القائم في الإفخارستيا كشفاً واضحاً مختصراً قوياً حاضراً وفعّالاً هكذا: إن مَنْ يأكل الخبز المتحوِّل للجسد والخمر المتحوِّل للدم، يكون قد "**أكل المسيح**" شخصياً ويكون قد ظفر بسر الخلود. من هنا كان تعريف القديس والشهيد إغناطيوس للتناول من الجسد والدم أنه بمثابة تعاطي "**ترياق عدم الموت**" أي "دواء الخلود". والشهيد إغناطيوس محق كل الحق في وصف الإفخارستيا أنها عقار أو دواء عدم الموت، لأن فيها أولاً: شفاء، أي "مغفرة الخطايا"؛ وثانياً: النصرة على الموت والظفر بالحياة الأبدية.

تعليق بولس الرسول على سر الجسد والدم:

أول ما يسترعي اهتمام بولس الرسول، وهو أكبر شارح لأسرار العهد الجديد برمتها، هو سر الشركة المتحصلة من أكل الجسد وشرب الدم، شركة المؤمن بالمسيح وشركة المؤمنين المتناولين معاً: «كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز

الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح» (١كو ١٠: ١٦)؟

ويستخلص القديس بولس من حقيقة الشركة الإلهية المتحصلة من تناول المؤمنين معاً من الجسد الواحد والدم الواحد الذي لسر الإفخارستيا، حصول اتحاد للمؤمنين معاً في المسيح وبلوغ الوحدة البشرية التي سعى إليها المسيح بموته على الصليب لتقديم البشرية كإنسان واحد لله:

أ. «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد **جسد واحد**، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠: ١٧).

ب. «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة **لبنيان جسد المسيح**، إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية الإيمان** ومعرفة ابن الله، إلى **إنسان كامل**، إلى قياس **قامة ملء المسيح**» (أف ٤: ١٢،١٣).

والقديس بولس يقصد من هذين البندين في التعليم على سر الإفخارستيا، أن بالتناول تنتهي الفوارق، كل الفوارق، في الجنس والشكل والطباع والعادات والنزاعات والمخالفات والأضداد والعداوات الكاذبة، لأن التناول من الخبزة الواحدة يجمعنا في جسد المسيح الواحد، والشرب من الكأس الواحدة يوحِّد قلوبنا وأرواحنا بروح المسيح الواحد إلى وحدانية تجمعنا في المسيح مع مسرة فائقة. ولكي أوضِّح ذلك للقارئ السعيد أقول: فلنفرض أن جماعة عظيمة اجتمعت من كل الكنائس والبلاد بإيمان صادق بفاعلية سر الإفخارستيا وتناولوا جميعاً من الجسد الواحد والدم الواحد، ثم دعاهم الله للانتقال المفاجئ إلى عالم النور، فماذا يتبقَّى لهم من جنسياتهم المتعددة واختلاف طرق حياتهم وأفكارهم

وعاداتهم ومبادئهم وعقائدهم؟ الحقيقة أن كل ما للجسد البشري والعالم يزول في الحال ولا يبقى إلاَّ جسد المسيح الذي يجمعنا وروح المسيح الذي يُحيينا في حبٍّ وأُلفة منقطعة النظير.

ولكن المطلوب الآن أن نحقق هذه الوحدة هنا وفي هذا الزمان، لأنها قائمة فينا وإن كانت مختفية وراء عوائق ومعاكسات وظروف وعداوات كلها جسدية كاذبة. فمتى نستيقظ لحقيقة الجسد الواحد والروح الواحد والحب الواحد الذي فينا وسر الخلود الواحد الذي يجمعنا؟

ولكي أُعطي نموذجاً حيّاً في هذا الدهر وفي صميم هذا العالم لجماعات متعددة الجنسيات، متعددة الأفكار والمبادئ والعادات، كيف اتحدت معاً بصورة إلهية في وحدة روحية أنهت على كل الفوارق والتَعدُّدات الشكلية مرة واحدة وبقوة سرِّية فائقة دون أي معونات أو تعليم، أقول ارجع لجماعة المسيحيين الأوائل بعد يوم الخمسين واسمع كيف صاروا بالحقيقة واحداً في المسيح:

+ «جميع الذين آمنوا (من كل الجنسيات والبلاد) كانوا معاً، وكان عندهم كل شيء مشتركاً، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج. وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، وإذ هم يكسرون الخبز (الإفخارستيا) في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مُسبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب. وكان الربُّ كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون...

وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً. وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أع ٢: ٤٤-٤٧؛ ٤: ٣٢،٣٣).

وهكذا، وبهذه الصورة، وعلى هذا الأساس، قامت كنيسة الله الواحدة.

سر الإفخارستيا هو سر الكنيسة:

رأينا بوضوح أن التناول من الجسد والدم، يُنتِج بالروح والإيمان شركةً مع المسيح وقبول الحياة الأبدية. كما رأينا أن الجماعة المؤمنة إذا تناولت من الجسد والدم تدخل سرّاً في وحدانية معاً وبالمسيح. ثم عقَّبنا على هذا، أن الكنيسة قامت على أساس التناول من الجسد الواحد والدم الواحد الذي ربطهم في المسيح برباط الإيمان والحب العامل لرفع الفوارق.

وهكذا، وبمنتهى الاختصار، يصبح المنطق الإيماني الإلهي أنه إذا غاب عنصر الوحدانية الأخوية من الكنيسة القائمة - أصلاً - على إلغاء الفوارق والمحبة الصادقة بسبب التناول من الجسد الواحد والدم الواحد ونوال الروح الواحد؛ فهذا بالتالي يكشف في الحال عن عجز خطير في فهم وممارسة التناول من جسد المسيح ودمه الذي أكَّد المسيح نفسه أنه «مأكلٌ حقٌّ ومشربٌ حقٌّ»، الذي تفسيره أنه على مستوى إلهي مهيب.

شروط التناول من الجسد والدم
على مستوى الحق الالهي بحسب بولس الرسول:

بولس الرسول بعد أن أعطى الجسد والدم الصفة الإلهية المطلقة التي للمسيح، نسمعه يُعطي التحذيرات المخيفة للمتهاونين الذين يقتربون من هذا السر وهم على غير استحقاق له، لا من جهة أعمال أو ممارسات، بل من جهة عدم الإيمان بلاهوت المسيح أولاً ولاهوت الجسد والدم بالتبعية:

+ «إذاً، أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه» (١كو ١١: ٢٧).

هنا نعت الإنسان الذي يقترب من السر الأقدس، بدون استحقاق، أنه يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، بمعنى أنه يكون قد أساء لقداسة ولاهوت هذا السر الرهيب.

وبولس الرسول يفسِّر سبب حسبان مَنْ يتناول بغير استحقاق أنه يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، بقوله بوضوح إنه حينما يتقدم إلى الجسد والدم دون **أن يميِّز** بين أكل الخبز العادي وشرب الخمر العادي، وبين التناول من حقيقة جسد الرب ودمه الإلهيَّين: «لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه **غير مميِّز** جسد الرب» (١كو ١١: ٢٩). بمعنى أن الشرط الواحد والأعظم ليكون الإنسان على استحقاق أن يتقدَّم للتناول من الجسد والدم، هو أن يكون على وعي روحي إيماني صادق بماهية التحوُّل السرِّي الذي يُحدِثه المسيح بنفسه في الخبز والخمر، ليصيرا جسداً ودماً له وفيهما الغفران والحياة الأبدية. فالذي ينكر هذا

التحوُّل أو يتجاهله يكون كمَنْ يتجاهل المسيح ويجترئ على التعامل معه كإنسان ساذج وهو الإله.

وبولس الرسول يعطي المشورة لتصحيح وضع المتقدِّم للتناول من هذا السر:

+ «لكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس» (١كو ١١: ٢٨).

ومن أقوال القديس بولس هذه عن سر الجسد والدم، ندرك بوضوح أن هذا القديس والرسول كان على وعي فائق بسرِّ الإفخارستيا، وكان يعتبره بحال المسيح نفسه قائماً على المائدة ليكسر من جسده ويُعطي بيديه ويعتصر من دمه ويسقي من الكأس. وهذه النظرة الإلهية العالية رفعت هذا القديس إلى حال من التقوى ومخافة الله، وبآن واحد، من الحب والدالة والاستنارة لم يجاره فيها أحد، لا من قبل ولا من بعد.

أما قصدنا من هذا، فهو أن نوحي إلى القارئ أن في ممارسة هذا السر بهذا التحفُّظ والوعي والتمييز والمهابة اللائقة يكون أساس التقوى الحقيقية التي تُلهم الإنسان السلوك وكأنه في حضرة الله الدائمة، لأن مَنْ يحتفظ بجسد المسيح ودمه في قلبه يكون كمَنْ يحتفظ بالحياة الأبدية وقد ارتبط بسرِّ الخلود.

هذا سر "أنا هو خبز الحياة"!!

ويا لعمق هذا السر،

ويا لسعد مَنْ دخل هذا العمق!!

(سبتمبر ١٩٩٤)

- ١٥ -
"أنا هو الكرمة الحقيقية، وأبي الكرَّام"
(يو ١٥: ١)

ἐγώ εἰμι ἡ ἄμπελος ἡ ἀληθινή,
καὶ ὁ πατήρ μου ὁ γεωργός ἐστιν

«أنا الكرمة الحقيقية، وأبي الكرَّام»:

هنا إضافة "وأبي الكرَّام"، أعطت لـ "أنا الكرمة الحقيقية" معنىً آخر جانبياً غير ظاهر. لأن صفة "أبي" بحد ذاتها تعني الله بالنسبة للمسيح الابن. ولكن أن يُعطي المسيح لله الآب صفة الكرَّام أو وظيفته، يعني أن يكون الآب هو زارع الكرمة وصاحبها كمجرد شجرة، وهذا ينفي أن يكون المسيح هو الكرمة إلا على مستوى الجسد، وإلا يكون قد أعطى لله الآب صفة زرع الابن، وهذا خروج عن اللاهوت.

قول المسيح: «أنا هو الكرمة الحقيقية»، إنما يقصد بها كرمة حقيقية غير الكرمة الكاذبة أو التي لا تستحق أن تُدعى كرمة. إذاً، أصبح علينا الآن أن نتعرض للكرمة التي فسدت وفقدت صدقها وحقيقتها.

معروف أن شعب إسرائيل المحسوب أنه شعب الله كان قد تُسمِّي من

الله بـ "الكرمة"، ولكن بامتياز أن الله هو زارعها أو هو الكرَّام بنفسه وصاحبها. وإليك الآيات التي تكشف عن مدى امتياز هذه الكرمة في البداية:

+ «وأنا قد غرستُكِ كرمة سُورَق (مثمرة)، زَرْعَ حقٍّ كلها (تماماً)» (إر ٢: ٢١).

وتاريخ زراعة الله لهذه الكرمة أي شعب إسرائيل يبدأ من مصر، ثم نقلها إلى فلسطين وأباد شعوباً برمتها وأصَّلهم في الأرض، فتأصَّلوا ونموا نمواً عظيماً تحت رعاية الكرَّام:

+ «كرمةً من مصر نَقَلْتَ، طردتَ أُمماً وغرستها. هيَّأتَ قدَّامها فأصَّلَتْ أُصولها فملأت الأرض. غطَّى الجبال ظلُّها وأغصانُها أَرْزَ الله. مدَّت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها...» (مز ٨٠: ٨-١١).

وكانت الكرمة التي زرعها الله وأصَّلها في الأرض وامتدت وأثمرت موضع إعجاب الله ومسرَّة نفسه، لأن الله أحب شعب إسرائيل حبّاً قوياً:

+ «لما كان إسرائيل غلاماً **أحببتُه**، ومن مصر دعوتُ ابني» (هو ١١: ١).

وهذا الحب دخل تحت مضمون الكرمة، فأصبح حب الكرمة، والكرمة المشتهاة:

+ «لأُنشِدَنَّ عن حبيبي نشيد مُحبِّي لكرمه، كان لحبيبي كرمٌ على أكمة خصبة، فنقبه ونقَّى حجارته، وغرسه كرم سُورَق، وبنى بُرجاً في وسطه، ونقر فيه أيضاً معصرة...» (إش ٥: ١،٢).

وأيضاً:

+ «... غنُّوا للكرمة المشتهاة (ويأتي مُشْتَهَى الأمم "على المسيح") أنا الرب حارسها، أسقيها كل لحظة لئلا يُوقَع بها، أحرسها ليلاً ونهاراً» (إش ٢٧: ٢،٣).

ولقد تمادى الله في حبه لشعب إسرائيل حتى أعطاه لقب "ابن" له، بل وتمادى أيضاً وأعطاه لقب "البكر" أي قبل كل الشعوب:

+ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، فقلتُ لك: أطلق ابني ليعبدني...» (خر ٤: ٢٢،٢٣).

وقد أعطى الله بالفعل تشبيهاً عاطفياً شديد الإعزاز لمستوى محبته لشعب إسرائيل في البداية، هكذا - وهنا الرب هو المتكلِّم

+ «وفي البرية حيث رأيتَ كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسانُ ابنَه في كل الطريق...» (تث ١: ٣١).

ومن جدِّية التعبير وتكرار أوصافه مرات كثيرة يتبين لنا أن هناك خطةً وتدبيراً من نحو الشعب لابد وأن تظهر بوضوح يوماً ما في المستقبل. فهنا ليس مجرد أوصاف أو تشبيهات، بل إن الله أظهر شعوره بشيء من اليقين، حتى إن شعب إسرائيل أحسَّ بذلك وأخذ ذلك تكأة لتكوين دالة مع الله ظلت قائمة بالرغم من عصور الجفاء، واستمر يتغنَّى بها الأنبياء مرَّة برجاء العودة لأيام القِدَم، ومرَّة بالنواح والنحيب على أيام حب مضى وذكرى عشق ولَّى واندثر.

ولكن الذي يستلفت نظرنا بشدة هو اقتران صفة الابن البكر بصفة الكرمة، فهما يتعانقان معاً دائماً لتكوين ضفيرة ازدواجية متحدة بصورة سرِّية نادرة: الكرمة المشتهاة، والابن المحبوب. ومن هذا الازدواج في الصفة والتعبير نلمح قصداً دفيناً من الله لتجميع شعبه في واحد. فالكرمة أعظم مَثَل لذلك، لأن فروعها الكثيرة ملتحمة في وحدانية عضوية، ثم يعود ويعطيها صفة الابن أيضاً، وهذا يوحي بالنية المبيتة أنْ يدخل الشعب في صلة انتسابية له يأخذ فيها امتياز الانتساب الفعلي لله عن واقع وليس عن مجاز.

هذا واضح للغاية كمشروع بدأ الله به في تعامله مع الشعب في أول حياته. ولكن للأسف فالإنسان هو الإنسان، والله هو الله. فكل هذا التخطيط من قِبَل الله توقف، وتبدد المشروع لرداءة معدن الإنسان عامة وليس شعب إسرائيل فحسب الذي ارتكب في المقابل أنواعاً من العناد والصدود والمقاومة والعصيان: «حوَّلوا نحوي القفا لا الوجه» (إر ٢: ٢٧)، «طول النهار بسطتُ يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو ١٠: ٢١)، «أين كتاب طلاق أُمكم» (إش ٥٠: ١)؟!!

فلم يكن الشعب أبداً عند حسن ظن الله، وارتكب من الفجور ما جعل الله يَغُضُّ الطَرْف عنهم ويوقف مشروعه البديع إلى حين. وهذا واضح في روايات الأنبياء عن هذا الحب المطعون والعناية المرفوضة، فإشعياء النبي يُوصِل التغنِّي بالكرمة مع رثائها في مقطع واحد: «لأُنشِدَنَّ عن حبيبي نشيد مُحبِّي لكرمه... فانتظر أن يصنع عنباً، فصنع عنباً رديئاً...» (إش ٥: ١،٢). ويكمل إشعياء أيضاً في نفس

المقطع شكوى الله المُرَّة من الشعب، ثم تصميمه على هدم الكرمة المشتهاة وتسويتها بتراب الأرض:

+ «والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا، احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يُصْنَع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً، صنع عنباً رديئاً. فالآن أُعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي: أنزع سياجه (أرفع عنه العناية الإلهية)، فيصير للرعي (نهباً لكل الشعوب). أهدم جدرانه (يفقد وحدته وصلابته)، فيصير للدَوْس (احتقار الشعوب). وأجعله خراباً لا يقضي ولا يُنْقَب (أي لا يعود إلى أيام شبابه)، فيطلع شوكٌ وحسكٌ (تصير أُمة مشاكسة رديئة بلا فائدة). وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً (أي ترتفع رحمة الله عنه)» (إش ٥: ٣-٦).

هذه الشكوى والوعيد بالكارثة مع شهود رجال إسرائيل ويهوذا أنفسهم، توضِّح جداً تبرير موقف الله في كل ما اتخذه من تأديب وعقاب. ثم يعود إشعياء ويلخِّص الأمر كله هكذا: «إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل، وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانْتَظَرَ حقاً، فإذا سفك دم، وعدلاً فإذا صراخٌ» (إش ٥: ٧).

وهكذا استطاع هذا الشعب "الغبي" أن يُقاوم تدبير الله (تث ٣٢: ٦) حسب وصف موسى:

+ «إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم. كيف يَطْرُد واحدٌ ألفاً ويهزم اثنان ربوة، لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم، لأنه ليس كصخرنا صخرهم... لأن من جفنة (كرمة) سدوم جفنتهم

ومن كروم عمورة، عنبهم عنبُ سمٍّ، ولهم عناقيد مرارة، خمرهم حُمَة الثعابين وسمُّ الأصلال القاتل. أليس ذلك مكنوزاً عندي، مختوماً عليه في خزائني... لأنه... يصفح عن أرضه عن شعبه» (تث ٣٢: ٢٨-٣٤،٤٣).

إذاً، قد توقف المشروع الذي كان موضع مسرة الله. فالشعب ليس على مستوى كرمة الله، ولا هو على مستوى الابن. لقد خرَّب الإنسان مقاصد العليِّ بجهالاته ونجاسات قلبه، وانكشف معدن الإنسان الخسيس الذي يستحيل أن يطعَّم على معدن الله: «كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إش ٥٥: ٩).

ولكن هل يستكين الله ويقبل بالفشل تحت حكم واقع طبيعة الإنسان؟ مستحيل.

استعادة مشروع الكرمة، ولكن على يد الابن الوحيد

نحن الآن في العهد الجديد، والمسيح هو المتكلِّم:

«أنا الكرمة الحقيقية، وأبي الكرَّام»:

تمهيد:

هكذا انكشف قصد الله الأزلي أن يكون شعبه على مستوى الكرمة، وعلى مستوى الابن، وإذ حاول الله تطبيقه على شعب إسرائيل مع كل العناية والجهد، إلاَّ أن الشعب فشل بسبب معدن الإنسان غير القابل أن يلتحم بمعدن الله. وهكذا أرسل الله ابنه

الوحيد ملتحماً مع طبيعة الإنسان ليرفع قدرات طبيعة الإنسان لتكون على مستوى طبيعة الله، فيجمع الشعب ويوحِّدهم بذاته كابن الله المتجسد، ليصير الشعب بالابن كرمة الله بالدرجة الأولى وعلى مستوى الحق الكلّي!! «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو ١٥: ٥)!!

ولكن الابن - متجسِّداً - بحد ذاته هو "الكرمة الحقيقية"، فبالتالي وبالضرورة الحتمية، تكون الأغصان في الكرمة الحقيقية، أغصاناً حقيقية بحكم الاتحاد! ولكن "الكرمة الحقيقية" هو "الابن". إذاً، فقد صارت الأغصان أي شعب الله، هو "الكرمة" وهو "الابن" - بآن واحد - ولكن بواسطة الاتحاد بالابن الوحيد. وهكذا نفَّذ الله مشروعه الذي دبَّره منذ الأزل وخطط له في كل العهد القديم.

وبِقَوْل المسيح: «وأبي الكرَّام»، يكون قد نسب لله الآب كل أعماله في مشروع إقامة الشعب على مستوى الكرمة الحقيقية! ليصبح يهوه، كالقديم، صاحب الكرمة بصورتها كشعب الله. فالابن صنعها من دمه وسلَّمها لله ليرعاها.

تحقيق:

«أنا الكرمة الحقيقية، وأبي الكرَّام»:

وتصحيح القول حسب النص اليوناني يلزم أن يكون: «أنا هو - الكرمة الحقيقية»، حيث "أنا هو"، كما سبق وقلنا مراراً، هو لقب يهوه أو اسمه الرسمي الذي يفيد "أنا الكائن بذاتي"، لأن "هو" ليس ضميراً بل فعل كينونة في الأصل العبري واليوناني "I am the

"being". معنى هذا أن المسيح يعلن أو يستعلن ذاته أنه هو "يهوه الله" بحسب العهد القديم.

وقوله "**الحقيقية**" ἀληθινή هي أيضاً صفة الله، وهكذا ينسب الكرمة بنسب إلهي بمعنى أنها ليست كرمة إسرائيل المرفوضة، بل كرمة دخلها عنصر إلهي بنوي ليرفع مستوى الشعب ليليق أن ينتسب لله، فيصير شعب المسيح حقاً هو شعب الله المهيَّأ للاتحاد بالله بالنهاية.

ثم ينكشف من قول المسيح إنه "**الكرمة**"، قصد الله الأزلي كيف يصنع مع شعبه عهداً جديداً بدم ابنه! وهذا استُعلن بصورة سرية وفائقة للغاية، حينما مزج المسيح خمراً في كأس وقال: "هذا هو العهد الجديد بدمي..."، وذاق وأعطى لتلاميذه!! وزاد هذا الاستعلان وضوحاً في إنجيل القديس لوقا حينما قال المسيح ليلة عشاء الفصح الأخير: «ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم، لأني أقول لكم إني لا أشرب من **نتاج الكرمة** حتى يأتي ملكوت الله... **هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم**...» (لو ٢٢: ١٧-٢٠).

وصف كيف يصنع المسيح شعباً مقدَّساً لله؟

مهَّد المسيح لذلك بضرورة ثبوت الأغصان في الكرمة وإلاَّ تصبح عديمة النفع: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن **الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته** إنْ لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إنْ لم تثبتوا فيَّ» (يو ١٥: ٤). الثمر هنا هو الأعمال التي تمجِّد الله التي

من أجلها زُرعت الكرمة أصلاً!!

هذه هي الدرجة الأولى أو نقطة الابتداء في تكوين شعب الله المكني عنه بالكرمة والابن!!

فثبوت كل مؤمن في المسيح هو بداية حركة التجميع العظمى، ثم وحدة الشعب في الابن لحساب الله: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» (يو ١٧: ٢١). لأن بثبوت أي مؤمن في المسيح، فهو بالتالي ودون أن يدري أو يعمل، يصير متحداً بكل الذين ثبتوا في المسيح. ومن هنا تنشأ المحبة الأخوية الصادقة عديمة الغش نتيجة اتحاد كل مؤمن في المسيح، فيصير المؤمنون واحداً بالحب في المسيح، والمسيح يعود ويتمادى في الوصف السالبي ليوضِّح كيفية إخفاق الأشخاص وخروجهم عن دائرة المسيح كلية: «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً (وبالأخص فإن محاولة "حب بعضكم بعضاً" مستحيلة بدون المسيح). إنْ كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» (يو ١٥: ٥،٦). فاتحاد الإنسان بالمسيح على مستوى الثبوت، يؤمِّنه ضد الانفصال من وحدة شعب الله، ويؤمِّنه من الهلاك.

«أنا الكرمة وأنتم الأغصان»:

بعد أن مهَّد بحالة الغصن من جهة الثبوت المتبادل والإثمار، خرج المسيح بهذه الحقيقة المدهشة، وهي وحدة الكرمة والأغصان. وهنا معنى سرِّي مُخْتَفٍ، إذ أن الأغصان هنا أخذت صفة الكرمة بالضرورة، لأنك إذا نظرت كرمة كبيرة لا ترى فيها إلاَّ الأغصان.

فكلمة "أنا" هنا، هي في الحقيقة مختفية غير ظاهرة. فالذي يرى من الشعب المثمر الثابت في المسيح هو الأفراد، وكل واحد منهم ماسك بالمسيح في قلبه سرّاً. فالمسيح موجود في كل واحد بالسرِّ.

إذاً، فالمسيح نجح أن يصنع لله الآب كرمة عظيمة ممتدة تملأ الدنيا، والمسيح مختفٍ في قلب كل واحد منهم.

سر ثبوت الأغصان في الكرمة:

لا يثبت الغصن في الكرمة من الخارج بل من الداخل، والأصل هو العصارة التي تسري من الكرمة للفرع فتنميه وتزيده التصاقاً وقوة وتمدُّه بالثمار. ومن هذا المنظور يأتي سر ثبوت الأشخاص في المسيح، فالعصارة هنا هي في الكأس أي الخمر المتحوِّل بالتالي إلى عصارة المسيح الحقيقية أي "دمه". فالذي يؤهَّل بالسرِّ للتناول من دم المسيح يسري فيه الدم كما تسري العصارة في الفرع للثبوت والإثمار، حتى إن الكنيسة جعلت التناول من الدم ضمن سر التثبيت. وبالنهاية، يعني أن المؤمنين إذ يتناولون من سر الدم يتَّحدون في المسيح ويصيرون أعضاء حقيقيين في جسد المسيح بهيئة الأغصان في الكرمة. وبهذا تكونت الكرمة الحقيقية الحاملة سر الوجود الإلهي، أو الشعب المقدس المتحد بالمسيح والحامل لسر حضور الله الدائم بالابن.

وبهذا يكون المسيح قد أكمل مشروع يهوه القديم الذي توقف بسبب عدم لياقة معدن الإنسان أن يلتحم بمعدن الله ليحمل لقب الابن. وواضح أن نجاح المشروع تم على أساس تجسُّد ابن الله، أي تنازل من جهة الله ليبدأ هو بذاته عملية الالتحام بالطبيعة البشرية

ليؤهلها عن جدارة لحمل لقب الابن بالامتياز.

اكتمال مسرّة الله في الكرمة المشتهاة، والابن الذي اختاره لنفسه:

والآن إذا عُدنا لنقرأ النبوة القديمة الناطقة في المزمور ٨٠ بما سيجيء بعد ذلك، نعجب كيف نجح الله في تكميل مسرة نفسه كما خطط ورسم منذ الأزل؛ وما أخفق فيه الإنسان على مستوى شعب إسرائيل، نجح فيه الإنسان يسوع المسيح على مستوى ابن الله، هكذا:

+ «يا إله الجنود أرجعَنَّ، اطَّلعْ من السماء، وانظر وتعهَّد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينك **والابن الذي اخترته لنفسك**... لتكن يدك على **رَجُل يمينك** وعلى **ابن** آدم (ابن الإنسان) الذي اخترته لنفسك، فلا نرتدَّ عنك، أحْيِنَا فندعو باسمك. يا رب إله الجنود أرْجِعنا، أنِرْ بوجهك فنخلص» (مز ٨٠: ١٤-١٩).

وليلاحظ القارئ هنا قول النبي عن الابن لكي يعرِّفه أنه ابن الله بقوله: "رجل يمينك"، وهي تشير إشارة نبوية متقنة إلى المسيح الذي جلس في النهاية عن يمين الله.

هنا رؤية النبي اخترقت سحب المستقبل لألف سنة لترى الشعب هنا ممثَّلاً في ابن اختاره لنفسه وهو - بآن واحد - رجل على مستوى البشر، ولكن بقوله "رَجُل يمينك" عرَّفه بأنه ابن الله بالضرورة وابن آدم بالتحديد (ابن الإنسان)، ثم يدعو النبي عن

خبرة أليمة أن لا نرتد عن الابن الذي اختاره لنفسه كما ارتد شعب إسرائيل ففقد اللقب وتحطمت الكرمة! ولكن هنا يُطَمْئِن الرب يسوع هذا النبي على بُعْد الألف سنة قائلاً: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩)، ردّاً على قوله "أحْينا فندعو باسمك": «في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولستُ أقول لكم: إني أنا أسأل من أجلكم، لأن الآب **نفسه يحبكم** لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت، خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يو ١٦: ٢٦-٢٨).

لقد أكمل المسيح مسرة الآب بأن صالح الإنسان بالله: «أي إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه» (١كو ٥: ١٩)، وربط الشعب بالله برباطٍ أبدي بأن وهبه روح بنوته لله. فصار الشعب موضوع مسرة الآب «**الآب نفسه يحبكم**»! وهكذا تمت مسرة الله في الإنسان ودعاه ابناً عن جدارة ومثمراً بالروح كالكرمة المشتهاة.

اسمع ما يقوله بولس النبي الجديد برؤيته التي امتدت إلى ما قبل الزمان قبل تأسيس الأرض:

+ «كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ **سبق** فعيَّننا **للتبنِّي** بيسوع المسيح **لنفسه** حسب **مسرة** مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١: ٤،٥).

هذا هو المشروع الأزلي الذي صمَّمه الله حسب مسرة نفسه، وفشلت محاولة تنفيذه في إسرائيل كتجربة للكرمة والابن، ولكن لم يهدأ الله حتى أكمل ما اشتهاه بيسوع المسيح ابنه الحبيب الذي

أكمل العهد الجديد بدم الكرمة بالنسبة للإنسان لكي يقف أمامه بحال القداسة ليمدح مجده أبد الدهر.

وبهذا يتضح أمامك، أيها القارئ العزيز، كيف بدأ الله مشروع الكرمة والابن لحساب الإنسان منذ قبل تأسيس العالم.

إذاً، فدعوة الله لإسرائيل أن تقوم بدور الكرمة المشتهاة والابن البكر، والتي أخفقت فيها، لم تكن محدثة، بل كانت أول إرهاصة (تصميم الأساس) في إخراج المشروع الأزلي الذي بَقِيَ معلَّقاً حتى جاء الابن الحقيقي وحمل رسالة الكرمة الحقيقية وسقى البشرية من عصارة الكرمة التي - بآن واحد - هي دم الابن الوحيد. فحمل الإنسان المفدي هيكل الكرمة المشتهاة وهيكل الابن الوحيد بآن، فأكمل مسرة مشيئة الله الأزلية، ودخل هو في فرح الله الأبدي: «ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٤).

(أكتوبر ١٩٩٤)

- ١٦ -

"حمل الله"

(يو ١: ٢٩)

ὁ ἀμνὸς τοῦ θεοῦ

«هوذا حمل الله»:

+ «وفي الغد نظر يوحنا (المعمدان) يسوع مُقْبِلاً إليه، فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩).

لو ألقينا نظرة خاطفة على ألقاب المسيح الكثيرة، نجد أن كل لقب يتجه للإعلان عن صفة أو رسالة أو علاقة خاصة بالله، من جهة؛ وبالبشرية، من جهة أخرى؛ أو بالخليقة كلها، ككل. فلقب "ابن الله" يكشف الصلة الذاتية بالله، و"ابن الإنسان" يُعلن عن علاقة شديدة بالإنسان اتخذه المسيح ليخفي به حقيقة "المسيَّا" الآتي إلى العالم - وبآن واحد - يستعلن العلاقة الداخلية التي تربطه بالإنسان. و"الكرمة" لقب يكشف عن واقع محبوب جداً للمسيح، وهو اتحاده اتحاداً سريّاً بالأخصاء: «أنا الكرمة، وأنتم الأغصان» (يو ١٥: ٥)، بحيث يصعب عليك أن تميِّز الحد الفاصل الذي يفصل الكرمة عن الأغصان، فالاتحاد وثيق ومتبادل. كذلك لقب "أنا هو خبز الحياة" (يو ٦: ٤٨)، وهو أيضاً من الألقاب السرِّية التي يحبها المسيح جداً، وهو يهدف إلى إمكانية إعطاء جسده للبشرية لتأكل منه وتحيا. هكذا أيضاً لقب "حمل الله".

فهنا يتَّجه لقب المسيح اتجاهاً شديداً ومباشراً نحو الصليب. فلا وظيفة للحَمَل في تدبير الله إلا أن يكون ذبيحة، وأساس الذبيحة في العهد القديم - على وجه عام - هو **تغطية الخطية**. لذلك حرص المعمدان أن يعطيه صفة تحدِّد قوة عمل الذبيحة في العهد الجديد، فقال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩).

وفي الوقت الذي كان يُقدَّم فيه الحمل كل يوم صباحاً ومساءً، ومئات بل وألوف الحِملان في الذبائح للمناسبات المتعددة، مما يشير إلى عدم كفاية حَمَل العهد القديم؛ نجد المعمدان هنا يشير إشارة واضحة إلى المسيح أنه حملٌ واحدٌ قادرٌ أن يرفع كل الخطايا لكل الشعوب في العالم. كيف؟ هنا أعطى المعمدان للحمل قوته وسلطانه الإلهي الفائق بقوله: «هوذا حمل "الله" الذي يرفع خطية العالم». كان في العهد القديم يُقدَّم حَمَلُ الناس لله، ولكن المذهل للعقل أن هنا في العهد الجديد يُقدَّم "حَمَلُ الله" للناس!!! أو من أجل الناس!!

وإذ نحن بصدد الذبيحة، والذبائح، يتحتم علينا أن نُعطي للقارئ صورة مختصرة للغاية عن ما هي الذبائح في العهد القديم، وما هو عملها؟ ونلقي ضوءاً خاصاً على ذبيحة الحمل الذي كان يسمَّى الخروف.

الحمل في الذبائح اليهودية:

١. أول وأهم ذبيحة في العهد القديم: «وهذا ما تقدِّمه على

المذبح: خروفان حوليَّان[1] كل يوم دائماً. الخروف الواحد تقدِّمه صباحاً، والخروف الثاني تقدِّمه في العشية... **محرقة دائمة في أجيالكم**... حيث أجتمع بكم لأُكلِّمك هناك، وأجتمع هناك ببني إسرائيل، فيُقدَّس (الشعب) بمجدي» (خر ٢٩: ٣٨-٤٣).

(لينتبه القارئ على وضعنا الآن، فنحن نقيم الذبيحة الإلهية في قداس الصباح، حيث نجتمع بالله ونسمع كلمته ونتقدَّس).

على أن في يوم السبت كانت تُضاعف ذبيحة المحرقة (عدد ٢٨: ٩،١٠).

ونقول إن هذه المحرقة اليومية كانت أهم وأخطر ذبيحة عند اليهود. فإذا توقفت هذه الذبيحة لسبب ما فإن هذه تكون أعظم مأساة في حياة اليهود؛ كما حدث في أيام أنطيوخس إبيفانس حينما خرَّب لهم الهيكل، حيث قوبل هذا بالبكاء والنحيب من كافة الشعب إذ كان هذا معناه غضب الله. ولكن الضربة القاضية والغضب الشامل الذي لم يُرفع حتى الآن حدث لما توقفت الذبيحة وإلى الأبد في ١٧ من شهر يوليو (تموز) سنة ٧٠م، حينما حوصرت أورشليم وأُحرق الهيكل وتشتت الشعب.

٢. «**في رؤوس شهوركم** تقرِّبون محرقة للرب... وكبشاً واحداً

---

(١) الحَوْل هو السنة، والخروف الحُوْلي هو الذي عمره سنة.

وسبعة خراف حولية.» (عدد ٢٨: ١١).

٣. **ذبيحة النذير**: «وهذه شريعة النذير... يقرّب قربانه للرب خروفاً واحداً حوليّاً صحيحاً...» (عدد ٦: ١٣،١٤).

٤. **ذبيحة التطهير**: خروف حولي محرقة (لا ١٢: ٦-٨).

٥. **ذبيحة تدشين المذبح**: «... وخروف واحد حَوْليٌّ لمحرقة... ولذبيحة السلامة ثوران وخمسة كباش وخمسة تيوس وخمسة خراف حَوْليَّة» (عدد ٧: ١-٨٣).

٦. **ذبيحة الأعياد** الخاصة بمواسم الزراعة: يُقدَّم خروف يوم ترديد حزمة الحصاد (لا ٢٣: ١٢).

٧. **ذبيحة يوم الخمسين وفي عيد البكورات وعيد الأبواق**: يُقدَّم سبعة خراف محرقة وخروفان حوليان ذبيحة سلامة (لا ٢٣: ١٨-٢١).

٨. **ذبيحة المناسبات الخاصة** بالله مثل الإعداد لبناء الهيكل بيد داود: ألف ثور وألف كبش وألف خروف (١أي ٢٩: ٢١).

٩. **وفي أيام حزقيا الملك بعد تطهير الهيكل**: قدَّم سبعة خراف حولية ذبيحة خطية ومئتيْ خروف حولي ذبيحة شكر (٢أي ٢٩: ٢١-٣٢).

١٠. **ذبيحة التجديد** في أيام يوشيًّا: أعطى ثلاثين ألف خروف للفصح (٢أي ٣٥: ٧).

١١. **ذبيحة رجوع الشعب من السبي** في أيام عزرا الكاهن: ٩٦

كبشاً و٧٧خروفاً (عزرا ٨: ٣٥).

وقصدنا من هذا السرد، إعطاء ضوء واضح على أهمية ذبيحة الحَمَل في حياة الشعب تجاه الله، ومن هنا تظهر خطورة مناداة المعمدان مشيراً إلى المسيح أن هذا هو: «**حَمَلُ** الله الذي يرفع خطية العالم»، إذ يكون هذا معناه المناداة بعهد جديد قد أشرق بذبيحة واحدة يمثِّلها المسيح الواقف أمامه، تقوم عِوَض جميع ذبائح العهد القديم التي لم تستطع أكثر من أن تغطي أو تحجب مؤقتاً خطية مُقدِّمها أمام الله. أما هذا الحمل فهو بذبيحة نفسه سيرفع خطايا العالم مرة وإلى الأبد.

العنصر الأساسي في ذبائح العهد القديم:

تأسيس نظام الذبائح وضرورته للعبادة هو من وضع إلهي، ويقوم بالأساس على حقيقة واحدة هي أن "**الدم هو الحياة**": «غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه» (تك ٩: ٤)، «لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إيَّاه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، **لأن الدم يكفِّر عن النفس**» (لا ١٧: ١١)، «لكن احترز أن لا تأكل الدم، لأن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع اللحم. لا تأكله، على الأرض تسفكه كالماء» (تث ١٢: ٢٣، ٢٤).

ويلاحظ القارئ، أن اهتمامنا بشرح هذه الأمور هو بسبب أن اصطلاحات ومفردات الذبائح دخلت العهد الجديد كما هي وبكل قيمتها، مع رفع معناها إلى المستوى الإلهي، لأن الذبيحة في العهد الجديد إلهية بكل معنى. فدخل "**الدم**" بمفهومه أنه الحياة أو فيه

النفس الحية؛ وكلمة "الكفَّارة" التي هي فعل الدم؛ و"الفدية" وهي كالكفَّارة؛ و"دم العهد"؛ وكلمة "الذبيحة" ذاتها. هذه الاصطلاحات دخلت اللاهوت المسيحي.

القيمة الإلهية في ذبائح العهد القديم:

أ - الذبيحة على وجه العموم في الطقس اليهودي أعطت للإنسان فرصة أن يتقابل مع الله.

ب - كذلك في الذبيحة يشترك الله مع مقدِّمها، ففي الذبيحة يتلاقى الإنسان مع الله، ويشترك الله أيضاً في ذبيحته. فبذلك تصبح الذبيحة فرصة تصالحية وسلامية للإنسان مع الله، يحس الإنسان أثناءها أنه في موقف شرفي، حيث الإله والإنسان يشتركان معاً في لحم ودم الذبيحة. فالطقس ينصُّ على أن يُقدَّم من اللحم محرقة لله (الساق الرفيعة)، والباقي يأكله مقدِّم الذبيحة والكاهن. أما الدم فيؤخذ كله ويُصَب على مذبح الله.

ج - والقيمة الروحية للذبيحة، هي إعطاء الإنسان فرصة عملية يتقدَّم بها أو من خلالها إلى الله. ففي مفهوم العهد القديم الإنسان لا يقدِّم ذبيحة إلى الله، بل يتقدَّم إلى الله بذبيحته، فهي واسطة دخول إليه.

د - التقابل المستمر مع الله بواسطة الذبيحة يوقِظ ضمير الإنسان، وبهذا يتعدَّل سلوكه.

هـ - التأكيد على خطأ الخطية، وحفر الاحتراس والخوف منها في الضمير واعتبارها عقبة في سبيل إرضاء الله.

و - الالتجاء إلى الله دائماً بواسطة الذبيحة يوقِظ روح التوبة في الإنسان، فلا يُترك الإنسان يجاهد وحده مع نفسه ويتحمل مسئولية خطئه، فالالتجاء إلى الله بالذبيحة يعطيه فرصة للتعبير عن نفسه فترتاح روحه فيه.

ز - الحصول بواسطة الذبيحة على سلام داخلي، ولو أنه بثمن مادي، لذلك فهو مؤقت.

ح - في تقديم الذبيحة يُعطَى الإنسان فرصة للإحساس بأنه صار مقبولاً عند الله، وقد اغتسل من خطيته وتطهَّر من نجاساته بالدم، ولكن إذ يتكرر الخطأ يتحتم أن تتكرر الذبيحة. لذلك أصبحت كل الطقوس وقتية ومحدودة التأثير.

ط - بالذبائح الجماعية يتكون إحساس بالجماعة والانتماء إليها، وبالتالي يتكون الإحساس بالأمان الجماعي والرضا والافتخار بالجماعة، وهذا عامل تهذيبي إجتماعي فائق القدر لتهذيب النفس والجماعة للانتهاء بها أخيراً إلى وحدة الإيمان والحياة.

ي - الذي يقدِّم الذبيحة من ماله وصُلب حاله يشعر بإحساس البذل، وذلك تمهيدٌ ناجحٌ ليرتقي بعد ذلك إلى بذل النفس.

ك - أهم الذبائح:

فصح مصر والعبور من الموت إلى الحياة "بالدم" ومن العبودية إلى الحرية

لا يوجد في الذبائح ما يشبه ذبيحة الفصح في مصر، والذي كان أول فصح الذي ذُبح عند خروج شعب إسرائيل من مصر، فكان أول ذبيحة افتتح الله بها عهده مع شعب إسرائيل. وقصة الفصح في مصر شيقة، إذ كانت ختاماً للضربات العشر التي صنعها موسى بأرض مصر وتأذَّت منها البلاد جداً كما أحطَّت من كبرياء فرعون. وأخيراً، تدخل الله بنفسه ليُخرِج الشعب المذلول بالعبودية من مصر وليعطيه الحرية والنجاة. فأَمَرَ الله بأنه في العشاء يذبح كل بيت خروفاً ويمسح بدمه العتبة العُليا للأبواب والقائمتين: «فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بِكْر في أرض مصر من الناس والبهائم، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين، أنا الرب» (خر ١٢: ١٢). أما البيوت التي عليها علامة الدم **فيُعبر عنها عبوراً**، وهذا هو معنى الفصح. وكان الشهر هو شهر أبيب والرابع عشر منه، فأمرهم أن يكون هذا الشهر هو أول شهور السنة: «... ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتُعيِّدونه عيداً للرب، في أجيالكم تُعيِّدونه فريضة أبدية» (خر ١٢: ٦،١٤).

هذا هو أصل خروف الفصح لعيد الفصح، واسمه "بيساخ" أو "البصخة" أي العبور، بمعنى عبور الشعب من الهلاك إلى الحياة ومن العبودية إلى الحرية، بواسطة دم الخروف.

لذلك لما قال المعمدان مشيراً إلى المسيح، أن: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم»، فقد كان قوله إشارة إلى الفصح العتيد أن يكون من أجل خلاص العالم، من الموت إلى الحياة، ومن العبودية للخطية والشيطان إلى حرية مجد أولاد الله في المسيح.

الأخطاء التي وقع فيها الشعب ورؤساؤه في فهم الذبائح وإساءة استخدامها:

الآن وقد قدَّمنا ملخَّصاً لكل الذبائح، ثم قيمتها الإلهية التي قصدها الله في فرضها على الشعب، علينا أيضاً أن نعبر على أنواع إساءة فهم هذه الذبائح وسوء استخدامها، الأمور التي استحق الشعب عليها توبيخاً عنيفاً من الله بفم الأنبياء:

١. تدهور قيمة الذبائح بمرور الزمن، وتحوُّلها إلى فرائض تأتي نتائجها من تلقاء ذاتها. بمعنى أن الذبيحة تقدَّم عِوَض النفس وكأنها ضريبة أو كأن الله محتاج إليها أو أنها كفيلة بإرضائه، مع أن فلسفتها الروحية - كما سبق وقلنا - هي أن الإنسان لا يقدِّمها لله، بل **يتقدَّم بها إلى الله**، فهي واسطة وليست غاية. فإذا قدَّمها الإنسان عن نفسه وحسب، فإنه يخرج من أمام الله صفر اليدين؛ ولكن **إنْ هو تقدَّم بها إلى الله، فإنه يدخل مع الله في دالة ويخرج من لَدُنه فرحاً مبتهجاً وسعيداً.**

٢. هكذا انتهى الشعب إلى فهم أن الذبيحة هي لاسترضاء الله وحسب، مع أنها لا تخص الله بل تخص علاقة الإنسان بالله.

٣. كذلك فإن الشعب فَهِمَ أن قيمة الذبيحة هي في ذبحها وموتها وحسب، الأمر الذي تسحَّب في العهد الجديد على ذهن كثير من الناس وحتى اللاهوتيين بخصوص ذبيحة المسيح، مع أنه - كما سبق وقلنا - **يتقدَّم الإنسان إلى الله بالذبيحة**، لأن الله أمَرَ بها **ليشترك فيها مع مقدِّمها** لتكون وسيلة للشركة مع الإنسان. هذا هو الفهم اللاهوتي الصحيح فيما يخص ذبيحة المسيح بالدرجة الأولى. فنحن بالمسيح صرنا فيه شركاء مع الله وورثة.

٤. صار في اعتقاد الشعب أن دم الذبيحة يغفر الخطية من تلقاء ذاته طالما وُضِع على المذبح، مع أنَّ المنصوص عنه في لاهوت العهد القديم أنه عندما ينضح رئيس الكهنة دم الذبيحة على غطاء التابوت "الإيلاستيريون"، يكفِّر عن الخطية. بمعنى **تغطيتها فقط**، أي تغطية الخطية الواحدة التي اقترفها الخاطئ، تغطيتها من أمام وجه الله. ولكن لا يتعدَّى فعل دم الذبيحة إلى خطية أخرى لاحقة. ومن هنا جاءت كثرة الذبائح بلا عدد وهذا راجع لضعف قدرة دم الحيوان على رفع الخطية بأي حال: «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا» (عب ١٠:٤). لهذا فإن نداء المعمدان واصفاً المسيح: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم»، كان حدثاً جديداً فائق القوة لم يكن طقس العهد القديم يعرف معناه بعد.

٥. وأخيراً، فقدت الذبائح قيمتها الإلهية، إذ أصبح الشعب يستهين بها ويتشكك في معناها وقوتها، وذلك بسبب ابتعاد الكهنة

والمعلّمين جميعاً عن روح العهد القديم وصدق عبادة الله. وهكذا دخلت الذبائح ومعها التديُّن كله في مأزق وطريق مسدود انتهى بالضياع والبُعْد عن الله. وصارت الذبائح أفيونة الضمير وبديل البرِّ الحقيقي.

رفض الله للذبائح في وضعها القديم

أمام انزلاق الشعب مع رؤسائه إلى مستوى الحضيض وعجزهم عن بلوغ قصد الله الحقيقي من قيمة الذبائح وأصول العبادة، انبرى الأنبياء يُعلنون عدم رضا الله بأقوال شديدة للغاية وذلك منذ بدء القرنين السابع والسادس قبل الميلاد هكذا:

عاموس: (٥: ٢١-٢٧):

+ «بغضتُ، كَرِهتُ أعيادكم... إني إذا قدَّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مُسمَّناتكم لا ألتفت إليها. أبْعِدْ عني ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع... هل قدَّمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل؟ بل حملتم خيمة "مَلْكُومِكم" وتمثال أصنامكم، نجم إلهكم الذي صنعتم لنفوسكم. فأسبيكم إلى ما وراء دمشق، قال الرب...».

هوشع: (٦: ٦،٧):

+ «إني أُريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات، ولكنهم كآدم تعدَّوا العهد، هناك غدروا بي».

إشعياء: (١: ١١-١٥):

+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الرب. اتَّخَمْتُ من محرقات كباش وشحم مُسمَّنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دُورِي. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهة لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أُطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليَّ ثِقَلاً، مللتُ حملها. فحين تَبسطون أيديكم أستُر عينيَّ عنكم، وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دماً».

ميخا: (٦: ٧،٨):

+ «هل يُسَرُّ الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت... قد أخْبَرَك أيها الإنسان ما هو صالح؟ وماذا يطلبه منك الرب؟ إلاَّ أن تصنع الحق وتُحبَّ الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك».

إرميا: (٧: ٩-١١،٢١):

+ «أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخِّرون للبعل... ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دُعِيَ باسمي عليه وتقولون قد أُنْقِذنا، حتى تعملوا كل هذه الرجاسات. هل صار هذا البيت الذي دُعِيَ باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم؟... ضُمُّوا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً».

هكذا ألغى إرميا العبادة مع الذبائح تمهيداً للجديد.

إرميا: (٣١: ٣١-٣٤):

+ «ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**، ليس كالعهد الذي قطعته مع

آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي، فرفضتهم يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً... لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب، لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد».

فصح مصر والعبور من الموت إلى الحياة "بالدم" ومن العبودية إلى الحرية

الحَمَل الذي يذكره المعمدان هنا - بصفته حَمَل الله - هو بحسب الكنيسة حمل الفصح، كما أعلنها بولس الرسول بالصوت العالي: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥: ٧). فلا شك أن المعمدان رآه بالعين المفتوحة مذبوحاً على خشبة الصليب وحاملاً في جسده خطايا العالم، وكما يقول الكتاب: إن «أرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١كو ١٤: ٣٢). لهذا تكلَّم المعمدان عن المسيح كحمل، ولا أحد من الأنبياء رآه وتكلَّم عنه كحمل الله المذبوح إلاَّ إشعياء، فقد رآه وديعاً يُساق إلى الذبح والرب وضع عليه إثم جميعنا. ولما قال إشعياء إن الرب سُرَّ أن يسحقه بالحزن (إش ٥٣: ١٠)، أدرك المعمدان أنه حمل الله لا محالة.

أما بطرس الرسول الذي فتح المسيح ذهنه ليفهم المكتوب، فقد رأى الحمل مذبوحاً قبل تأسيس العالم في تدبير الآب وبحسب خطة

الخلاص العظمى وعمل الفداء المعدّ: «أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دمِ المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم...» (١بط ١: ١٨-٢٠).

وحمل إشعياء حقّقته الكنيسة بالروح أنه المسيح على يد فيلبُّس الشماس لما سأله الخصي وزير كنداكة ملكة الحبشة، حينما كان يقرأ سفر إشعياء ووقف عند نقطة: «**مثل شاةٍ سِيقَ إلى الذبح**[٢]، **ومثل خروف**[٤] **صامت أمام الذي يجُزُّه هكذا لم** يفتح فاه» (أع ٨:٣٢)، «أطلب إليك عن مَنْ يقول النبي هذا، عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبُّس فاهُ وابتدأ من هذا الكتاب، **فبشّره بيسوع**» (أع ٨: ٣٤،٣٥).

أما إنجيل يوحنا، فترك المجال للمسيح يتكلم عن نفسه كخروف الفصح الأبدي على مستوى الاستعلان: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية» (يو ٦: ٥٤)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦). بهذا أثبت المسيح أنه حقاً فصح الحياة الأبدية.

واضح هنا ما سبق وألمحنا إليه، أن الخاطئ لا يقدِّم ذبيحته إلى الله، بل يتقدَّم إلى الله بالذبيحة، حيث التطابق هنا في ذبيحة المسيح

---

(٢) "الشاة والخروف" عند إشعياء، هي في الترجمة السبعينية التي نقلها أيضاً سفر أعمال الرسل: "خروف... وحمل" πρόβατον - ἀμνός

على أعلى مستوى. كذلك "فبدم المسيح" انتقلنا من موت الخطية (الملاك المُهلك) إلى حياة البرّ بالمسيح، ومن عبودية الشيطان (فرعون) إلى حرية مجد أولاد الله، التي هي الفدية بعينها. فالمسيح اشترانا بدمه لنكون له خاصة.

بهذا يثبت حقاً أن المسيح هو: "حمل الله الذي يرفع خطية العالم".

"الحمل والكنيسة"

أعلى وضع سرّي لحمل الله، وهو علاقة الحمل بالمؤمنين (الكنيسة) فالكنيسة بحسب سفر الرؤيا هي امرأة الخروف

وبهذا يصحُّ قول بولس الرسول: «فإني أغارُ عليكم غَيْرَةَ الله، لأني خطبتكم لرجل واحد (الحَمَل) لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح (الحَمَل)» (٢كو ١١: ٢). وهذا هو الوضع الاستعلاني النهائي لعلاقة المسيح (الحَمَل) بالمؤمنين (الكنيسة)، حيث بالنهاية تُزَفُّ للمسيح كما تزفُّ العذراء لعريس، في معنى القداسة المنزَّهة عن الجنس. فهو المُعبَّر عنه بالاتحاد: "أنتم فيَّ وأنا فيكم"، ولكنه اتحاد متبادَل برباط المحبة الإلهية: «أيها الرجال أحبُّوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها مُطهِّراً إيَّاها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة (الإنجيل)، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها... مقدَّسة وبلا عيب» (أف ٥: ٢٥-٢٧). ثم يرفع بولس الرسول معنى الاتحاد، المسيح مع المؤمنين، إلى مستوى "الجسد الواحد": «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمَّه

ويلتصق بامرأته، ويكون **الاثنان جسداً واحداً.** هذا السر عظيم، ولكني أنا أقول **من نحو المسيح والكنيسة**» (أف ٥: ٣١،٣٢).

ولكن في موضع آخر يصف وضع الكنيسة بالنسبة لله أيضاً، أنه اقتناها لنفسه: «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا **كنيسة الله التي اقتناها بدمه**» (أع ٢٠: ٢٨). وعلى القارئ أن يلاحظ هنا أن الهاء في "دمه" ضمير متصل واقع على الله!! فالكنيسة، عروس المسيح، اقتناها الله لابنه لتدخل بيته.

الكنيسة امرأة الخروف في سفر الرؤيا:

حينما يتم استعلان مُلك المسيح النهائي، يُستعلن في الحال موضع المؤمنين من المسيح، الذين هم الكنيسة:

+ «**وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة**[٣] **قائلة: هللويا،** فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرح ونتهلَّل ونُعْطِهِ المجد، لأن عُرْس[٤] الخروف قد جاء وامرأته هيَّأت نفسها، وأُعطِيَتْ أن تلبس بَزّاً (حريراً) نقيّاً بهيّاً، لأن البزَّ هو تبرُّرات القديسين. وقال لي: اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرْس الخروف، وقال: هذه هي أقوال الله الصادقة» (رؤ ١٩: ٦-٩).

أيها القارئ السعيد هذه الطوبى في انتظارك.

---

(٣) الخليقة تتهلل، فقد جاء زمان عتقها.

(٤) متى يتحقق هــذا الأمل ∴ ويــأتي أوان الـزفـاف
وتنظر عيناي مجـد الحمل ∴ وأسمع صـوت الهـتـاف!!!

إيماننا ورجاؤنا في ذبيحة الحمل

- بعد أن أعطيتَ وصاياك بطولها وعرضها وارتفاعها، مَنْ ذا يقوى على التكميل.
- أنتَ أنتَ قدَّمتَ ذاتك ذبيحة، لتكون عوناً لنا وقوةً وتكميلاً.
+ فمَنْ أخفق في حبِّ الأخ والعدو، تسعفه ذبيحتك لتكون له بديلاً.
+ والذي علت القداسة عن قامته، تتلقفه ذبيحتك لتملأه تقديساً.
+ والذي غُلِبَ من شهوته، توقفه ذبيحتك بلا لوم أمام أبيك مقبولاً.
+ والذي تعذَّرت توبته، ألا تكفي ذبيحتك أن تكون له توبةً وأنت ضمينٌ.
+ فدمك الذي أقامنا من الموت، أليس بالأحرى يرفعنا فوق نقائصنا.
+ أو لماذا اختارنا الله فيك قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين أمامه وبلا لوم ومحبوبين.
+ يا حمل الله، هبني وداعتك واتضاعك،
+ هبني صمتك تحت يد الذي يجزُّني،
+ هبني سكوتك تحت سكين مَنْ يذبحني، حتى يكون لي نصيب في عشاء عُرسك الإلهي:

لذلك «طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرْس الخروف»!

(نوفمبر ١٩٩٤)

- ١٧ -

"أنا هو القيامة والحياة"

(يو ١١: ٢٥)

ἐγώ εἰμι ἡ ἀνάστασις καὶ ἡ ζωή

شكراً لله! فبهذه المقولة من فم يسوع المسيح ابن الله يكون قد انتهى الموت وعصور البكاء والنحيب على الموتى في دائرة أولاد الله! بل وهذا القول بحد ذاته أعطى نهاية لمعنى الكوارث والمصائب والأحزان لعالم أولاد الله لأن روح القيامة تتخطاها والحياة الأبدية تخلفها وراءها. هذه المقولة قالها يسوع قبل أن يقدِّم نفسه للمحاكمة والصلب والموت! وهذا يجعل القيامة التي قامها المسيح في اليوم الثالث ليست حدثاً جديداً على المسيح، لأن بهذا القول تكون القيامة هي طبيعته والحياة الأبدية حياته. وهذه قالها المسيح لمرثا حينما قالت له عن لعازر أخيها الميت: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (يو ١١: ٢٤)، ردّاً على قول المسيح: «سيقوم أخوكِ» (يو ١١: ٢٣)!! فانفعل المسيح وأعلن لها أنه هو القيامة والحياة. هنا المسيح يستعلن سلطانه لتجاوز الزمن، فـ"اليوم الأخير" كاليوم الحاضر، لأن الذي هو بطبيعته أزلي يخضع له الزمن فلا يكون. والذي هو من اختصاص الله في اليوم الأخير من جهة الإقامة من الموت، أخذه المسيح ودخل به العالم ليمارسه لحساب الآب. والذي يؤمن به حتماً يرى القيامة ويرى

الحياة. فكان هذا أعظم تعبير عن سلطان لاهوته الذي لا يقف أمامه الموت بكل أشكاله وحوادثه، لذلك نجد المسيح نفسه يشرح قوله إنه هو القيامة والحياة هكذا: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥،٢٦)، أي لا موت لإنسان يحيا مع المسيح. فكيف يموت إنسان وهو ممسك بالقيامة؟ إنه حتماً سيحيا بل وسيعبُر الموت وكأنه لم يَمُت لأنه حامل قيامته في كيانه. وعلى نفس المعنى إن كان إنسان قد نال الحياة الأبدية، كيف تقول إنه يموت؟ إن ما تقوله الكنيسة في أوشية الراقدين حق: "ليس موت لعبيدك بل هو انتقال". نعم، انتقال من حياة وقتية مظهرية لحياة حقيقية أبدية عَبْرَ إعادة التراب للتراب!! فالجسد الترابي يحجز الآن النور والحياة الأبدية عن أعيننا الروحية، فبمجرد أن نتخلص منه ونستودعه التراب، نرى النور والحياة.

والمسيح صحَّح فكر مرثا عن القيامة، فهي تعلَّمت من الربِّيين والفرِّيسيين أنه توجد قيامة أجساد في اليوم الأخير، ولكنه بمجيئه إلى العالم حاملاً القيامة والحياة، أصبحت القيامة حاضرة منذ الآن والحياة الأبدية انفتحت على مصراعيها للذين يؤمنون بالمسيح ويقبلون روح القيامة. لذلك قالها: «أنا هو القيامة والحياة» كحقيقة خلاصية - وليس مجرد مقولة إيمانية - حقيقة حاضرة الآن ترفع عن الإنسان المسيحي رهبة الموت والغُمَّة والحزن على فقدان الأهل والأصدقاء، لأن بدخول القيامة بالإيمان عالم المؤمنين بالمسيح كفَّ الموت أن يكون له وجود، وأصبح الحزن والنحيب على الموتى ضحكة لدى أرواحهم في السماء وجهالة يُحاسب عليها المؤمنون.

كما يقول الكتاب: «ابتُلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتكِ يا هاوية؟... شكراً لله الذي يُعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (١كو ٥٤-٥٧).

كذلك في قول المسيح: «أنا هو القيامة والحياة»، استعلان حقيقة المسيح الإلهية، لأن المعروف في الإيمان أن الله هو الذي سيُقيم الأجساد ويعطي الحياة. هنا قول المسيح إنه: «القيامة والحياة»، معناه أنه يُقيم ويُحيي منذ الآن كالله، وهي الأعمال التي اعتُبرت من اختصاصات الله في نهاية الزمان. لذلك فالمسيح يعلن هنا تجاوزه للزمان بإدخاله القيامة وعنصر الحياة الأبدية منذ الآن ليعمل في صميم حياة المؤمنين منذ الآن كالعربون دون انتظار لآخر الزمان.

ويعلِّق على هذه الحقيقة بولس الرسول قائلاً: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ١)، أي أن الذين في المسيح يتجاوزون الدينونة المزمعة أن تكون؛ «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (١يو ٣: ١٤)؛ «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو ١: ١٣). وواضح أن هذا كله أصبح حقيقة إيمانية راسخة، لأننا جُزنا الموت مع المسيح وقمنا مع المسيح، فلم تعُدْ علينا خطية ولا دينونة، بل نحيا مع المسيح والآب في شركة الحياة الأبدية التي نلناها بالفداء والخلاص الذي تمَّ: «إن كنتم قد قُمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظْهِرَ

المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرُون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ١-٤). إذاً، أصبحت اهتماماتنا وتعزياتنا بما فوق، بمعنى أننا اخترقنا الموت وتجاوزنا الحياة الحاضرة بالإيمان، وقمنا معه وجلسنا معه في السماويات. وقد أوضحها المسيح بقوله: «إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤).

والمسيح بهذا لا يلغي القيامة العتيدة ولا الدينونة القادمة، ولكن يُعلن أنه نزل من السماء ليبدأها منذ الآن، لأن الذي جاء ليغفر الخطايا فهو حتماً يرفع الدينونة، والذي جاء ليلغي الموت حتماً يعطي القيامة ويعطي الحياة بالضرورة من الآن وفي التو.

ولكن لكي يؤكِّد المسيح لكل مَنْ آمن باليوم الآخر، أن الذي يعطي روح القيامة هنا هو نفسه الذي سيُقيم من بين الأموات في اليوم الآخر، قالها صراحة وبلا أي لَبْس: «وهذه هي مشيئة الآب الذي أرسلني، أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً، **بل أُقيمه في اليوم الأخير**. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني، أن كل مَنْ يرى **الابن ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير**» (يو ٦: ٣٩،٤٠).

إذاً، فنحن الآن أمام خطة إلهية فائقة المحبة والرحمة والعدل معاً، أنْ لا نفاجأ بالدينونة في اليوم الأخير حيث لا يخلص أحد ويستدُّ كل فم، لأن الدينونة تكون حسب أعمال كل أحد. فسبق الله وأرسل ابنه الوحيد حاملاً القيامة والحياة الأبدية في صميم كيانه، وبذله ليحمل الدينونة عن الإنسان ويكمل عقاب الموت فينا

ويقيمنا معه من الموت الأبدي بقيامته ويحيينا بحياته. وهكذا نكون قد جزنا الدينونة قبل الدينونة، وانعتقنا من الهلاك الأبدي، وأخذنا الحياة الأبدية كالعربون منذ الآن. هذا رآه بولس الرسول وهتف له بالمحبة: «إذاً، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد (بعد)، بل حسب الروح (بالضرورة)» (رو ٨: ١). من هذا نفهم ونتيقن أن المسيح حينما يقول: «أنا هو القيامة والحياة»، يُعلن لكل مَنْ يؤمن به أنه قد تخطَّى اليوم الأخير وجاز الدينونة، ونال البراءة والتبرير بالخلاص الذي أكمله المسيح. يا لمجد الله!!

إنها فرصة نجاة من الهلاك الأبدي ليس لها مثيل، ودخول عهد النعمة مجاناً عِوَض الغضب والنقمة: «الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣: ٣٥،٣٦).

وبعد أن قال لمرثا: «أنا هو القيامة والحياة»، أقام لعازر أخاها بعد أن أنتن في القبر إذ كان له أربعة أيام، قائلاً له: «لعازر هَلُمَّ خارجاً»، فخرج الميت حيّاً. هنا القيامة التي باشرها المسيح هي بمثابة خلق جديد، لأن الجسم أنتن وفسد ومزَّقه الدود، بل إن الخلقة من تراب أو من لا شيء أهون من إعادة جسد أنتن وتهرَّأ إلى الحياة، إذ هنا تمتاز الخلقة بعمل إلغاء لكل مظاهر الفساد لحظة أن دبَّت فيه الحياة، وهذه لفتة يعلن بها المسيح قدرة القيامة التي يعطيها على إلغاء كل أعمال أخطاء الإنسان وإفساده لحياته تعبيراً عن رفع الدينونة رفعاً شاملاً. يا لمجد الله!

المسيح أعطى إقامة لعازر لتكون نموذجاً حيّاً منظوراً لِمَا يعمله في غير المنظور؛ وعلى نفس المستوى تماماً، فنحن لما أخذنا روح القيامة والحياة، سقطت منا سرّاً كل مظاهر الفساد، وذابت وانحلت كل أعمال الخطية المحيطة بنا دون أن نحسها أو يحسها أحد، وتلاشت الدينونة ولن نراها. وكما حلُّوا لعازر من رباطات الموت وفكُّوا عنه أغطيته، هكذا فعلت فينا قيامة المسيح، وكما أمر المسيح: «... دعوه يذهب»، صار لنا الأمر بعينه فصرنا أحراراً نتحرك حتى إلى أعلى السماء. يا لمجد الله!

+ «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية (أي تجاوزوها)، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١١).

ولكن لعل أقوى تعبير عن حلول روح القيامة حتى إلى قلب الإنسان، قول المسيح: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧). هذا حدث لما دخلنا في شركة مع المسيح في موته على الصليب وقيامته في اليوم الثالث[١]، فصرنا بالإيمان مع المسيح وفيه، ولكن لما أكلنا من جسده وشربنا من دمه صرنا وكأننا أكلنا القيامة وشربنا الحياة حقاً.

إذاً، فـ «أنا القيامة والحياة» مقولة لا تخص المسيح في شيء، بل تخصنا نحن في الصميم وقد منحها لنا كفعل إلهي اخترق أعماقنا، فأقامنا من موت الخطية وأحيانا لله. ولكن هنا شرط أساسي يدور حوله كل ما قاله المسيح، وهو السؤال الوحيد الذي سأله لمرثا لكي

(١) انظر: "أنا هو خبز الحياة"، صفحة ١٩٦ .

يُقيم لها أخاها، وهو ذات السؤال الذي يسأله حتماً قبل أن يعطينا قيامته أو يُشركنا في حياته: «أتؤمنين بهذا»؟ فكانت الإجابة النموذجية التي على أساسها قام لعازر ونقوم نحن: «... قالت له: نعم يا سيد، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالمٍ» (يو ١١: ٢٦،٢٧).

ومرة أخرى[٢] نقول إن المسيح عندما يقول: "أتؤمن"، لا يطلب أكثر من أن نصدِّق ما يقول. فإن صدَّقنا ما يقول كان لنا في الحال كل ما وعد!! وتصديق الله حالة قلبية يلهبها الحب والفرح والرجاء: «إن آمنتِ تَرَيْنَ مجد الله» (يو ١١: ٤٠). فالإيمان نافذة نفتحها بالتصديق بقلبنا، فنرى مجد الله وكل أعمال الله معمولة.

وفي أصحاح سابق، كشف المسيح عن سرِّ قيامة لعازر، وبآنٍ واحد، يكشف عن سرِّ قيامتنا إن شئنا أن تكون:

+ «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنه تأتي ساعة، وهي الآن، حين **يسمع** الأموات صوت ابن الله، **والسامعون** يحيَوْن» (يو ٥: ٢٥).

نعم، فصوت ابن الله يخترق الآذان حتى لو تهرَّأت وأكلها الدود وصارت إلى تراب، فهو صوت يخضع له الموت، وكل مَنْ كان تحت سلطان الموت. لعازر **سمع** صراخ المسيح في أعماق الهاوية، وللحال لَبِسَ الجسد وقام. وهذا من أروع النماذج لِمَا يعمله المسيح في الذين آمنوا به وأحبوه الآن:

---

(٢) انظر: "الخلاص والإيمان"، ص ١٣٣.

+ «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤).

هنا تتبلور القدرة على امتلاك وعد المسيح لقبول الحياة الأبدية على صلاحية الأُذُن لسماع صوت المسيح أو كلامه: «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي» (يو ٨: ٤٣).

فالقدرة المؤهِّلة لسماع المسيح هي في الحقيقة القدرة على الوعي، أو انفتاح الوعي. وانفتاح الوعي يبدأ من الإنسان على أساس التصميم الداخلي للتتلمذ على الكلمة. فالذي أوقف كل مداركه وانشغاله للتتلمذ على كلمة الإنجيل، ينفتح له سر قول المسيح ويأتي الروح القدس ليكمل انفتاح الذهن لفهم المكتوب أو المسموع.

كان الكتبة والفرِّيسيون يسمعون كلام المسيح بخفة، وينتبهون بشدة لالتقاط الأخطاء منه أو لاتهامه بالخروج عن الناموس أو التقليد، فلم يستطيعوا قط أن يسمعوا له سمعاً شافياً كافياً، ولذلك لم يفهموا من كلامه شيئاً.

أما مَنْ يتتبَّع كلام المسيح باستعداد السمع مع الإيمان بكل ما يقول، فالمسيح يَعِدُهُ: «... له حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤). وأستطيع بكل يقين أن أشرحها للقارئ في جملة واحدة، وهي: إن مَنْ يُخْلِص للمسيح إخلاص الحب ويجعل الإنجيل كتابه الأعز والأغلى من كل كتاب،

يكتسب قُرباً شخصياً من المسيح ينتهي بالإحساس الدائم بالوجود في حضرة الرب. هذه هي حالة قبول القيامة، وعربون الحياة الأبدية، ورفْع طوق الدينونة من حول رقبة الإنسان مجاناً. يا لمجد الله!

قيامة المسيح من بين الأموات وعلاقتها بقوله «أنا هو القيامة والحياة»:

علينا أن نلاحظ أن "القيامة" كفعل أكمله المسيح عندما قام من بين الأموات في اليوم الثالث، هو في الحقيقة فعل لا يخص الله. فالله لا يموت، وبالتالي لا يقوم من الموت، إنما هو فعل يخص الإنسان بالدرجة الأولى. فالذي يقوم من الموت يلزم أن يكون قد جاز الموت، وهذا قَبِلَه المسيح بالجسد كإنسان معتمداً على سلطان الحياة الأبدية التي فيه كإله. لذلك لا يُقال إن المسيح قام من بين الأموات، إذ لابد أن يُقال إنه قام من بين الأموات بالجسد، فهو مات بالجسد بإرادته، وبإرادته قام بالجسد.

لذلك فإن المسيح حينما قال: «أنا هو القيامة»، قالها من واقع تجسُّده «بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (١كو ١٥: ٢١). فلولا تجسُّد ابن الله ما استطاع أن يموت أو يقوم من الموت. لذلك فإن قول المسيح: «أنا هو القيامة»، هو باعتبار الحياة الأبدية التي له كإله والتي في الجسد مضافاً إليها سلطانه الإلهي الفائق على إلغاء الموت وكل مفاعيله. إذاً فالقيامة بالنسبة للمسيح هي حصيلة قوة غَلَبَتِه على الموت ثم استعلان الحياة الأبدية التي له. لذلك حينما يقول المسيح: «أنا هو القيامة والحياة»، فهذا من واقعٍ نفَّذه بالفعل في جسده، إذ

ألغى الموت من الجسد، وأعطى الجسد قوة الحياة الأبدية، فقام. والمسيح نفَّذ نصرته على الموت في الجسد، لكي يُمارس هذا السلطان على الموت والحياة بأن يُعطي القيامة ويهب الحياة الأبدية لكل إنسان يؤمن ويلتصق به.

فقصة الصليب والقبر، واليوم الثالث - أي الموت والقيامة - ليست حلقة من حلقات قصة حياة المسيح، بل هي قصة الإنسان الجديد التي أعطته طبيعة الخلود. لذلك فقول المسيح: «أنا هو القيامة والحياة»، إنما هي واقع الإنسان الجديد وكأنما ينطقها المسيح بفم البشرية المفتداة!!

والإنجيل يحقق ذلك معتبراً أن قيامة المسيح هي في الحقيقة الحركة الأولى التي منها وبها تسري على البشرية التي تقبل بهذه القيامة وتؤمن بها:

+ «إن يُؤلَّم المسيح يَكُنْ هو **أول قيامة الأموات**، مزمعاً أن يُنادي بنور للشعب وللأمم» (أع ٢٦: ٢٣).
+ «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات **وصار باكورة الراقدين**. فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (١كو ١٥: ٢٠،٢١).
+ «وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداءة بكرٌ من الأموات، لكي يكون متقدِّماً في كل شيء» (كو ١: ١٨).

واضح أن المسيح افتتح القيامة من بين الأموات بالجسد بسلطانه الإلهي القاهر الموت، وبالحياة الأبدية التي هي طبيعته. وبعد ذلك بدأت القيامة من بين الأموات، لأن المسيح منح الذي له

لكل مَنْ آمن به، وهكذا ساد المسيح على كل الأحياء الذين أقامهم: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات» (رو ١٤: ٩). وهذا هو معنى أن المسيح صار رأس الكنيسة التي هي جسده: «مباركٌ ومقدَّسٌ مَنْ له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم...» (رؤ ٢٠: ٦).

ويصف بولس الرسول الصوت الرقيق الذي سيسري بين الراقدين ليقوموا وكأنهم في حال نوم ليروا نور المسيح وهو يخاطب به الذين ينتظرون القيامة الثانية، ولكنه يخاطب أيضاً الذين غلبهم نعاس العالم الحاضر ودخلوا في غيبوبة هموم هذا الدهر، فاختفى عن ناظرهم نور المسيح: «استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات، فيُضيء لك المسيح» (أف ٥: ١٤).

والقديس يوحنا الرسول يُعطينا فكرة واضحة عن ماهية القيامة الثانية، إذ يقول: «الآن نحن أولاد الله ولم يُظْهَرْ بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ (في القيامة العتيدة) نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢)، أي في القيامة العتيدة سنحصل على رؤية وإدراك ووعي كامل نرى به المسيح الإله الحق كما هو في ملء استعلانه الإلهي، وهذا الظهور الكامل للمسيح يكون سببه حصولنا في هذه القيامة على طبيعة منبعثة من المسيح كالأصل والصورة، فكل ما للمسيح سيكون لنا حتى إننا نراه كما نرى أنفسنا. فالنسبة بين القيامة الحالية والقيامة العتيدة كالنسبة بين الآن «لم يُظْهَر بعد ماذا سنكون»، وبين ما سيكون هناك «نكون مثله لأننا سنراه كما هو». فهي قيامة الاستعلان الكلّي، والمسيح هو

مصدرها أيضاً، أي أن المسيح كما كان هو أساس قيامتنا الأولى بمعنى أننا قمنا بقيامته أو في قيامته حتى إنه لو لم يَقُم المسيح من الموت ما كنا قمنا إلى الأبد. ولكن استعلاننا لمجد قيامته ورؤيتنا لبهاء مجد لاهوته كان محدوداً للغاية بسبب انحصارنا الحالي في الجسد ومحدوديته القاسية جداً. لذلك حينما نحصل في القيامة الأخرى على انفتاح الرؤيا واتساع الوعي، سنرى قيامته على حقيقتها في كامل بهاء مجدها.

"أنا الحياة" ζωή:

المقصود هنا "الحياة الأبدية"، ولكن يُكتفى بكلمة "الحياة" فقط، لأن الحياة الجسدية لا يُعترف بها كحياة في مفهوم اللاهوت لأنها مغلوبة للموت. فالحياة الجسدية لا تُحسب عند الله والروحيين أكثر من أنها حياة في الموت أو كتصريح المسيح في قصة الابن الضال: «لأن ابني هذا **كان ميتاً فعاش**، وكان ضالاً فوُجِد» (لو ١٥: ٢٤)، وكتصريح بولس الرسول عن المرأة المتنعمة: «فقد ماتت وهي حية» (١تي ٥: ٦). أما "الحياة" **الحقيقية** فهي حياة في الله أو حياة كل مَنْ يعيش لله حسب الروح، فهو يستمد حياته من الله: «وآمن جميع الذين كانوا مُعيَّنين للحياة الأبدية» (أع ١٣: ٤٨).

لذلك لما قام المسيح من بين الأموات واستُعلنت الحياة الأبدية التي فيه قيل إنه يستحيل أن يقربه الموت بعد: «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ٩).

وباستعلان القيامة، استُعلنت الحياة الأبدية التي في المسيح والتي برهنت بلا نزاع أنه ابن الله: «تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤).

إذاً، فمن صميم صفة الحياة الأبدية أنها حياة الله، دخلت الحياة الأبدية لتُقيم علاقة الله بالإنسان كوعد إلهي يُعطيه الله للإنسان بواسطة يسوع المسيح: «بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله **لأجل وعد الحياة التي في يسوع المسيح**» (٢تي ١: ١)، وأيضاً: «هذه هي الشهادة أن الله **أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه**. مَنْ له **الابن فله الحياة**، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو ٥: ١١،١٢)، «وهذا هو **الوعد** الذي وعدنا هو به **الحياة الأبدية**» (١يو ٢: ٢٥).

وواضح أننا لم نكن نعرف شيئاً عن الحياة الأبدية ولا كنا نظن أن الله سيهبها لنا في ابنه، ولكن الذي فجَّر الحياة الأبدية في عالم الإنسان هي القيامة من بين الأموات التي ظفر بها المسيح بغلبته على الموت كما كما عبَّر عنها القديس يوحنا: «فإن **الحياة أُظْهِرَتْ**، وقد رأينا ونشهد ونخبركم **بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَتْ لنا**» (١يو ١: ٢).

وحدَّدها القديس يوحنا بعد ذلك أنها هي المسيح نفسه: «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح، **هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية**» (١يو ٥: ٢٠).

عجيب حقاً أن يكون تعرُّفنا على الحياة الأبدية هو النتيجة

المباشرة لتجسُّده وموته على الصليب ثم قيامته التي فجَّرت الحياة الأبدية لنراها ونلمسها ونعرفها ونشترك فيها لأول مرة في تاريخ الإنسان. فتعرُّفنا على الحياة الأبدية ونوال نصيب فيها، دفع الله ثمنه وكان ثمنه فادحاً للغاية، وهو موت الابن على الصليب.

فإن كنا بموت المسيح قد تصالحنا مع الله لما غُفرت خطايانا وتبرَّأنا من الحكم السابق الواقع علينا، فبحياته - كما يقول بولس الرسول - نلنا الخلاص مجاناً لما وهبنا حياته: «لأنه إن كنا ونحن أعداءٌ (بالخطية) قد صولِحنا مع الله بموت ابنه، فبالأَوْلَى كثيراً **ونحن مُصالَحون نخلُص بحياته**» (رو ٥: ١٠). فقد صارت الحياة الأبدية التي في المسيح مصدر كل النِّعَم والمواهب، نعيش ونتنعم على وعدها الذي يُحقِّقه الله لنا بقدر ما نتقرب إليه بالحب والأمانة: «لأنكم قد مُتُّم **وحياتكم مستترة مع المسيح** في الله. متى أُظْهِرَ المسيحُ حياتُنا فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٣،٤). فحياتنا الأبدية مستترة الآن في المسيح، وحياة المسيح صارت بالسر هي حياتنا: «... أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). لأن الحياة التي نحياها الآن ليست هي حياة الجسد، لكننا نلنا نصيبنا في الحياة الأبدية التي دُعينا إليها، فأصبحت حياتنا هي حقاً حياة المسيح وكل ما نلناه من نِعَمٍ وبركات هي من فيض حياته.

لذلك حينما يقول المسيح: «أنا هو القيامة والحياة»، فهو كأنما يقول: أنا مخلِّصكم من الموت والفساد، أنا هو حياتكم ومجدكم، أنا الواهب لكم حب الله وفرح الرجاء وسر الخلود.

فبالقيامة - كما يقول بطرس الرسول - ولدنا الله لرجاء حي

دائم: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا ثانية لرجاء حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات**» (١بط ١: ٣)، أي بصريح العبارة: إن بقيامة المسيح من بين الأموات كُتبت البشرية في سِفر الله لحياة جديدة أبدية من ذات الحياة التي قام بها الابن والمخلِّص. فهي خلقة جديدة بكل نوع، وبالحياة الأبدية هذه التي في المسيح دخلنا علناً مع الابن في شركة وفي ميراث الخلود: «لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم» (١بط ١: ٤). حيث ينتظر الحاصلون على عربون الحياة هنا، ما أعدَّه لهم الرب من رحمة مذخرة: «واحفظوا أنفسكم في محبة الله، **منتظرين رحمة** ربنا يسوع المسيح **للحياة الأبدية**» (يهوذا ٢١)، وأُعطيت لنا الحياة الأبدية في المسيح ومعها الميراث حتماً: «مُعْطين إيَّاهُنَّ كرامة **كالوارثات** أيضاً معكم **نعمة الحياة** لكي لا تُعاق صلواتكم» (١بط ٣: ٧). والحياة الأبدية من الآن لها عمل: «مَنْ أراد أن **يحب الحياة** ويرى أياماً صالحة، فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلَّما بالمكر» (١بط ٣: ١٠).

وبولس الرسول يرى أن الحياة الأبدية التي دُعينا إليها هي - بحدِّ ذاتها - هدف جهادنا وسعينا، والإنسان مطلوب منه أن يمسك بها: «جاهد جهاد الإيمان الحسن **وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً**» (١تي ٦: ١٢). فالحياة الأبدية هدف حي واقعي نمسك بها هنا وهناك: «مُدَّخرين لأنفسهم أساساً حسناً **للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية**» (١تي ٦: ١٩).

وهكذا يمكن أن نرى الحياة الأبدية أنها **في الماضي** كانت وعداً.

وفي **الحاضر** حب وفرح وعِلَّة جهاد وإيمان بتمسُّك شديد، **والمستقبل** للحياة الأبدية منظور من الآن في الحاضر، باعتبار الحياة الأبدية تبدأ في المسيح من هذه الحياة الآن وتستمر إلى الأبد بعد أن يقلقها الموت إلى لحظة لتستأنف وجودها بلا عائق في المسيح إلى الأبد: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، أنا أُعطي العطشان (هنا) من **ينبوع ماء الحياة مجاناً**. مَنْ يغلب يرث كل شيء...» (رؤ ٢١: ٦،٧). والحياة الأبدية هنا عزاء فائق وهناك فرح أبدي: «فقال له سيده: نِعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين. كنتَ أميناً في القليل (هنا) فأُقيمك على الكثير (هناك)، اُدخل إلى (الحياة الأبدية) **فرح سيدك**» (مت ٢٥: ٢١). والحياة الأبدية هناك قائمة في مجد ومُوَرِّثة للمجد: «أنا الشيخ رفيقكم والشاهد لآلام المسيح وشريك **المجد العتيد أن يُعلن**... ومتى ظهر رئيس الرعاة **تنالون إكليل المجد الذي لا يَبْلَى**... وإله كل نعمة الذي **دعانا إلى مجده الأبدي** في المسيح يسوع...» (١بط ٥: ١،٤،١٠).

وارتباط الحياة الأبدية بالقيامة، يجعل إعطاء الحياة الأبدية يبدأ حتماً من الآن من الحاضر الزمني، لأن قيامة المسيح تمت في الحاضر الزمني ودخلت معها الحياة الأبدية في حاضر الإنسان الزمني، ونحن الآن محسوبون أننا قمنا مع المسيح بكل يقين، وبالتالي نلنا الحياة الأبدية الآن كالعربون. ولكن الجسد الآن يُعطِّل استعلان لانهائية الحياة الأبدية.

وبولس الرسول يؤكِّد أن الحائزين على عربون الحياة الأبدية الآن هم رائحة المسيح الزكية: «لأننا رائحة المسيح الزكية لله في

الذين يخلصون وفي الذين يهلكون؛ لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك **رائحة حياة** (أبدية) **لحياة** (أبدية)» (٢كو ٢: ١٥،١٦).

كما يؤكِّد بولس الرسول أن كلمة الإنجيل، هي كلمة المسيح، هي كلمة الحياة الأبدية، ونحن نتعامل معها الآن وفي كل عمقها وهي التي تربطنا بالحياة الأبدية عن واقعٍ حيٍ مفرح: «متمسكين "بكلمة الحياة" لافتخاري في يوم المسيح» (في ٢: ١٦)، «اذهبوا، قفوا، وكلِّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة»، والمتكلِّم بهذا هو ملاك الرب للرسل وهم في السجن (أع ٥: ٢٠). والمسيح أكَّد ذلك تأكيداً: «الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣). وسمع التلاميذ وآمنوا وشهدوا وصارت عقيدة الكنيسة التي نحياها: «فأجابه سمعان بطرس: يا رب إلى مَنْ نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨). وبولس الرسول يؤكِّد حاضر الحياة الأبدية: «... الله، الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أُظْهِرَت الآن بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنـار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢تي ١: ٩،١٠)، وهي ليست حديثة فدعوتها أزلية: «ومعرفة الحق الذي هو حسب التقوى على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزَّه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية» (تيطس ١: ١،٢).

وبولس الرسول يؤكِّد أننا وقد متنا مع المسيح، فنحن حتماً نحيا مع المسيح أو المسيح يحيا فينا، وهذه هي الحياة الأبدية بواسطة المسيح: «مع المسيح صُلِبْتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. **فما أحياه الآن في**

الجسد فإنما أحياه (حياة أبدية) في الإيمان...» (غل ٢: ٢٠)، «وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، **وأما الروح فحياة بسبب البر**» (رو ٨:١٠).

والموازنة قائمة فبقدر ما نحتمل أتعاب الإيمان والشهادة ننال الحياة: «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تُظْهَرَ **حياة يسوع أيضاً في جسدنا**» (٢كو ٤:١٠)، «لأننا نحن الأحياء (في الحياة الأبدية) نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تَظْهَرَ حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت» (٢كو ٤: ١١).

ومعروف أن الحياة الأبدية هي هبة الله: « لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ٢٣)، «وأما الآن إذ أُعْتِقْتُمْ من الخطية (بالخلاص الذي تم والقيامة) وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة **والنهاية حياة أبدية**» (رو ٦: ٢٢).

القديس يوحنا هو الذي ربط بين الحياة الأبدية والنور الإلهي. ففي مطلع إنجيله عرفنا أن النور الذي أشرق على العالم بمجيء المسيح كان هو الحياة الأبدية التي في المسيح: «فيه كانت الحياة، **والحياة كانت نور الناس**» (يو ١: ٤)، حيث النور هو نور المعرفة واستعلان الله، لأن الله نفسه هو "**النور**". لذلك فمجيء المسيح وفيه الحياة الأبدية، كان أصلاً لاستعلان الله، لأن الله هو "**الحياة**"، ووصية الله هي نفسها حياة أبدية: «وأنا أعلم أن **وصيته هي حياة أبدية**...» (يو ١٢: ٥٠).

لذلك فالمسيح بتسليمنا وصايا الله وحبه سلَّمنا الحياة الأبدية. وهو نفسه الحياة، وهو خبز الحياة، وماء الحياة، ونور الحياة. وهذه الأوصاف كلها إنما تعني معنىً واحداً، أن بها يُعلن المسيحُ الله وأنه هو المُعلِنُ لله، وأن كلماته هي - بالضرورة - روح وحياة، وأن كلمات الحياة الأبدية هي عنده، ولذلك أرسله الآب لنحيا به: «بهذا أُظْهِرَتْ محبة الله فينا، أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو ٤: ٩). وأن نحيا به، فينكشف لنا أن إعطاء النور والحياة يتم من الآن، فالحياة الأبدية فعَّالة فينا في الحاضر، وهذا يوضِّحه الإنجيل أشد وضوح بالقول: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). ولكي يظهر أن هذا يخص الحاضر بكل تأكيد يقول المسيح أيضاً: «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، **فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة،** بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤). هذا الوعد يخص الحاضر والمستقبل بآن واحد، ويؤكِّدها القديس يوحنا: «نحن نعلم أننا **قد انتقلنا من الموت إلى الحياة** لأننا نحب الإخوة» (١يو ٣: ١٤).

ولكن الأمر العجيب حقاً والمترتب على قبولنا الآن الحياة الأبدية، هو أنه يتحتم أن نكون - بآن واحد - قد قَبِلْنا منذ الآن الأمور الأُخروية، لأن الحياة الأبدية والأمور الأُخروية منطقة واحدة في الله كشفها المسيح وأدخلنا فيها، فمَنْ يغشى هذه يغشى تلك: «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنه **تأتي ساعة** (الأخيرة)، وهي "الآن" حين يسمع الأموات صوت ابن الله **والسامعون يَحْيَوْنَ**» (يو ٥: ٢٥).

وهذا تحقق بالفعل في إقامة لعازر تأكيداً أن المسيح له حياة في ذاته، وأنه حقاً هو القيامة العتيدة، وهو الحياة الأبدية. من هنا جاء حل اللغز الذي طرحه مباشرة بقوله: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا»، لأنه هو الحياة الأبدية: «وكل مَنْ كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥،٢٦). والمعنى في كلتا الحالتين واحد، فمَنْ آمن بالحياة الأبدية يعيشها، ومَنْ يعيشها لا يموت حتى ولو مات. وهذا يشرحه المسيح في موضع آخر هكذا: «مَنْ **يشرب من الماء الذي أُعطيه** (نعمة الروح)، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء **ينبع إلى حياة أبدية**» (يو ٤: ١٤). وعلى نفس المستوى هو: «الخبز الحي الذي نزل من السماء. **إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**» (يو ٦: ٥١).

إذاً، فوعود المسيح في هذه كلها من جهة إعطاء الحياة الأبدية لا تخص الزمن الأُخروي أو المستقبلي البعيد، بل تخص الحاضر والحال والتو، إذا تم بالإيمان القاطع. ولكن هنا البدء، والتكميل هناك. فالقيامة تمّت في الحاضر الزمني، ولكنها ستكمل وتُستعلن في النهاية: «وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٤٠). والإعفاء من الدينونة يبدأ الآن: اذهب «مغفورة لك خطاياك» (مت ٩: ٢)، ويكمل في النهاية. وحتى الخلاص يبدأ الآن ليكمل في النهاية، لأن مجيء ابن الله متجسِّداً ليُعلن لنا الله، هذا في الحقيقة يُحسَب حدثاً اسخاتولوجياً مقطوعاً به. كذلك فإن بمجيء المسيح تمَّت القيامة الأولى، ومُنحت الحياة الأبدية كبداية حقيقية مُعاشة: «أتيتُ لتكون لهم حياة، **وليكون لهم أفضل**» (يو ١٠: ١٠). الحياة الأبدية هي طبيعة

الله، فإن حضرت فهو يكون حضوراً أبدياً، غير أن استعلانها فينا ومفاعيلها تكون محدودة بسبب محدوديتنا الزمنية والجسدية الآن.

ونحن نعلن عن الحياة الأبدية التي فينا والتي نعيشها الآن بالمحبة الأخوية عديمة الغش والرياء، كقول القديس يوحنا: «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى **الحياة**، لأننا **نحب الإخوة**» (١يو ٣: ١٤). كذلك فالحياة الأبدية فينا تُعلَن **بالفرح الحقيقي**: «كلَّمتكم بهذا (كلام الحياة الأبدية)، لكي يثبت **فرحي فيكم**، ويُكْمَل فرحكم» (يو ١٥: ١١)، «ولكني سأراكم أيضاً **فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم**» (يو ١٦: ٢٢)، «وأتكلم بهذا في العالم **ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم**» (يو ١٧: ١٣).

ومرة أخرى أيها القارئ السعيد:

+ «وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي...».
+ "**وليكون فرحهم كاملاً**".

هذه هي: "**الحياة الأبدية**".

وكما رأينا في موضوع القيامة العتيدة أننا سننتهي إلى أن نرى المسيح كما هو في ملء مجد لاهوته، لأننا في هذه القيامة سنصير مثله؛ هكذا في أمر الحياة الأبدية. ففي القيامة العتيدة ستُستعلن لنا الحياة الأبدية كما هي في الآب والابن، لأننا سنحياها كما هي. فإن قال القديس يوحنا الرسول: «وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح»، ثم علَّق على فاعلية هذه الشركة هكذا: «**لكي يكون فرحكم كاملاً**» (١يو ١: ٣،٤)، مع أنه يتكلَّم عن واقع شركتنا الآن ونحن محدودي الرؤيا والنظر، ولا نراها كما ينبغي أن تُرى وأن

تكون؛ فإن هناك تصبح هذه الشركة وهذا الفرح إلى حدِّ الملء والكمال: «أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني...» (يو ١٧: ٢٤).

(ديسمبر ١٩٩٤)

- ١٨ -

"مُشْتَهَى كل الأمم"

+ «وأُزلزل كل الأمم، ويأتي مُشْتَهَى كل الأمم» (حَجَّاي ٢: ٧).

أصل الآية كلها كما وردت في حجَّاي النبي هكذا: «لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرَّة بعد قليل، فأُزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. وأُزلزل كل الأُمم، ويأتي مُشْتَهَى كل الأُمم، فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود... مجدُ هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود، وفي هذا المكان أُعطي السلام، يقول رب الجنود» (حجَّاي ٢: ٦-٩). ولكن في النسخة السبعينية اليونانية لم يأتِ لقب المسيح "**مُشْتَهَى كل الأمم**" بهذا المعنى، وإنما بلفظة غير واضحة. ولكن برجوعنا إلى نسخة الفولجاتا اللاتينية، وهي الأقرب إلى العبرية، جاءت بنفس المعنى "مُشْتَهَى كل الأمم"، كما هو موضَّح عاليه.

«أزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة وكل الأمم»:

هنا الزلزلة الشاملة للسماء والأرض وما فيها وكل الأمم، هو تعبير نبوي كناية عن حدوث تغيير شديد مفاجئ لتدبير الله فيما يخص الإنسان؛ حيث تشترك الطبيعة حتماً بما يخصها من هذه

التغييرات التي ستنتهي بعتق الطبيعة من حالة عبودية الفساد التي وقعت فيها والتي أصابتها بسقوط سيدها آدم، حيث كانت المقولة: «ملعونة الأرض بسببك» (تك ٣: ١٧)، وذلك عند تكميل خلاص الإنسان ودخوله المجال السماوي.

وقد حدث هذا بالفعل عند نزول الله، وللمرة الأولى في تاريخ الإنسان، ليتكلَّم مع موسى من فوق جبل سيناء:

+ «وكان جبل سيناء كلُّه يُدَخِّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً... وكان جميع الشعب يَرَوْنَ الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يُدَخِّن. ولما رأى الشعب، ارتعدوا ووقفوا من بعيد» (خر ١٩: ١٨؛ ٢٠: ١٨).

وهكذا قدمت الطبيعة احتفالها بنزول الله ليكلِّم شعبه وكان هذا بداية العهد القديم للشعب.

وعلى هذا النمط، نرى هنا الطبيعة تُظهر احتفالها بمجيء "مُشْتَهَى كل الأمم"، وهنا تتقدَّم السماء أيضاً باحتفالها لأن الآتي سيأتي من فوق من السماء، كما يشترك في هذا الاحتفال "كل الأمم"، إذ تدخل في نطاق الزلزال. ولكن هذه المرة لا تكون على المستوى المادي المنظور، ولكن بالمفهوم الروحي الأعلى، لأن الآتي "مُشْتَهَى كل الأمم" هو هو ابن الله الذي يأتي في الخفاء وفي سلام دون مظاهر علنية: «حقاً أنت إلهٌ محتجِبٌ يا إله إسرائيل المخلِّص» (إش ٤٥: ١٥).

بل وعلى نفس النمط، ستكون علامات نهاية الزمان (مر ١٣: ٨، ٢٤-٢٦) وتكميل رسالة الخلاص لبني الإنسان، حينما يُستعلن الله في مجيئه الأخير بمجد كثير مع قديسيه وملائكته القديسين. فستتزلزل السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم وكل الخليقة، كاحتفال أخير بالعتق النهائي الذي سيحوزه الإنسان وتشاركه الخليقة فيه وتُرفع عنها اللعنة[1].

"مُشْتَهَى كل الأمم":

هذا هو اللقب الفريد من نوعه للمسيح، فهو يصف وضع المسيح في كل أمم العالم باعتبار ما سيكون، أي بالنسبة إلى ما هو حادث الآن، حيث كلمة "المُشْتَهَى" تحوي ما تحوي من الحب الشديد وتعلُّق النفس والقلب والروح به كمخلِّص وفادٍ. ولا تقف نبوة حجَّاي وحدها في وصفها المسيح بلقب **"مُشْتَهَى كل الأمم"**، فإشعياء النبي يتنبَّأ بما سيمارسه محبو المسيح وأخصاؤه بالروح في عشق وهيام يفوق الوصف، اسمعه يقول: «إلى اسمك وإلى ذِكْرك شهوة النفس، **بنفسي اشتهيتك في الليل، أيضاً بروحي في داخلي إليك أبْتَكِرُ**» (إش ٢٦: ٨،٩). وإشعياء لا يتكلَّم عن نفسه فهو نبي إنما يتنبَّأ بما سيكون، حيث يتقمص إشعياء موقف الأمم وماذا سيكون المسيح عندهم. فالنبوة إن كانت لحجَّاي أو لإشعياء فهي لنا ومن

(١) حيث يكون مفهوم هذه الهزَّات العنيفة من زلازل في الأرض وفي السماء (المادية) عبارة عن حركة خلع متواتر لأقنعتها المادية الزائلة لتُستعلن على حقيقتها غير المادية: «ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مَضَتَا. والبحر لا يوجد فيما بعد» (رؤ ٢١: ١).

أجلنا، وهي تتكلم بفمنا إن كان لنا فم يتكلم بالحق وبسرِّ المسيح.

موقف المسيح باعتبار أنه مُشتهى كل الأمم:

المسيح نفسه يكرِّس هذا اللقب ويحرِّضنا على المشاركة في ممارسته، اسمعه يقول: «ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان...» (لو ١٧: ٢٢). هذا عن أيام حياته، وماذا نشتهي في أيامه إلاَّ شخصه. إذاً، فهو يعلِّم ويوجِّه عقولنا وقلوبنا إلى مدى العلاقة الخاصة جداً التي تربطنا به أو التي ينبغي أن تكون. فخارج عن محيط شهوة حبه، عسير علينا أن نجده. وبغير شهوة رؤياه يستحيل أن نلقاه. فهو لا يوجد ولا يتراءى إلاَّ في خزانة شهوة القلب. ومَنْ أدرك هذا السر يعلم صدق ما يقول الناس وأكثر. ثم اسمع ما يقول عن إنجيله وكلامه: «إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم تَرَوْنَ ولم يَرَوْا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا. طوبى لعيونكم لأنها تُبصر، ولآذانكم لأنها تسمع» (مت ١٣: ١٧،١٦).

واضح من قول المسيح أن ما اشتهاه الأنبياء والأبرار الكثيرون ولم يحصلوا عليه - وهو رؤية المسيح وسماع كلامه - صار منظوراً للتلاميذ والمؤمنين ومسموعاً لهم ولنا. والرؤيا والسماع هما مضمون "المُشْتَهَى"، أي أن "المسيح المُشْتَهَى" من جهة رؤيته وسماع كلامه أصبح من حقنا. وواضح من جهة الرؤية أنها صارت رؤية صادقة بالإيمان الذي هو أعلى مستوى من العيان، أما من جهة كلام المسيح فالإنجيل المُشْتَهَى صار موهوباً لنا. وبهذا يكون المسيح قد حقَّق بالفعل لقبه الذي رآه حجَّاي من وراء الدهور (٥٢٠ سنة

ق.م)، أنه هو المُشْتَهَى بالحق لكل الأمم بالإيمان والإنجيل. الإيمان الذي يُحضر لنا شخصه، والإنجيل الذي يُعلن لنا كلامه.

أما الأنبياء الذين اشتهوا ولم يروا أو يسمعوا، فأكثرهم وضوحاً هو دانيال، ونحن نقرأ في نبوته حينما أراد أن يتعرَّف على سر المسيح والنهاية، قيل له: «اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية. كثيرون يتطهَّرون ويُبيَّضون ويُمحَّصون. أما الأشرار فيفعلون شرّاً ولا يفهم أحد الأشرار، لكن الفاهمون يفهمون. ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رِجْس المُخرِّب ألف ومئتان وتسعون يوماً. **طوبى لِمَنْ ينتظر** ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوماً (أي إلى مجيء المسيح)» (دا ١٢: ٩-١٢).

والمسيح هنا في كلامه في هذه الآية بعد أن قال: إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا وأن يسمعوا، ولم يروا ولم يسمعوا؛ يعود ويُعقِّب بالقول علينا ويقول: أما أنتم "**فطوبى لأعينكم لأنها تنظر**"، وهي نفس الطوبى التي ذكرها الوحي في دانيال للذين سيبلغون المسيح.

ويعود الوحي بعدها في دانيال يقول واصفاً المسيح: «ويؤتى "**بالبر الأبدي**"، و"**لختم الرؤيا والنبوة**" و"**لمسح قدوس القدوسين**"... "**المسيح الرئيس**"» (دا ٩: ٢٤،٢٥). وهي من أجمل وأقوى الألقاب الاستعلانية للمسيح. فالمسيح هو البار وحده، وهو ختام كل الرؤى ونهاية كل النبوات، وهو القدوس وحده، المسيح رئيس السلام.

هذا من جهة **دانيال**، وغيره من الأنبياء والأبرار كثيرون، كل مَنْ كان عليه الوحي وتنبَّأ عن مجئ المسيح:

- فنسمع **البار يعقوب** أب الآباء يقول: «لا يزول قضيب من يهوذا (السبط) ومشترع من بين رجليه (ملك مدبِّر)، حتى يأتي **شيلون** (الأمان) **وله يكون خضوع شعوب** (أو انتظار الشعوب، بحسب الترجمة السبعينية)» (تك ٤٩: ١٠).

فانظر، أيها القارئ، كيف تأتي نبوة مبكِّرة واضحة هكذا تربط بين المسيح والشعوب ونحن هنا في سفر التكوين. فكيف لا تشتهي نفس يعقوب البار أن ترى وتسمع شيلون هذا. ولكن لم تَرَ ولم تسمع.

- **وذلك النبي بلعام** الذي «يرى رؤيا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين» (عدد ٢٤: ١٦)، فيقول: «أراه ولكن ليس الآن، أُبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل...» (عدد ٢٤: ١٧).

فكيف هذا لا يشتهي أن يرى ويسمع الذي رآه كوكباً يضيء السماء؟ ولكنه لم يَرَ ولم يسمع.

- **أو إشعياء العجيب** يتكلَّم عن: "عذراء في يهوذا تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه الله معنا"، وهكذا يحدِّد معالم المسيح بهذا السر الرهيب، ثم ألا يشتاق أن يرى ويسمع عمانوئيل؟ اسمعه يصرخ من جهة هذا الأمر: «حقاً أنت إله محتجِبٌ يا إله إسرائيل المخلِّص» (إش ٤٥: ١٥)، وذلك حينما كلَّت عيناه من الرؤيا واحتبس السماع عن أُذنيه.

ويعود إشعياء نفسه ويحكي عن هذا الآتي هكذا: «لأنه يُولَد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه: عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام» (إش ٩: ٦). وفي هذا أيضاً اشتهى إشعياء أن يرى وأن يسمع ذلك الابن الإله، ولم يَرَ ولم يسمع.

- وكان الوحي أيضاً على إشعياء، فقال عن المسيح الكرمة: «غنُّوا للكرمة المشتهاة أنا الرب حارسها، أسقيها كل لحظة لئلا يُوقَعَ بها، أحرسها ليلاً ونهاراً» (إش ٢٧: ٢،٣). فكم اشتهت نفس إشعياء أن ترى هذه الكرمة وأن يعرف مَنْ هو، ولكنه لم يَرَ ولم يسمع.

- ويعود أيضاً إشعياء ليقول: «حينئذ تتفقَّح عيون العُمي، وآذان الصُّم تتفتَّح. حينئذ يقفز الأعرج كالأُيَّل (الغزال)، ويترنَّم لسان الأخرس، لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر» (إش ٣٥: ٥،٦). واشتهت نفس إشعياء أن ترى وتسمع ذلك الذي سيفجِّر في البرية أنهاراً. ولم يَرَ ولم يسمع.

- كما يُنادي إشعياء: «هوذا عبدي الذي أَعْضُدُهُ، مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وَضَعْتُ روحي عليه فيُخرِج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسْمِعُ في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصِفُ وفتيلة خامدة لا يُطفئ، إلى الأمان يُخْرِجِ الحقَّ. لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحقَّ في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» (إش ٤٢: ١-٤).

ويتكلَّم إشعياء هكذا ليُعزِّي كل الأجيال ويبقى هو لا يدري عمق ما يتكلم به!!

وكما يقول دانيال النبي: «كثيرون يتطهَّرون ويُبيَّضون ويُمحَّصون. أما الأشرار فيفعلون شرّاً ولا يفهم أحد الأشرار، لكن الفاهمون يفهمون... طوبى لِمَنْ ينتظر» (دا ١٢: ١٠،١٢). فقد تم القول إن الأشرار لا يفهمون، إذ قد جاء شيلون، واحتقروه؛ وظهر كوكب يعقوب، فأهانوه وأخرجوا له نظيراً مزيَّفاً (بار كوكبا)؛ وجاء ابن العذراء، فقالوا عليه نحن نعرف أباه وأمه وتربصوا به لرجمه؛ ووُلد ليهوذا وَلَد وعمل أعمال الله، فقالوا إنه برئيس الشياطين يعمل؛ وجاء مَنْ فجَّر في البرية ماء، وفتح أعين العمي وآذان الصم، والأعرج والمشلول حملا سريرهما ومشيا، فقالوا له: هل أنت الآتي أم ننتظر آخر؛ وجاء مَنْ صنع الحق وعمله، فافتروا عليه وحاكموه وقتلوه. أما الذين تطهَّروا وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف وتمحصوا بالروح، فهؤلاء كانوا من الفاهمين ونالوا الطوبى من فم المسيح، لأنهم رأوه عن حق وسمعوه عن استحقاق ونالوا **مشتهاهم**. الذين من أجلهم تنبَّأ الأنبياء ورأى الراؤون وتكلَّم الأبرار عمَّا سيكون: «الذين أُعْلِن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور... **التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها**» (١بط ١: ١٢).

عجيب حقاً أن يكون **"مُشْتَهَى الأمم"** هو أيضاً **"مُشْتَهَى الملائكة"**. أليس لأنه رب السماء والأرض الذي «حلقه حلاوة وكلُّه **مشتهيات**» (نش ٥: ١٦)، نعم مشتهيات القديسين والملائكة!!

"طوبى لآذانكم لأنها تسمع"، تسمع "المُشْتَهَى" أي كلام المسيح:

اشتهاء الإنجيل:

الإنجيل هو تجسيد صوت صاحبه، فهو بالإيمان رؤية وسماع بآن واحد. فـ "المُشْتَهَى" هو قائم في الإنجيل على مستوى الرؤية بالإيمان والسماع بالروح. ولكن يقول قائل: وكيف أشتهي الإنجيل؟ يرد القديس بطرس الرسول: «وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به» (١بط ٢: ٢).

هنا تشبيه شهوة الإنجيل تبلغ أبدع تصوير لها عند بطرس الرسول الذي يمثِّلها بطفل رضيع يرتمي على صدر أمه بشهوة طبيعية عنيفة لكي يرضع لبن أمه عديم الغش. فكأنه يقول إنه ينبغي أن تكون عندنا شهوة روحية طبيعية مغروسة في أرواحنا تطلب الإنجيل عن حاجة ملحَّة لا يمكن إسكاتها. فالطفل يرضع ليشبع شهوته الطبيعية المربوطة بالصحة والنماء والحياة. فلو مُنعت عن الطفل شهوته الطبيعية لا يُقدم على الرضاعة وإن غُصب يتقيَّأ. هكذا الإنجيل عند القديس بطرس، إذا قرأته بغير شهوة روحية صادقة لا يأتي بنتيجة، وإن تغصَّبت وقرأت خرج الكلام من حيث دخل ولا فائدة من نمو أو حياة. إذاً، فشهوة الإنجيل من صميم طبيعة الإنجيل، بل من صميم طبيعة صاحب الإنجيل: "مُشْتَهَى كل الأمم". وأصل التشبيه وسببه هو المسيح نفسه حينما قال: "إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ويسمعوا ما أنتم ترون وتسمعون"، حيث ما نسمع وما نرى هو هو المسيح ذاته في

صدق الشهوة نحوه.

عزيزي القارئ، انتبه، نحن لا نبالغ بل هذا أمامك حق مُبَرْهَن، لأن في هذا المعنى يكمن سر الحياة في الإنجيل وسر النمو: «**اشتهوا** اللبن العقلي (الإنجيل) العديم الغش **لكي تنموا به**» (١بط ٢: ٢).

هنا سؤال القارئ: وكيف أشتهي الإنجيل؟ والجواب في صميم المعنى، فالإنجيل هو صوت المسيح وصورته. فإن كانت لك مع المسيح علاقة حب بلغ درجة الاشتهاء الحقيقي، صار الإنجيل على نفس المستوى. اسمع القديس بطرس أيضاً يقول من جهة رؤية المسيح ومحبته بل اشتهائه: «الذي وإن لم تَرَوْه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا تَرَوْنَه الآن لكن تؤمنون به **فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد**» (١بط ١: ٨). هكذا ففي الإنجيل تتلاقى مع المسيح برؤية إيمان تنشئ بهجة في القلب وفرحاً لا يُنطق به لمجدٍ آتٍ. وهكذا يتم فينا بالحق القول: طوبى لكم لأنكم ترون وتسمعون "المُشْتَهَى".

ليس هذا سرّاً مخفياً بل حقيقة طالما أعلنّا عنها أن في قراءة **الإنجيل مقابلة مع المسيح**، وبالتالي فرح لا يُنطق به ومجيد، يشهد لمقابلة حقيقية تمّت ونمو وحياة. فلقب المسيح "مُشْتَهَى كل الأمم" هو سر الأسرار.

أمثلة للاشتهاء المتبادل:

حينما قال المسيح: «أنا الكرمة الحقيقية... وأنتم الأغصان» (يو ١٥: ١،٥)، فماذا تسمّي التحام الأغصان في الكرمة على مستوى معنى الحب والشهوة والعشق؟ أليس أن التحام الغصن في الكرمة

هو أقصى حالة حب متبادَل: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤)، حب لا يهدأ ولا يسكت ليل نهار، حتى يُخرِج الغصن ثماره؟ وأليس هو حالة شهوة متبادلة أنشأت عشقاً متبادلاً لا انفصال فيه؟

ثم من أين جاءت هذه الصفات الفريدة العجيبة وما هو أصلها؟ أليس أصلها أن الكرمة هو هو "مُشْتَهَى كل الأمم". وإليك مَنْ كشف السر وأعلنه «غنُّوا للكرمة **المُشْتَهاه**، أنا الرب حارسها. أسقيها كل لحظة لئلا يُوقَع بها، أحرسها ليلاً ونهاراً» (إش ٢٧:٢،٣)

وإليك كيف ومتى ألقى المسيح بذرة الشهوة الإلهية في قلوبنا نحوه:

+ «أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد **أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى**» (يو ١٣: ١).
+ «ولما كانت الساعة اتَّكأ والاثنا عشر رسولاً معه، وقال لهم: **شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم** قبل أن أتألم» (لو ٢٢: ١٤).

وهكذا أخذ كأس محبته المذبوحة من نحو كل خاصته الذين في العالم ونفخ فيها من حبه حتى المنتهى، وسكب فيها شهوة نفسه كلها، وقال لهم: خذوا «اشربوا منها كلُّكم» (مت ٢٦: ٢٧). وهكذا فلا تظن، أيها القارئ العزيز، أن ما قيل عن المسيح، والكأس موضوعة أمامه، أنه: «أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١)، وقوله: «شهوة اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح

معكم قبل أن أتألم» (لو ٢٢: ١٥)؛ أنها مجرد رواية منفصلة عن سر الإفخارستيا. فأقوال المسيح جزء من السر أسكنه قلب كل مَنْ تناول منه، حتى إذا تناولنا معاً نتناول حبه حتى المنتهى وشهوة نفسه حتى إلى الكمال.

فالإنجيل والإفخارستيا سرٌّ واحد **لاستعلان المسيح** "مُشْتَهَى الأمم": «**وذاقوا كلمة الله الصالحة**» (عب ٦: ٥)، «**قد ذُقتم أن الرب** صالح» (١بط ٢: ٣)، وهذه وتلك مذاقة الحب والشهوة. ثم قول المسيح: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦)، أليس هذا كان نتيجة حب متبادَل أقصى الحب. ثم قوله: «... أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، أليس هذا الوصال والاتصال هو تكميل كل ما كانت تشتهيه النفس سواء من جهة المسيح أو من جهة الذين أحبوه وآمنوا به، وهي صورة مكبرة لكلمة الإنجيل حينما تستقر بالشهوة داخل القلب.

ولكن أقصى حالات التصوُّر العملي للقب "مُشْتَهَى الأمم"، يشرحها القديس بولس من جهة الاتحاد بالذين آمنوا به "ككنيسة محبوبة" على أعلى مستوى نموذجي لحب رجل لعروسه!! «أيها الرجال أحبُّوا نساءكم **كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها**» (أف ٥: ٢٥). وليلاحظ القارئ هنا كيف أن القديس بولس وضع المؤمنين في صورة المؤنث تحت اسم الكنيسة حتى يصبح حب المسيح لهم كحب الرجل لعروسه عن واقع، الذي هو عين العشق في أجمل وأقدس صورة. ولكي يرفع حالة الحب والعشق إلى مدخل القداسة، انتبه وقال: «لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها

بغسل الماء (المعمودية للتجديد) بالكلمة (الإنجيل)، لكي يُحْضِرَها لنفسه **كنيسة مجيدة لا دنس فيها** ولا غَضْنَ أو شيء من مثل ذلك، بل **تكون مقدسة وبلا عيب**» (أف ٥: ٢٦،٢٧). هكذا بلغ القديس بولس في الاحتياط حتى جعل المؤمنين على مستوى عروس جديرة بحب العريس، وعلى مستوى قداسة العشق الحقيقي. وهكذا ارتفع المؤمنون بالتقديس بالمعمودية والدم إلى حالة قداسة تليق بأن يصيروا عروساً لـ "**مُشْتَهَى الأمم**".

وقد يتهيَّأ للقارئ أن هذا الوصف العشقي بين المسيح والبشرية المفدية القائم على الاشتهاء المتبادل بشبه الزيجة هو مجرد تعبير زمني، ولكن الحقيقة أن الله سبق ورسمه وأعدَّه للتنفيذ قبل تأسيس العالم، أي قبل الزمن كحالة اختيار للبشرية متحدة بالمسيح: «الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات **في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة» (أف ١: ٣،٤). ثم أوضح الغرض النهائي من هذا الوضع الفريد المتحد بالمسيح هكذا: «إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح، **لنفسه، حسب مسرة مشيئته**، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١: ٥،٦)، أي نصبح خليقة جديدة جديرة أن تقف أمامه في السماء لتسبحه وتمدح مجده في المسيح يسوع المحبوب.

هذا هو "مُشْتَهَى كل الأمم"، وهكذا قبلت الأمم هذا "المُشْتَهَى" واتحدت به واتحد بها لبلوغ أقصى حالات المجد.

والآن، وبعد أن عرفنا مكانة "المُشْتَهَى" منا، ومكاننا في المُشْتَهَى، أصبح طريق المحبة للفادي الذي يبلغ بنا إلى المُشْتَهَى، وإلى

أين يصل بنا، واضح المعالم. وهنا نضع أنشودة حياتنا التي رسمها إشعياء لنا أمام أعيننا:

+ «إلى اسمِكَ وإلى ذِكْرِكَ شهوةُ النفس،
بنفسي اشتهيتُك في الليل،
أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٨،٩).

(يناير ١٩٩٥)

- ١٩ -

"أنا هو الراعي الصالح"

(يو ١٠: ١١)

ἐγώ εἰμι ὁ ποιμὴν ὁ καλός

Pastor bonus

Le bon pasteur

«أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»

"أنا هو" ἐγώ εἰμι:

بادئة يفتتح بها المسيح كلامه مقدِّماً ذاته، استعلاناً لهويته، فهي بادئة مختصة بيَهْوَه الله في العهد القديم كلقبه الخاص[1]: «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته، أنا هو ἐγώ εἰμι. أنا الأول وأنا الآخر» (إش ٤٨: ١٢). إذاً، فالمسيح يقصد بها أن يلفت نظر السامع أنه يتكلم بشخصية يهوه.

"الراعي الصالح":

وهذا اللقب أيضاً هو من خصائص الله قديماً. فالله كان يعتبر نفسه راعي إسرائيل الخاص: «لأنه هكذا قال السيد الرب: هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها. **كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في**

---

(١) ارجع لكتاب: "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"، ص ٢٢٠-٢٤٦.

وسط **غنمه** المشتَّتة، هكذا أفتَقِد غنمي وأُخلِّصها من جميع الأماكن التي تشتَّتت إليها في يوم الغيم والضباب...» (حز ٣٤: ١١،١٢).

وهكذا حينما يقول المسيح: «أنا هو الراعي الصالح» (يو ١٠: ١١)، فهو يشير بذلك إشارة بليغة إلى أنه هو هو يهوه «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦) ليكمل عمل الله في العهد القديم، حيث كانت رعاية يهوه للشعب قديماً للتأديب والتعليم. أما رعاية المسيح في العهد الجديد فهي تجيء للفداء: «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١).

وعجيب على مسامعنا أن يقول الله إنه راعٍ يرعى الشعب كما يرعى الراعي الخراف: "**ويكون في وسط غنمه**". فهذا اللقب الذي اتخذه الله لنفسه يكشف لنا عن صفات وطبيعة جديدة ومُذهلة عن الله كان من العسير أن نصدِّقها لو قيلت في معناها المجرد. فمَن يُصدِّق أن الله يعمل عمل الراعي: «كراعٍ يرعى قطيعه، **بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود** (بتؤدة) **المرضعات**» (إش ٤٠: ١١). أهذا هو الله العظيم الجبَّار كلِّي القدرة والقوة، يحمل ضعاف وصغار شعبه على ذراعه بل في حضنه، والأُم يحنو عليها ولا يتركها بل يسير بجوارها و"إن نسيت الأم رضيعها فأنا لا أنساه" (قارن إش ٤٩: ١٥)!! هذه صورة من صور طبيعة الله وصفاته أعظم وأثمن من كل ما عرفناه وقرأناه في علم اللاهوت. إذن، لا نندهش إن كنا نسمع من المسيح وهو الراعي الجديد يقول: «... تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، فهي صفة قائمة في قلب يهوه العظيم استُعلنت لنا في المسيح.

ثم إليك تصوير آخر لإشعياء النبي ليهوه العظيم وهو يرعى شعبه: «لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حرٌّ ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم» (إش ٤٩: ١٠). هذا تصوير لله وهو يحمل مسئولية إطعام شعبه وإمداده بما يحتاجه من ماء، وأن يُظلِّل عليهم في يوم الحرِّ والقيظ، هكذا بلغت العلاقة الوثيقة الحميمة بين الله وشعبه كأب خلَّف أولاداً فصاروا في عنقه، لا يهدأ ولا ينام حتى يوفِّر لهم أَوَدَ حياتهم وأكثر!! ولكن مَثَل الراعي أعمق وأكثر حساسية. فالراعي يتعامل مع غنم لا تنطق ولا تشكو ولا تعرف أين تسير، لهذا فالمسئولية التي وضعها الله على نفسه بأخذه لقب راعٍ، جعلتنا ندرك مدى رهافة حسّ الله في رعايته لشعبه ولطفه وحنانه وسهره ويقظته التي فيها لا يغفل ولا ينام: «إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (مز ١٢١: ٤).

هل يمكن أن نثق في وعد الله هذا؟ الواقع والتاريخ يؤيِّد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك، إذ لما جاع الشعب في البرية أرسل لهم خبزاً من السماء، ولمَّا عطشوا فجَّر لهم ماءً من صخرة!! وإذ طالت مسيرتهم في القفر وسط القيظ الشديد أرسل لهم سحابةً تظللهم بالنهار ونوراً يهديهم بالليل أربعين سنة بالتمام!! ولكي يبرهن المسيح أنه هو هو يهوه القديم حقاً، لما جاع الشعب من حوله خمسة آلاف من الرجال غير الأطفال والنساء، والمكان قفر؛ أطعمهم وأشبعهم من خمسة أرغفة وسمكتين كانت في مخلاة صبي. وكانت هذه المعجزة توطئة لأن يعطيهم الخبز الحقيقي ليبقى لهم إلى الأبد وكل مَنْ يأكل منه لا يجوع ولا يموت: «... مَنْ يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو

الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المنَّ وماتوا. مَنْ يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد» (يو ٦: ٥٧،٥٨). فالذي عمله يهوه بالرمز أكمله المسيح بالحق.

ويعود إرميا ويتنبَّأ بفم الله عمَّا هو مزمع أن يكون: «وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتُها إليها وأردُّها إلى مرابضها فتُثمر وتكثر» (إر ٢٣: ٣). هذا هو تأديب الراعي يهوه العظيم المخوف، بيد يضرب وبالأخرى يعانق ويقبِّل، قالها المسيح عن وعي صادق بقلب الأب، كيف قام الأب وركض ليستقبل الابن الضال: «فقام (الابن الضال) وجاء إلى أبيه، **وإذ كان لم يزل بعيداً** رآه أبوه (الآب السماوي) **فتحنَّن وركض ووقع على عنقه وقبَّله**» (لو ١٥: ٢٠).

هذا هو يهوه العجيب أبو ربنا يسوع المسيح الذي أوصى ابنه أن ينزل ويفتقد الخراف الضالة يحملها في قلبه بل بروحه، ويرفعها ويُحضرها إليه في السماء، ليصنع لها الآب وليمة محبته، ويفرح بها وتفرح بها السماء كلها لأنها كانت ميتة فعاشت. هل نحن إزاء معاملة الله حقاً؟ إن هذا يفوق العقل والخيال. كيف إذاً صوَّر المعلِّمون واللاهوتيون، بل وبعض رجال الكنيسة القدامى أن الله: "ملك الدهور الذي الكل مذلول وخاضع له بعنق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه". أيُّ ملك هذا: بختْنَصَّر أم القيصر أم هتلر أم أيُّ ملك هذا؟ لهذا نصَّب الله يهوه العظيم نفسه راعياً لشعبه لكي على أساس طبيعة الراعي ومشاعره وأحاسيسه تجاه الغنم، يقنِّن اللاهوت وتُستعلن صفاته كراعي الغنم. الغنم تنام، وهو لا

ينعس ولا ينام؛ لا ترى من أين يأتي عدوها، وهو يراه؛ لا تعلم أيَّ طعام تأكل في غدها، وهو قد أعدَّه لميعاده؛ يشعر بألمها قبل أن تصرخ، ويحس باحتياجاتها دون أن تطلب حتى وإن استخدم العكّاز بالضرب على الظهر فلكي لا تتسرب في دروب الذئاب:

+ «في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلّصهم. بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣: ٩).

لأن راعي الغنم يعرف كيف ينقذ النفس في الضيقة.

+ «ويكون أني قبلما يَدْعُون أنا أُجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥: ٢٤).

+ «أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا، وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني. قلتُ: هأنذا هأنذا لأُمةٍ لم تُسَمَّ باسمي» (إش ٦٥: ١).

+ «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف ٣: ٢٠).

لأن الراعي يعرف كيف يعطي غنماته ما لم تطلبه، وأكثر مما تفكّر فيه أو تتمناه.

+ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليُقْبِلْ إليَّ ويشرب...» (يو ٧: ٣٧).

+ «ومَنْ يعطش فليأتِ. ومَنْ يُرِدْ فليأخذ ماء حياة مجاناً» (رؤ ٢٢: ١٧).

وهكذا فجأة رأينا الراعي هو نفسه ينبوع الماء الحي وخبز الحياة.

+ «أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقْبِل إليَّ فلا يجوع، ومَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو ٦: ٣٥).

وفجأة رأيناه يوزِّع جسده طعاماً، كلُّ مَنْ أكله انفتحت عيناه ليرى نفسه وسط قديسيه.

آه، لولا أن يسوع تعلَّم الرعاية من أبيه وورث قلب الراعي، ما كان قدَّم نفسه حَمَلاً تحت سكين أبيه. مَنْ ذا الذي سمع عن راعٍ بلغ به الحب نحو غنماته حتى يذبح ابنه الحمل الوديع ليفدي قطيعه من مخالب الذئب، فيحملها على منكبيه ويعبُر بها أهوال الموت والهاوية ويقوم ويرتفع ليقدِّمها لأبيه سالمة؟!

وإشعياء يرى المسيح وهو عابر الموت ويشق الهاوية والبشرية على كتفيه كراعي الغنم، ثم يقوم لينفض عنه وعنهم الموت كجبار مفيق من الخمر، فيقول:

+ «ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه، أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه؟ الذي سيَّر ليمين موسى ذراع مجده، الذي شق المياه قدَّامهم ليصنع لنفسه اسماً أبدياً، الذي سيَّرهم في اللُّجج كفرس في البرية، فلم يعثروا» (إش ٦٣: ١١-١٣).

ويجيء داود ويزيد عليه أنه لما سار بهم وسط المياه لم يترك أثراً:

+ «في البحر طريقك، وسبلك في المياه الكثيرة، وآثارك لم تُعْرَف. هديت شعبك كالغنم بيد موسى وهارون» (مز ٧٧: ١٩).

وكأن ملحمة دخول الشعب البحر وخروجه سالماً أكملها المسيح

بالصعود توًّا إلى السماء. وعن هذا الخروج المكمَّل تحدَّث موسى وإيليا يوم التجلّي: «اللذان ظهرا بمجد وتكلَّما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمِّله في أورشليم» (لو ٩: ٣١).

وحينما صعد إلى السماء بمجد، استقبله القديسون والأنبياء الذين ترقَّبوه منذ الدهر ولكنهم رأوا جروحه فابتدروه:

+ «ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول: هي التي جُرِحْتُ بها في بيت أحبائي» (زك ١٣: ٦).

فيسألونه: أَمَا ندموا؟ فيرد عليهم: حينما أرسل لهم روح توبة:

+ «وأُفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرُّعات، فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيده ويكونون في مرارة عليه كمَنْ هو في مرارة على بِكْرِهِ» (زك ١٢: ١٠).

والمسيح وهو قادم إلى الصليب كان لا يزال يرى نفسه الراعي الذي يقود غنماته من خلفه. وأعجب ما كان يفكِّر فيه والموت منصوب أمامه، أنه كان يفكِّر في غنماته، فتذكَّر قول الله على فم زكريا النبي فردده: «استيقظ يا سيف على راعيَّ وعلى رجل رفقتي يقول رب الجنود، اضرب الراعي **فتتشتَّت الغنم**» (زك ١٣: ٧؛ مت ٢٦: ٣١).

ولكن لماذا العجب وهو قادم على الموت بإرادته ومسرَّة مشيئته ليفدي الغنم المشتتة؟

هات يا علم اللاهوت صفحاتك وسجِّل كيف انبثقت روح

الفدية من روح الراعي؟ وكيف كانت حياة الغنم تستحق الصليب حتى إلى الموت؟ هذا هو القائل: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١). والصليب يردُّ ويقول: آمين.

مات الراعي الحبيب ليفتح بروحه أمامهم باب حظيرة الملكوت، وليصنع لهم من جسده طريقاً آمناً موصلاً للسماء، وبدمائه مسحهم ليأخذوا هيئة القديسين، وهو واقف هناك يقدِّمهم بنفسه لأبيه، وكلٌّ له صورة الفادي واسمه ليتسجَّلوا في السماء كأبناء وليرثوا مع الابن ما لله. وهو واقف يشجِّعهم ويفرِّح قلوبهم: «افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبِّيها، افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثَدْي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذَّذوا من دِرَّة (ضرع) مجدها» (إش ٦٦: ١٠،١١). وكأن الراعي فوق لا يزال يحلب درات الغنم ويسقي الضعفاء. أو كأن السماء صارت أُمّاً والخراف ذهبت لترضع من مجدها. وهكذا انتقل الراعي إلى السماء وأخذ معه غنماته ولا يزال يرعى ويحمل الصغار في حضنه ويتأنَّى على المرضعات.

إن وصف المسيح لنفسه بالراعي الصالح نراه وقد تغلغل كل حياته على الأرض وانتقل معه إلى السماء. وهو لا يشاء أن يرانا إلاَّ غنمات وديعة برسمه تتبعه أينما سار: «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب» (رؤ ١٤: ٤).

وبهذا نرى أن كل تعاليم المسيح وتدريباته ونصائحه ومشوراته، هي باعتباره الراعي الذي يعدُّ غنماته، ويطبع عليها

صورته، ويكتب اسمه على جباهها، ويعدّها ليأخذها معه هناك.

هنا يدرِّبها ويرشدها، ويعطي كل نفسه لها.
يُطهِّرها، يُقدِّسها، لتصلح ذبائح مقبولة أمام أبيه في السماء.
يرعاها في مرابض الحب، ويسقيها من ماء الحياة لتحيا وتجترّ كلمة الله.
يكتب عليها اسمه، وينقش اسمها على كفِّه، لتُعتَمَد كغنمات في قطيع السماء.
يُلقِّنها كلمة الحياة، ويُعطيها رسم الطريق وسر الدخول.
والتي أتقنت الرعي هنا في مراعي النعمة تربض هناك حول العرش.
والتي اغتذت هنا على ثمرة الإنجيل، تغتذي هناك على شجرة الحياة.

***

يا راعي المجد، يا صاحب سر الحمل، كيف ذُبحتَ ذاتك لتُطعم غنماتك بسرِّ لاهوتك؟
فرفعتَ خرافك من مرابض الأرض إلى مراقي المجد.
محيِّر أنا محُيَّر بين سر الراعي وسر الحمل!
كيف خلعتَ على الصليب رداء الراعي ولَبِستَ شكل الحمل؟
ما سمعنا قط أن راعياً يأخذ شكل الحمل، ليقود قطيعه، مذبوحاً عَبْرَ وادي الموت، ويصعد معه إلى شاطئ الحياة.
يا راعي النفوس الأمين، نفسي تتبعك!

(فبراير ١٩٩٥)

- ٢٠ -

"عجيباً"

«ويُدعَى اسمُه عجيباً»

(إش ٩: ٦)

The Wonderful

لا يوجد أعجب من أن يكون المسيح هو: «الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦)!

ساكن السموات، والسموات غير طاهرة لديه، ورجلاه تطآن أرض شقائنا.

النور والساكن في النور، يغْشَى عالمنا، ويُضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

بهاء مجد الله ورسم جوهره، يتشبَّه بنا، ويأخذ شكل العبد.

الجالس على كرسي مجده، يتقبَّل تسبيحات ملائكته،

ينزل إلى الدروب والحارات، يبحث عن الخاطئ بين الطين والأوحال.

الوجه المضيء الذي كان لا يراه إنسان ويعيش، نظرناه من خلف غلالة الصليب وذُقنا واشتركنا فيه.

مصدر الطهر والقداسة والجلال، يتآخى مع الخطاة ويجلس مع العشَّارين والزناة.

الذي لا تُثمِّنه تلال من ذهب، وجبال الماس تُسترخص؛ يبيعه

الإنسان بثلاثين من الفضة.

يُسْكِت ملايين الهاتفين مجداً، ويأمر فتصمت ربوات المسبِّحين؛ ليسمع بكاء مسكين، أو أنين إنسان مظلوم مُهان.

والأُمُّ تنسى رضيعها، وهو لا يتخلَّى عمَّن اتكل عليه ولا إلى لحظة.

ديان الأرض كلها، وقاضي المسكونة طُرّاً؛ رَضِيَ بظلم هيرودس، وقَبِلَ حُكْم بيلاطس، وقَبِلَ أن يُصلَب.

راهن عليه الفرِّيسيون والكتبة، وتحدَّاه رؤساء الكهنة أن ينزل عن الصليب إن كان هو ابن الله؛ وكان هو الله، وما نزل.

رهانُهم أرادوا به أن يُداروا ظلمهم، وتحدِّيهم كان ليخفوا جريمتهم؛ فقَبِلَ أن يخسر الرهان ليؤكِّد ظلمهم، وتحدَّى التحدِّي بقيامته.

ربُّ الحياة ومُعطيها، بالحب مات على الصليب، ليهب الحب والحياة لكل خاطئ آمَنَ بالحياة ومُعطيها!

فهل يُنسب لله بعد ذلك ظلمٌ بعد أن قَبِلَ بموته الظلم وغفر لظالميه!؟

لا تعجب أن يقبل الله الموت بالجسد ظلماً، بل اعجب: كيف أمات الموتَ لَمَّا قام بجسده حيّاً، وأحيا به المائتين ظلما؟!

وحياته التي أقام بها الجسد، بالسر أسكنها في خُبزة محبة، نأكلها فيسكن فينا سر الحب والقيامة.

ثم ليزيد العجبَ عجباً، جعل كلَّ مَن يؤمن أن الله قادرٌ أن

يغفر للفاجر فُجره؛ يُحسَب له إيمانه برّاً!!

لأنك إن آمنتَ بالله وحسب، فالكل يؤمنون؛ ولكن أن تؤمن بأقصى رحمته، يُحسَب إيمانك لك برّاً.

لذلك، ألبَسَ الله ابنَه جسداً ليحمل على صليبه بالموت أشنعَ الخطايا وعارها؛

فكلُّ مَن آمن بموته وعاره، صار إيمانه له برّاً.

عجيب هو المسيح هذا الذي صُلِبَ من أجل الخطاة والزناة والفجّار، ليؤكّد لك أن الله رحيمٌ.

الله لما رأى أن خطاة الأرض استنفدوا كلَّ حقّهم في الحياة، أرسل ابنه ليحمل كل خطاياهم، ويُجدِّد للعالم حقّهم في الحياة.

عجيبٌ هو المسيح الذي قَبِلَ اتهام رؤساء اليهود، حينما نسبوا إليه جميع الخطايا، وطلبوا أن يُصلَب؛ فقَبِلَ راضياً ولم يحتج، ليدفع على الصليب ثمن كل الخطايا رسمياً، وبحُكْم القانون.

ثم عجبي على الذي يرفض الصليب ويهينه، وكأنه يحجز كل خطاياه للحُكْم!!!

(نوفمبر ١٩٩٥)

- ٢١ -

وأيضاً:
"أنا هو الطريق، والحق، والحياة"
(يو ١٤: ٦)

أ ـ "أنا هو الطريق":

قالها المسيح ليهمس بها في أُذنك حينما تضيق بك الدنيا، وتستدُّ جميع المنافذ نحو الله، وتفقد كل أمل في الناس، ليقول لك:

- أنا هو، أنا هو كل شيء لك، ومعي كل ما تطلبه أو تشتهيه نفسك.

عندي لك السلام والفرح والاطمئنان.

تعالَ، تعالَ ولا تخف! فأنا الطريق الوحيد الذي إذا سلكه إنسان ربح نفسه والحياة والآخرين أيضاً.

كل طرق الدنيا لا تضمن لك أن تبلغ النهاية التي تريد، خاصةً إن كنتَ تريد الله وسلاماً لنفسك؛

أما أنا، فأنا الطريق الوحيد الذي يضمن لك النهاية قبل البداية، ومعي لن تحتاج إلى شيء من الدنيا، لأني سأكون كفايتك.

طرق الدنيا تتغيَّر وتتقلَّب، وحالها لا يبقى على حال؛

أما أنا، فستجدني كأمس وإلى الأبد، مريح التعابَى وبهجة للنفس.

كل طرق العالم لها شكل الحق، ولكن ليس فيها أي حق، فهي فاقدة للحقيقة الوحيدة، لأني أنا الحق، وأنا لستُ من هذا العالم.

وحينما أقول لك: أنا الطريق، فثق أني ملتزم بكل ما أقول،

فكل مَن يُصدِّقني ويأتي إليَّ ليختبرني، يكتشف صدقي.

كل قوة العدو هي كيف يكذب على السائرين في طرقه، ويُضلل مَن يسير وراءه، لأنه ليس فيه حق ولا يملك إلاَّ الموت.

لهذا جئتُ أنا إلى العالم، لأجعل جسدي لك الطريق، وأجعل دمي لك الحق، وروحي لك حياة أبدية.

جسدي قدَّمته ذبيحة عن العالم لحساب كل مَن يأتي إليَّ، وجسدي قدوسٌ، مَن يأكله يتقدَّس به ويعبُر أصعب التجارب.

ودمي سفكته وهو فيه الحق، كل مَن يشربه يستعلن الحقيقة ويتعرَّف على الآب ويؤمن بي.

وروحي وهبتُه لِمَن آمن بي، حتى ولو كان قد كبَّله الشيطان بالخطايا وساقه في طريق الموت فريسة، ولكن بروحي أنا أُقيمه وأُنجِّيه من الموت.

فطريق الشيطان، يمينها تيه، ويسارها هلاك؛ ولكن "أنا هو الطريق":

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،

طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً، بالحجاب، أي جسده، وكاهنٌ عظيم على بيت الله، لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومُغتسلة أجسادنا بماء نقي (المعمودية). لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ١٩-٢٣).

أُذناك تسمعان كلمةً خلفك قائلة: هذه هي الطريق، اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين، وحينما تميلون إلى اليسار، وتسندك يميني، فتخلص.

وأنا: «طريق الحق للفَطِن إلى فوق، للحَيَدان عن الهاوية من تحت» (أم ١٥: ٢٤).

+ «وتكون هناك سِكَّةٌ وطريقٌ يُقالُ لها **الطريق** المقدسة، لا يعبُر فيها نجس بل هي لهم. مَن سلك في الطريق حتى الجهَّال لا يضل. لا يكون هناك أسد، وحش مفترس لا يصعد إليها، لا يوجد هناك، بل يسلك المفديُّون فيها. ومفديُّو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنُّم وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يُدركانهم، ويهرب الحزن والتنهُّد» (إش ٣٥: ٨-١٠).

ولكن إلى الآن لا تزال قوة الآية: «أنا هو الطريق، والحق، والحياة» أعمق وأعمق. فالمسيح لا يقول: أنا أُريكم الطريق، ولا أسير معكم في الطريق، ولا أعلِّمكم الطريق؛ بل يقول: "أنا **الطريق**"!! فقوله هذا أعظم من أن يعطينا حكمة نسير بها في الطريق، وأعظم من كونها ستعلن لنا مصاعب الطريق فنتفاداها. فأنْ يقول المسيح: «**أنا هو الطريق**»، فهذا صك وعهد ووثيقة مختومة

أنه يوصِّلنا إلى أبيه بضمان دم صليبه.

المسيح هو الوحيد الذي يقول: «أنا هو الطريق»، لأنه هو الوحيد الذي نزل من السماء، والوحيد الذي ارتفع إلى السماء ودخل إلى أبيه حاملاً لنا فداءً أبدياً بدمه. من الآب خرج، ومن السماء نزل؛ وإلى السماء صعد، وإلى الآب دخل. فكيف لا يكون هو الطريق!؟

ب ـ "أنا هو الحق":

الحق لا يتغيَّر ولا يزول. المسيح هو الوحيد الذي يقول: "أنا هو الحق"، لأنه الوحيد الموجود بذاته، فكيانه لم يأخذه من آخر، فهو كائن بذاته؛ وقالها كثيراً: "أنا هو"، بمعنى أنا القائم بذاتي ἐγώ εἰμι فهو هو الأمس واليوم وإلى الأبد كائن.

قال لبيلاطس البنطي: «لهذا قد وُلِدْتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق. كلُّ مَن هو من الحق يسمع صوتي» (يو ١٨: ٣٧).

صحيح أنه مات بإرادته، ولكنه قام بإرادته؛ فألغى الموت وبَقِيَ هو كما هو، وبقوله: "أنا هو" كما كان يقولها يهوه الله في القديم، فهو يؤكِّد بها أنه واحد مع الله أبيه.

هو واحد مع الله الآب، تجسَّد فصار واحداً مع الإنسان. فهو الوحيد الذي يوصِّل الإنسان بالله أبيه. لذلك قال مؤكِّداً: «أنا هو الطريق، والحق»، «الله لم يَرَه أحدٌ قطُّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١: ١٨).

ومعنى "أنا هو الحق"، هو تعريفنا بحقيقة الآب. فمعرفة الحق في الله تؤهِّل للوجود في حضرته: «لا أعود أُسمِّيكم عبيداً... لكني قد سمَّيتكم أحبَّاءَ لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٥). فهو يرفع عن الإنسان كل ما يمنعه عن أن يحيا مع الله. وهذا هو ما قيل: إن طريقنا إلى الأقداس العُليا، هو عبور بالجسد الذي نأكله، وبالدم الذي نشربه، وبالروح الذي نناله.

ج - "أنا هو الحياة":

المسيح هو الوحيد الذي يقول هذا، لأنه حيٌّ في الله. فهو الوحيد الحي بذاته: «له حياة في ذاته» (يو ٥: ٢٦)، وكيانه لم يأخذه من آخر؛ بل هو الكائن الحائز على كل كيان آخر، وهو مُعطي الحياة ومُقيمها، وله سلطان على الموت والهاوية ومَن له سلطان الموت.

فهو الحياة وهو المُحيي، لذلك لما مات بالجسد بإرادته ليفدينا بموته، قام بإرادته وأقام معه الإنسان أسير الخطية والموت، ووهب الحياة الأبدية - أي الحياة مع الله - لكل مَن يؤمن:

+ «لأن به لنا كلينا (اليهود والأمم) قُدُوماً (الطريق) في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً، بل رعية واحدة مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٨، ١٩).

القديس يوحنا صاحب الإنجيل الرابع يقول كيف تعرَّف على الحياة الأبدية في المسيح ونالها واشترك فيها:

+ «فإنَّ الحياة أُظْهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا. الذي رأيناه

وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٢-٤).

ونحن نثق أن بعد قيامة المسيح من بين الأموات، انفتح باب الملكوت وبدأت الحياة الأبدية التي صرنا فيها بإيمان المسيح شركاءَ مع المسيح والآب. وهذا هو مصدر فرحنا على الطريق الذي لن يُنزع منَّا.

حينما قال المسيح بمنتهى العلنية مُخاطباً الآب: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مُكمَّلين إلى واحد» (يو ١٧: ٢٣)، كان ذلك أبلغ شرح لمعنى "أنا هو الطريق"، يفهمه كل ذي وعي مسيحي، وتتهلَّل له الروح!

وحين قال: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، يكون قد شرح معنى "أنا هو الحق" شرحاً أبلغ ما يكون الشرح.

وحين صرخ في لعازر المنتن في القبر: «لعازر هَلُمَّ خارجاً» (يو ١١: ٤٣)، فقام؛ كان هذا شرحاً لمعنى "أنا هو الحياة".

والآن، يا ربنا يسوع المسيح

هوذا الآن قد علمنا أنك أنت الطريق، وقد ذهبتَ لتُعدَّ لنا عند الآب مكاناً، وإن أعددته تأتي وتأخذنا.

وتأكَّدنا وعرفنا أنك أنت هو الحق، وقد سمعنا صوتك وأتينا إليك وصرنا خاصتك، وعرفتنا.

ووثقنا أيضاً أنك أنت الحياة، قائمٌ في ملكوتك،
وها نحن نئن تحت سمعك وبصرك،
فهلاَّ أتيتَ لتأخذنا إليك كالوعد؟

"أنا الطريق":

سيدي كلنا كغنم ضللنا، مِلنا كل واحد إلى طريقه، ولا عذر لنا في جهالتنا.
فأهواء نفوسنا باعدتنا عنك، وشهوات قلوبنا الغبية وخيبة آمالنا طوَّحتنا بعيداً عنك.
طريق الرب مرسومة أمام أعيننا، مستقيمة؛ ولكن حِدْنا يميناً، وعرجنا شمالاً، وسرنا حسب عناد قلوبنا، وسمعنا صوتك من ورائنا يُنادينا: "لا تُطيلنَّ الضلال".

"أنا الحق":

نعم، يا سيدي، ومَن ذا باستطاعته أن يقف أمامك، يا ديان الأرض؟
إنه قد ابتدأ زمان القضاء، فلا تنظر إلى خارجنا المجلَّل بالقداسة والطهارة والصلاح،
اكشف لنا ما تراه، وقد خَفِيَ عن الناس وعن عيوننا، حتى ندين أنفسنا ونسحق تحت قدميك.
مزِّق بقوة روحك القدوس أغطية الرياء وأقنعة الكذب وادِّعاء القداسة والتقوى والمعرفة الكاذبة.
فإن كنا سنقف أمامك هناك عراة ومفضوحين بسبب نجاسات

قلوبنا وضمائرنا، فنحن نختار ونشتهي ونلح أن تفضحنا هنا، وتغسلنا بقوة وفعل دمك.

لا تشفق أيها "الحق" على ما هو باطل فينا وارحمنا، لكي نقف هنا مستورين برحمتك.

وبِّخ وأدِّب بعصا رحمتك، قبل أن ينتهي كل شيء وندخل نطاق الدينونة التي بلا توبة.

"أنا الحياة":

نعم يا حياة الحق، لا يغيب عن عينيك الناريتين ما فينا من موات.

فلولا غطاء دمك الثمين الزكي، لفاحت رائحة نتانتنا أمام الناس والعالم كله.

نحن أموات بالذنوب والخطايا، كيف نرفع وجوهنا، ليس أمامنا الآن إلاَّ أن نتستَّر وراء وعودك الثمينة.

ضمير خطايانا يرعبنا ويُعرقل صلاتنا، لولا الدم الذي نشربه على مذبحك، ونتنسم رائحته من فوق الجلجلة؛

فنستنشق فيه روحك القدوس فنحيا، نحيا ونحن مائتين!!!

ولكن سنتمسك بالوعد:

+ «إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيَوْن» (يو ١٤: ١٩)!!

(١٩٩٥/١٠/١٦)

«أنا هو الباب»

«إن دخل بي أحد فيخلُص ويدخل ويخرج ويجد مرعى»

(يو ١٠: ٩)

موسى في تجلّياته طلب منك يوماً أن يرى وجهك، فقلتَ له إن الإنسان لا يراني ويعيش (خر ٣٣: ٢٠). وهكذا حتَّمت بأن يكون الموت ثمناً لرأياك.

ولكن حنَّت أحشاؤك ورددت له شهوة نفسه وقلت له:

+ «أُجيز كلَّ جُودَتي قدَّامك... هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي، أني أضعك في نُقْرة من الصخرة، وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي. وأما وجهي فلا يُرَى» (خر ٣٣: ١٩-٢٣).

نعم، اجتاز كل جودك قدَّامنا يوم قلتَ إن العذراء تلد لك ابناً، ورأى جودَك كلُّ بشرٍ بعد عداوة عصور سحيقة ودهور بلا عدد. ومددتَ يد رحمتك وأخفيت عن أعيننا كل مجدك، فوُلِدَ إنسانٌ وهو ابن العليِّ (لو ١: ٣٢)؛ ورُئيَ بشراً وهو بهاء مجدك (عب ١: ٢)؛ وولدته في نقرة صخرة في مذود؛ وسترت عليه بيدك حتى صار رجلاً واجتاز كل أطوار ابن الإنسان، ثم رفعت يدك فنظرناه وكأنه صورة من ورائك مع أنه صورة جوهرك.

ناديت عليه من السماء: «هذا هو ابني الحبيب» (مت ٣: ١٧)، فما سمعوا؛ وألبسته لحظة التجلِّي بهاء مجدك، فما نظروا؛ وقلت: اسمعوا له، فما سمعوا.

ومن فساد ذهنهم أخفيت أُبوَّتك عنهم، ومن نجاسة قلوبهم قبلوا مشورة الشيطان الذي استوطن قلوبهم وسمعوا مشورته، فقتلوا الابن الحبيب.

وكانت لحظة موته لحظة المصالحة الكبرى، إذ قُبِلَت ذبيحته فدية لكل ذي جسد، فأعلنتَ المصالحة؛ فانشقَّ حجاب الهيكل (الباب) من أعلى لأن يدك مزَّقته، وانشق إلى الأرض فتمَّت المصالحة.

وانفتحت ضلفتا الباب على مصراعيه، فصار لنا بجسده المكسور لأجلنا طريقاً كرَّسه لنا إليك حديثاً حيّاً بعد أن كان حجاباً حاجزاً.

دخل إليك والدم المسفوك على يديه ككاهن أعظم يَكْهَن عن كل الذين يدعون باسمه بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبهم بالدم الزكي وأجسادهم بالماء النقي (عب ١٠: ١٩-٢٢)؛

فصار لنا هو الباب المفتوح؛ لنا قاعدته مفروشة على أرضنا، وعتبته العُليا داخلة إلى ما داخل السموات إلى الأقداس التي تصنع لنا فداءً أبدياً.

فلما انفتحت مصاريعه هكذا من علو السماء إلى وطأ الأرض، ظهرت الحياة الأبدية التي كانت مخفية في الآب. ظهرت ورآها يوحنا الحبيب عياناً، ولمسها، وشاهدها، وتنفَّسها؛ فدخلت أعماقه، فصار شريكاً بها مع الآب وابنه يسوع المسيح، ودخل

الفرح قلب الإنسان.

جسده كرَّسه لنا طريقاً، ودمه قدَّسه لنا حقّاً أبدياً، وروحه وهبها لنا حياة لشركة علوية مع الآب وابنه المحبوب.

كل باب يُفتح ويُغلق، وهذا هو بابنا السماوي فُتح لنا ولن يُغلق أبداً، ومفتاحه صار في كل يد حملت الصليب علامة الحياة (عنخ).

كل باب في الدنيا يسأل الداخل: مَنْ أنت، وإلى أين أنت ذاهب؟ إلاَّ بابنا هذا، يمد يده للداخل ليدخل به، فيخلص، ويدخل، ويخرج ليدعو الخارجين إلى الدخول.

موسى كان محرَّماً عليه أن يرى وجه الله، أما نحن فأصبح لنا مرآة ننظر فيها وجه المسيح لنتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد بلا برقع ولا ناموس.

فالله الآب أكمل تحذيره لموسى أن الإنسان لا يراني ويعيش، وهكذا متنا مع الابن الحبيب وقمنا لنرى وجه الآب ونعيش.

ومجد الله بعد أن كان مُرعباً لا تراه عين إنسان، أعطانا إيَّاه المسيح: «قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتَني» (يو ١٧: ٢٢)، واشتركنا في مجد الآب لَمَّا متنا مع الابن.

وبعد أن كان مُحرَّماً على موسى وعلى كل الشعب أن يقترب مجرد اقترابٍ من الجبل لَمَّا حلَّ عليه الله، صرنا مدعوين إلى الدخول إلى الآب بجراءة وقدوم مع الابن الحبيب حتى إلى أقداس العليّ.

ولَمَّا جلس الابن عن يمين الآب، جلسنا، بل وصرنا مع الابن شركاء ميراث الآب كأبناء بعد أن كنَّا أعداءً ومغضوباً علينا.

توسُّل

ولكن كل هذا الذي عملت وأعطيت: "الطريق، والحق، والحياة"، و"الباب" المفتوح لا يزال وراءه قلب مجروح...
نعم، كيف لا يُدمي قلبنا، وشعبك الذي أحببته يوماً وكان سبباً وعلّة لحبنا وحياتنا وخلاصنا كله، ولكل هذا المجد، لا تزال بقية منه تبكي!! فكيف يكمل فرحنا؟
في كل مدينة، في كل قرية، في كل ركن من أركان الدنيا، يهودي يبكي، دموعهم كالسيل! لو جُمِعَت دموعهم لصارت كنهر لا يكفّ جريانه. فكُفّ يا رب عن سكوتك، وقُلْ كلمة لتعود الحياة إلى ابنة صهيون.

أنت وعدتنا أننا سنفرح، ولن ينزع أحد فرحنا عندما ترانا،
رأيناك، نعم رأيناك؛ ولكن فرحنا ينقصه عودة الفرحة للذين ورَّثونا بركة إبراهيم، واسم يهوه العظيم، وسر الخلاص!!
إن قلنا إن فرحنا قد كمل، نكون سُرَّاقاً ولصوصاً، ودموع بني إسرائيل تشهد علينا.
أَلاَ يكفي ألفا سنة حزناً وبكاءً وحسرةً وندماً بلا رجاء؟

أيها الباب السماوي المفتوح، قُلْ كلمة السرِّ ليجري إليك بنو إسرائيل من كل أرجاء الدنيا.
انفتحي أيتها الأبواب الدهرية، فقد رَضِيَ قلب ربٍّ المجد. وشعبه الأول قادمٌ قادمٌ.

(نوفمبر ١٩٩٥)

"إني أكتب مقدمة لكتاب يكشف المعنى الزاخر لشخص الرب المبارك رب كل البشرية، الذي بذل نفسه من أجل الكل ويريد الكل أن يصيروا واحداً. إن كتاب الأب متى المسكين سوف يساعد كل قارئ أن يعود للرب الذي خلقنا والذي يدعونا إلى الخلاص الكامل والحياة الأبدية."

الأب جورج ديونيسيوس دراجاس

أستاذ اللاهوت العقيدي بكلية
الصليب المقدس اللاهوتية الأرثوذكسية

عن مقدمة الطبعة الإنجليزية لكتاب "ألقاب المسيح":

The Titles of Christ,
published by Orthodox Research Institute,
www.orthodoxresearchinstitute.org
ISBN13 978-1-933275-21-5
ISBN10 1-933275-21-9

الثمن ... قرش جنيه ٢٠ ... ت